دينيس ر. ماكدونالد

أسطرة يسوع

من معلّم يهودي إلى بطل ملحمي

ترجمته عن الإنجليزيَّة: مارينا غبريال



المركز الأكاديمي للأبحاث

أسطرة يسوع

من معلم يهودي إلى بطل ملحمي

تاليف:

أ. د. دينيس ر. ماكدونالد

أستاذ العهد الجديد وأصول المسيحية بكلية كليرمونت الإكليريكية

ترجمته عن الإنكليزية:

مارينا غبريال

أسطورة يسوع

من معلم يهودي إلى بطل ملحمي

تأليف: أ. د. دينيس ر. ماكدونالد

ترجمة: مارينا غبريال

إخراج الكتاب وتصميم غلافه: القسم الفني

الناشر: المركز الأكاديمي للأبحاث، الطبعة الأولى: 2026

هذه هي التّرجمة العربيّة الكاملة لكتاب:

Mythologizing Jesus

From Jewish Teacher to Epic Hero

صدر الكتاب لأول مرة بالإنكليزيّة عام 2015

تُنشر التّرجمة العربيّة بموجب اتفاق خاص مع مجموعة رومان & ليتلفيلد للنشر.

The Arabic translation is published under a special agreement with The Rowman & Littlefield Publishing Group, Inc. - United Kingdom

العراق/ تورنتو - كندا

The Academic Center for Research

TORONTO -CANADA

موثق بدار الكتب والوثائق الكندية/ Library and Archives Canada

ISBN : 978-1-998556-49-6

naseer.alkaabi@uokufa.edu.iq

+964 780 226 2494 facebook.com/acadcntr www.acadcr.com info@acadcr.com

إهداء

إلى أونري ونيكا وأوليفر

مع خالص حبي

بابو

أعلام الأساطير اليونانية والرومانية

أبولو أو أبوللون: ابن زوس وليتو. رب الشمس والتنبؤ والشعر والموسيقى والقوس والسهم. حامي هيكتور.

أثينا: ابنة زوس. اختصت برعايتها أوديسيوس.

أخيل: ابن الملك بيليوس ملك تساليا والنيرايد ثيتيس. أول أبطال الحرب الطروادية.

آخيون: أهل أخائية، المحاربون الرئيسيون ضد الطرواديين.

أرغوسيون: أهل أرغوس، أحد أطياف الإغريق الذين حاصروا طروادة.

أرغيفونتيس: كناية عن هيرميس.

أرنايوس («النائل»): اسم آخر للمتسول إيروس.

أريس (ل. مارس): إله الحرب.

إريبوس أو إريبس: المقابل الروماني للإغريقي هاديس.

إسبرطة: موطن مينيلاوس وهيلينا البيلونيزي.

أسكانيوس: ابن آينياس.

أسكليپيوس: ابن زوس. إله الطب والشفاء.

أغاممنون: ابن أتريوس أخو مينيلاوس. ملك أرغوس وموكيناي. قائد قوات الآخيين عند طروادة.

أفروديتي (كوثيريا، ل. ڤينوس): إلهة الحب. والدة آينياس من أنخيزس.

إلپينور(«رجاء الرجولة»): رفيق أوديسيوس صغير السن.

ألكينوس («نبيل التفكير»): ملك الفياكيين. والد ناوسيكا.

إليوم: طروادة.

أمفيتروون: زوج ألكيمينا. والد هرقل البشري.

أنيفاتيس: ملك اللايستروتيين العمالقة أكلة لحوم البشر.

أنتيكليا: زوجة لا يرتيس. والدة أوديسيوس من لايرتيس.

أنتينوس («عدو الفكر»): أوقح المتوددين إلى پينيلوپي وأول من قتله أوديسيوس عند عودته.

أنخيزس أو أنخيسيس: طروادي. والد آينياس من أفروديتي.

أندروماخي: زوجة هيكتور. والدة أستواناكس من هيكتور.

أوديسيوس: ملك إيثاكا. بطل الأوديسة.

أوليمپوس: جبل تعيش على قمته آلهة السموات.

إيثاكا: جزيرة بعيدة عن ساحل إيبروس وهي وطن أوديسيوس وتيليماخوس وآخرين.

إيدا: سلسلة جبال قريبة من طروادة منها راقب الآلهة مجريات الحرب.

إيدايوس: المنادي الرسمي لپرياموس.

إيروس: متسول جزيرة إيثاكا الجشع.

إيريس («قوس قزح»): رسولة الآلهة.

آينياس: طروادي. ابن أفروديتي وأنخيزس. بطل الإنيادة.

أيولوس: إله الرياح.

پاريس: ابن پرياموس وهيكابي. شقيق هيكتور. زوج هيلينا الطروادي.

پالينوروس: ربان سفينة آينياس. قابلت روحه آينياس في العالم السفلي.

پرياموس: ملك طروادة العجوز. والد هيكتور.

بوتيس: جندي طروادي.

پوسايدون (ل. نيپتونوس): إله البحار. عدو أوديسيوس.

پولوفيموس («المذكور بكثرة»): كوكلوب. عدو أوديسيوس.

پولوكاستي: ابنة نسطور.

پيرسيوس: ابن زوس وداناي. قاتل ميدوسا.

پيزستراتوس أو پيستستراتوس: ابن نسطور. رافق تيليماخوس في الطريق إلى إسپرطة.

پيلوس أو پولوس: موطن نسطور الپيلونيزي.

پيليوس: والد أخيل.

پينيلوبي: زوجة أوديسيوس. والدة تيليماخوس.

تارتاروس: هوة سحيقة حالكة الظلمة حيث تُعاقب الأرواح الأكثر خبثاً وشراً في الملاحم الهوميرية.

تانتالوس: غني شرير يُعاقب في هاديس.

تايريسياس أو تيريسياس: حكيم أعمى في بيت هاديس.

تورنوس: بطل إيطالي في الإنيادة.

تيليماخوس: ابن أوديسيوس وپينيلوبي.

ثاناتوس («الموت»): الموت مجسداً.

ثريناكيا: جزيرة. موطن قطعان إله الشمس هيليوس.

ثيتيس: ربة البحر. زوجة پيليوس ووالدة أخيل.

چوپيتر: المقابل الروماني لزوس.

داناي: العذراء والدة پيرسيوس.

دودونا: موقع أشجار البلوط في إبيروس التي كان بواسطة حفيفها يتنبأ كهنة زوس.

ديفوبوس أو دايفوبوس: أخو هيكتور.

ديونيسوس: ابن زوس وسيميلي. إله الخمر والجنون.

رومولوس: ابن مارس وريا سيلڤا. شقيق ريموس التوأم. سُميت روما تيمناً به.

ريا سيلفا: والدة رومولوس من مارس.

زوس (بن كرونوس. ل. چوپيتر أو چوف): أسمى آلهة الإغريق. ملك أوليمپوس.

سارپيدون: ابن زوس ويوروپا. قاتل عن طروادة.

سيميلي: والدة ديونيسوس.

طروادة: مدينة على الشاطئ الغربي لآسيا الصغرى حيث دارت الحرب الطروادية.

طرواديون: أهل طروادة.

طيبة: موطن هرقل. محل ميلاد ديونيسوس.

غلاوكوس («اللامع»): قائد ليكيّ دافع عن طروادة.

فويبوس: كناية عن أبولو كإله الشمس.

فياكيا: جزيرة. موطن الفياكيين.

فياكيون أو فياكس: أهل جزيرتي شيريا (أو سخيريا) وفياكيا. بحارة ممتازون.

ڤينوس: المقابل الروماني لأفروديتي. والدة آينياس.

كالوپسو («المُخفية»): ربة البحر التي احتجزت أوديسيوس لسنوات.

كرونوس: أصغر أبناء أورانوس وغيا. والد زوس.

كسانثوس: جواد أخيل الناطق.

كليتمنسترا أو كلوتايمنيسترا («المشير المشهور»): زوجة أغاممنون. عشيقة أيغيسثوس.

كوكلوپ: عمالقة عور تأكل لحوم البشر.

كيربيروس: كلب ذو رؤوس ثلاثة وعرف وذيل من ثعابين كان يحرس مدخل هاديس.

كيركي: ساحرة تقطن جزيرة أيايا تمسخ عقاقيرها الناس لهيئة حيوانية، خاصة خنازير.

لايرتيس: ملك إيثاكا. والد أوديسيوس من زوجته أنتيكليا.

لايسترونيّون أو لايستروغونيس: سلالة پوسايدون. عمالقة آكلي لحوم البشر.

ليسا («الجنون»): سلاح هيرا ليُجن جنون هرقل.

ليكوس: حاكم طيبة الشرير.

مارس: إله الحرب الروماني. المقابل الروماني للإله أريس.

مزلزل الأرض: كناية عن پوسايدون.

ميركوريوس أو ميركوري: المقابل الروماني للإله هيرميس.

ميسينوس: رفيق آينياس. قابلت روحه آينياس في العالم السفلي.

ميغارا: ابنة كريون ملك طيبة. زوجة هرقل.

ميلانثو (مؤنث: سوداء»): عبدة أوديسيوس عديمة الوفاء.

ميلانثيوس («مذكر: أسود»): عبد أوديسيوس عديم الوفاء.

مينتور: عهد إليه أوديسيوس رعاية عائلته أثناء غيابه في طروادة. كانت أثينا تتشكل أحياناً بشكله لتساعد تيليماخوس.

مينيس: صديق أوديسيوس. كانت أثينا تتشكل أحياناً بشكله لتساعد تيليماخوس.

مينيلاوس: ابن أتريوس. شقيق أغاممنون. ملك إسبرطة. زوج هيلينا الشرعي.

ناوسيكا: ابنة ألكينوس ملك الفياكيين.

نسطور: ملك پيلوس. قاتل في الحرب الطروادية.

نويمون («المفكر»): ابن فرونيوس («الذكي»). مالك سفن إيثاكي.

هاديس: إله العالم السفلي.

هرقل أو هِرقوليس أو هركليز: ابن زوس وألكمينا. أعظم أبطال الإغريق.

هيپنوس أو هوپنوس («النوم»): النوم مجسداً.

هيرا (ل. چونو): شقيقة وزوجة زوس. عدوة طروادة.

هيرميس: ابن زوس. رسول آلهة أوليمپوس.

هيكابي أو هيكوبا: زوجة پرياموس ملك طروادة. والدة هيكتور.

هيكتور أو هكتور: أكبر أبناء پرياموس وهيكابي. زوج أندروماخي. حامي حمى طروادة. تنتهي الإلياذة بدفنه.

هيلينا أو هيلين: أجمل نساء عصرها. ابنة زوس وليدا. زوجة مينيلاوس وبعده پاريس. سبب قيام الحرب الطروادية.

هيليوس أو هوپيريون: إله الشمس خاصة عند شروقها.

يوروكليا («ذائعة الصيت والشهرة»): مرضعة أوديسيوس الأمينة.

يوررولوخوس («المترقب من بعيد»): مساعد أوديسيوس الغير أهل لمنصبه.

يومايوس («حسن التربية»): عبد أوديسيوس الوفي.

مقدمة المؤلف للترجمة العربية

لم يكن من الممكن إنجاز ترجمة كتاب «أسْطَرة يسوع» إلى اللغة العربية لولا بصيرة المترجمة، ومهارتها، وإخلاصها العميق، رغم تفضيلها عدم الكشف عن هويتها. فبعد قراءتها لعدد من مؤلفاتي، ولا سيّما هذا الكتاب، أدركت أنه يُمثّل اختراقًا حقيقيًا في تفسير العهد الجديد. وعلى الرغم من التحديات الجسيمة التي واجهتها في نقل النص من الإنجليزية، وأحيانًا من اليونانية، فقد سخّرت خبرتها وعزيمتها لإتمام الترجمة ودفعها نحو النشر. وسيظل امتناني لها دائمًا على هذا الجهد النبيل.

لقد انطلقت في عملها من قناعة راسخة: فرغم أن الأناجيل لطالما فُسّرت ضمن سياق اليهودية التوراتية، فإن كثيرًا من اليهود، قبل زمن يسوع بقرون، كانوا قد تأثروا بالثقافة الهلنستية، وانخرطوا في الحياة الدينية اليونانية، بل وتنافسوا معها أحيانًا. ومع ذلك، أغفل معظم المفسرين، على امتداد تاريخ طويل من التأويل، تأثير الشعر اليوناني في تشكيل سرديات الأناجيل، حيث صُوِّر يسوع بوصفه أكثر رحمة وقوة من أبطال مثل أخيل وأوديسيوس. وكانت فكرة «المحاكاة» (mimesis) جوهر التعليم الخطابي اليوناني، وهي تقوم على تقليد نماذج أدبية كلاسيكية، أبرزها ملحمتا هوميروس: الإلياذة والأوديسة.

ورغم أن يسوع لم يكن شخصية أسطورية، إلا أن صورته خضعت لعملية «أسطرة» جعلته في مصافّ الآلهة والأبطال في الميثولوجيا اليونانية، ولا سيّما كما صوّرتهم ملحمتا هوميروس. ويعبّر العنوان الفرعي للكتاب عن هذا التحول: «من معلّم يهودي إلى بطل ملحمي». ومن المفارقات أنّ يسوع التاريخي يزداد وضوحًا كلما أُزيلت عنه تلك الطبقات الأسطورية.

وبحسب علمي، لا يوجد في اللغة العربية كتاب يتناول هذا الموضوع بهذا العمق والمنهجية. ومع ذلك، أعتقد أنّ أعمالًا أخرى ستلحق به قريبًا. ويسرّني أن يكون «أسطرة يسوع» فاتحةً لهذا المسار، مقدّمًا منظورًا جديدًا إلى يسوع والأناجيل لقرّاء العربية.

المؤلف

دينيس ر. ماكدونالد

المقدمة

البطل المسيحي الخارق

لم تخترع هوليوود مفهوم البطل الخارق فهي فكرة مألوفة لدى البشر منذ عصور ما قبل التاريخ. فآلهة الإغريق على سبيل المثال لا الحصر أمكنهم المشي على الماء والتحليق في الهواء وزيارة الجحيم أو الهوة حيث يقطن الموتى بل والاستمرار بفعل كل ذلك للأبد لتمتعهم بالخلود. هكذا ظهر الآلهة في أقدم الأدبيات اليونانية التي وصلتنا وبالأخص في عملين ملحميين ينسبان لهوميروس أو هومر (حوالي 700 - 620 ق.ح.ع.)

تحكي الإلياذة قصة حصار مدينة طروادة لعشر سنين تحت وطأة تحالف للجيوش اليونانية يقوده أجاممنون، وتنتهي بمقتل هيكتور البطل الطروادي على يد أخيل ابن الإلهة ثيتيس. أما الأوديسة فتروي قصة رحلة البطل أوديسيوس العائد من الحرب إلى موطنه والتي استغرقت عشر سنين أخرى حيث تتحطم السفن ويجابه أكلة لحوم البشر والسحرة بل ويدخل أرض الموتى ويعود منها حياً، حتى يصل سالماً إلى أسرته في جزيرة إيثاكا متنكراً في هيئة متسول فيقتل أكثر من مئة رجلٍ طاردوا زوجته بينيلوبي بغية الزواج منها. و إن كان أوديسيوس نفسه

على عكس أخيل لم يكن نصف إله إلا أن الأوديسة تزخر بعجائب الآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال ممن نالوا حظوتهم. فهاك أثينا تمشي على الماء وتغير هيئتها لتظهر بصورة شخص آخر، وأيولوس يأمر الرياح بأمره فتأتمر، وبوسايدون يأمر البحر فيهتاج أو يهدأ، وزوس أو زيوس سيد الصواعق وملك الآلهة يدير المشهد عن بعد. ما يبرهن لنا على افتتان الشاعر (أو الشعراء) هوميروس وجمهوره بالأبطال الخارقين، تماماً مثلنا اليوم.

وقد روى المسيحيون الأوائل قصصاً مشابهة عن يسوع، أنموذج البطل الخارق لديهم. فقد عاش قديماً معلم يهودي بسيط اسمه يسوع ولكن في خلال فترة يسيرة من مقتله أو وفاته كتب أتباعه عنه زاعمين أنه نصف أو ابن إله وأنه يمتلك قوى خارقة تشفي الأمراض وتقيم الأموات وأنه أقوى من شرير هذه القصة أي إبليس وأنه لا يزال قادراً على صنع العجائب حتى بعد موته وقيامته وصعوده حياً للسموات. هكذا اختار اثنان من كاتبي الأناجيل -نعرفهما الآن بمرقس ولوقا-إعادة تشكيل الذكريات والمرويات عن يسوع لتحاكي الإلياذة والأوديسة.

الانتقال من الواقع للأسطورة

لم يسبق كتابة إنجيل مرقس سوى ثمان نصوص مسيحية فقط، الرسائل السبعة الأصيلة لبولس شاول الطرسوسي وانجيل مفقود غالباً ما يطلق عليه كيو الحرف الأول لكلمة المصدر بالألمانية، وأحياناً ما يسمى بمنطوقات يسوع. ومن مجموع تلك النصوص يمكننا إعادة بناء تقاليد الكنيسة الأولى عن يسوع:[1]

(1) في كتابه «حطام إنجيلين: أقوال يسوع وبابياس» (مجتمع الأدب الكتابي المسيحية الأولى وآدابها 8؛ أتلانتا: مجتمع الأدب الكتابي، 2012) سجل المؤلف محاولته استخلاص نص الإنجيل المفقود.

سافر يسوع من موطنه بناصرة الجليل إلى اليهودية حيث انضم لآخرين جذبتهم دعوة يوحنا المعمدان للمعمودية في نهر الأردن لغفران الخطايا. عاد يسوع من ثم إلى الجليل وجال القرى والمدن كمبشر تلمذ الكثيرين كلهم من الذكور. اعتبر يسوع نبياً من قبل أتباعه منذراً بقرب مجيء ملكوت الله، طارداً للأرواح الشريرة وصانعاً للمعجزات. لاقى يسوع العداء من بعض السلطات اليهودية وصلب على يد الرومان. ظهر بعد موته لنحو خمسمئة شخص على حد قول بولس الرسول ليعتبر بعد ذلك ابن الله والمسيح الموعود من نسل داود. كان من المتوقع أن يعود للأرض قريباً لإنقاذ أتباعه.

ويالها من سيرة ذاتية جبارة. فهي لا زالت تحمل الكثير من الزخرفة الأسطورية ولكن ذلك لا يزال لا يضاهي قدر المبالغات التي يجدها المرء في إنجيل مرقس، الإنجيل الأول. فنقرأ في إنجيل مرقس عن إشباع يسوع لآلاف الناس بالقليل من السمك والخبز-مرتين، إخضاع رجل كهف لا يقهر تسلط عليه شيطان، إرسال ألفي خنزير إلى حتفهم بكلمة، المشي على الماء والتحدث مع الموتى. فيما بالكاد يذكر بولس والإنجيل المفقود حفنة من الأشخاص المحيطين بيسوع، نجد أن مرقس يقدم لنا سرديات واسعة مليئة بالشخصيات والشخصيات المساعدة من أتباع غير مخلصين إلى معارضين وأعداء دينيين وسياسيين بالإضافة للعديد والعديد من المستفيدين من القوى العلاجية وطرد الأرواح.

خلق كاتب الإنجيل معظم شخصياته وأحداثه دون الاعتماد على تقليد أو مصدر أسبق، بل قام بمحاكاة الملاحم الهوميرية التي ضمنت لليونان والثقافة واللغة اليونانية مكانة لا تضاهى لمدة ألف عام على الأقل. أما كاتب إنجيل لوقا فقد قرأ مرقس باعتباره خيالاً تاريخياً ووسع من نطاق محاكاته للملاحم المعروفة.

وهكذا فإن قراءة الأناجيل ككتب تاريخية بحتة وثق فيها شهود عيان حياة الإنسان يسوع يجور على نية المؤلفين الذين أرادوا إظهار يسوع بصورة البطل الخارق المطلق الذي لا يضاهى فحسب الأبطال والآلهة في أدب الإغريق وإنما يتفوق كذلك على أبطال وأنبياء الكتب اليهودية المقدسة. فهو أقوى الجميع كما أنه كمال تجسيد القيم الأخلاقية اليهودية كالعدالة والرحمة والحنو.

الاصطدام بالملاحم الهوميرية كحتمية ثقافية

لا جدال في أهمية الملاحم الهوميرية في العصور القديمة؛ فيخبرنا أحد معاصري مرقس ولوقا: «يربى الطفل منذ بداية دراسته على تعلم أعمال هوميروس بل وإننا والحق رضعنا ملاحمه مذ كنا في القماط. فهي أول ما تدرس مبتدئاً وخير ما تتعمق في دراسته في شبابك. في كل مراحل حياتنا من الطفولة للشيخوخة لا نتوقف عن التزود منه.»[1]

شمل التعليم في المدارس اليونانية إلى حد كبير تعلم محاكاة مادة الدرس، وانتقلت الفكرة ذاتها إلى الرومان، فسمي هذا الأسلوب باليونانية ميمسس وباللاتينية ايميتشيو، أي التقليد والتشبه. ويظهر بليغ الأثر الهوميري في العديد من الأنواع الأدبية بخلاف الشعر، فنجده جلياً في التاريخ والسير الذاتية والأدب الروائي. ولا نخلط بين هذه المحاكاة الأدبية المحمودة والسرقة الأدبية لأعمال آخر أو التحريف العمدي في التأريخ أو السذاجة في النقل التي يظن الكاتب معها أن الجمهور يغفل عن مصدر إلهامه. سعى الكاتب القديم بدلاً عن ذلك لإبهار القارئ باستحضار السوابق الأدبية الفائقة في رؤية فلسفية جديدة أو قيمة أخلاقية

(1) هرقليطس، الأسئلة الهوميرية 1. 5 – 6.

يصيغها، بل إن هذه المحاكاة الأدبية عادة ما دعت لنوع من المنافسة الشريفة بين الكاتب المؤثر الموهوب والأجيال القادمة من دارسي مؤلفاته.

الإنياذة لفرجيل كمثال

على الرغم من محاكاة كثير من الأعمال الأدبية القديمة لملاحم هوميروس إلا أن حدة التشبه في إنجيلي مرقس ولوقا كانت أكثر كثافة وأعلى توجّهاً مقارنة بغيرها. ولعل ذلك جاء تأثراً بعمل مشابه. كتبت الإنياذة أو الإنيادة كقصيدة باللاتينية تروي قصة آينياس ابن الإلهة فينوس (أفروديت باللاتينية) والطروادي أنخيزس قائداً الناجين من الحرب من طروادة إلى إيطاليا ليؤسسوا حضارة جديدة.

ليروي فرجيل هذه القصة استعار الشخصيات والأحداث والخطوط العريضة لأفكاره الرئيسية من هومر: فمحاكاة الأوديسة تهيمن على الفصول الستة الأولى من الإنياذة ومحاكاة الإلياذة تهيمن على الفصول الستة الأخيرة منها. توفي فرجيل في العام التاسع عشر للحقبة العامة في حين كانت الإنياذة كعمل أدبي لم تنته بعد، ولكن عمل أصدقاؤه على أن يتم نشرها بالرغم من ذلك وبالفعل حققت نجاحاً باهراً. فأكثر من أي عمل أدبي آخر تحدد الإنياذة الهوية السياسية الرومانية.

بكتابة مرقس لإنجيله بعد الحرب اليهودية 66 – 70 ح.ع. أراد إظهار يسوع كمنافس ليس فقط لأبطال الإغريق بل ولإينيس وأباطرة الرومان، ما يفسر وجود الكثير مما تخير فرجيل محاكاته من الملاحم الهوميرية في إنجيل مرقس، كما يفسر كذلك سبب هيمنة محاكاة الأوديسة على بداية الإنجيل ومحاكاة الإلياذة على أواخره. على ما يبدو رغب مرقس بالقيام بذات الدور الذي تقلده فرجيل تجاه الإمبراطورية، تجاه الكنيسة الأولى: أي تقديم سردية عظيمة عن البطل المؤسس.

استعار مرقس كفرجيل تماماً الكثير من أفكاره وثيماته من هوميروس (بالإضافة لتوظيفه للأدب اليهودي).

وبعد عدة عقود كتب مؤلف إنجيل لوقا إنجيله والأعمال الملحق به مستعيناً بإنجيل مرقس كمصدر أساسي مع استمرار محاكاة الأدب اليوناني واللاتيني وبتوسع.

نجد أنه حتى في العصور الأولى للمسيحية الوليدة أدرك قراء الأناجيل أوجه التشابه بين يسوع وآلهة وأبطال الأدب اليوناني.

الشهيد يوستينوس حول يسوع وأبطال الإغريق

بعد مرور قرن من الزمان على وفاة يسوع كتب مسيحي يدعى يوستينوس دفاعاً عن الدين الجديد متظلماً: «بالرغم من كون ما نقوله لا يخرج عما يقوله الإغريق فإننا مكروهون.» (الدفاع الأول 24: 1) فعندما يقول المسيحيون إن «يسوع بكر الله» وإنه «صلب ومات وبعد قيامته صعد إلى السموات» فإنهم «لا يأتون سوى بما تعترفون به أنفسكم لأبناء زوس» (21: 1) من ثم يستطرد فيسرد أسماء العديدين من أبناء زوس، مع التأكيد على أنه بخلاف الحال مع هيرمس وديونيسوس وهيركليز فالتصور المسيحي عن يسوع لا يتضمن أي اتحاد جنسي للإله بإمرأة بشرية (25: 2 و33).

«وإن كنا نقول إن يسوع قد شفى الأعرج والمقعد والمولود أعمى وأقام أموات، فما نقوله لا يعدو أن يكون مشابهاً لتلك العجائب التي صنعها أسكليبيوس» إله الشفاء عند الإغريق (22). فتعاليم يسوع وأتباعه تشابه تعاليم سقراط وأفلاطون (5، 8، 44، 59 – 60)، ومعاناته تماثل معاناة هيركليز وصعوده إلى السموات

يجد قياسه في صعود العديدين من آلهة اليونان. «ماذا عن أباطرتكم الموتى الذين تؤمنون بأن هناك من أنقذهم من الموت حتى ليقسم بعضكم أنه رأى القيصر المحترق [أغسطس -غايوس أوكتافيوس قيصر] صاعداً عبر المحرقة من الأرض إلى السماء؟» (21: 3) فكانت فكرة يوستينوس كالتالي: مادام المسيحيون قد ألحقوا بيسوع صفات صدقت على من عداه من أبطال فلا مبرر للاستنكار أو لاستكثارها عليه.

ولم يكن يوستينوس هو المسيحي الأول الوحيد الذي أدرك عظيم الشبه بين يسوع وأبطال وآلهة اليونان، فقد تلاه ترتليانوس الذي شبه صعود المسيح بصعود غيره من أنصاف الآلهة: «اختطاف يسوع للسموات أكثر جدارة بالتصديق من صعود رومولوس» المؤسس الأسطوري لروما والسلالة اليوليوكلودية.[1]

وبالرغم من تمكن يوستينوس من تعداد كثير من أوجه الشبه بين القصص الدوغمائية المسيحية والأساطير اليونانية والرومانية لإيجاد أرضية مشتركة لتقبل الآخر إلا أنه ميز هذه الحكايا كعوامل ضعف تدعو للحرج؛ ولذا فقد جادل بضراوة ليثبت إنه «وإن كان لديكم ما يشابه ما نقول به فهذا لأنكم تقلدوننا.» (1 :60)

فكانت حجته كالتالي: عاش موسى وأنبياء اليهود طويلاً قبل عهد هوميروس ونطق روح النبوة على ألسنتهم بكل ما يتعلق بمجيء يسوع المسيح، وبالتالي فإن ما يؤمن به المسيحيون هو في الواقع أقدم مما جاء في الملاحم اليونانية.[2]

---

(1) ترتليانوس، الدفاع 21. 23 (ل.ك.ل).

(2) زعم يوستينوس على سبيل المثال أن النبوءة بأن تلد العذراء أش7: 14 ألهمت أسطورة مولد برسيوس من داني، وأن مز19: 5 ألهم كاتب مغامرات هرقل، وأن الشياطين ابتدعت أسطورة إسكليبوس تأثراً بنبوءات أشعياء عن مجيء شافٍ (الدفاع الأول 54).

وبسماع الشياطين بما يبشر به أولئك الأنبياء تفتقت أذهانهم عن الإتيان بأبناء أنصاف أرضيين لزوس ليوهموا الناس بأن كل ما أتي به المسيح لا يعدو كونه عجائب تقليدية سبق أن أتت بها مخيلة شاعر... ولكن وبالرغم من سماعهم ما قيل بالأنبياء إلا أن الشياطين ما تفهم ما سمعت ولم تحسن تقليده. (54: 2 – 4)

علاوة على ذلك فإن هوميروس وأفلاطون وغيرهم عرفوا شيئاً من الكتب اليهودية المقدسة كالشياطين (44 و59 – 60)؛ ولهذا كانت تعاليمهم حقة. فإن اختلف الشعراء مع الأنبياء نسب الخطأ لشطوح الشعراء، أما متى اتفقا فمرجعه لاطلاع الشعراء على ما كتب موسى وغيره. فتكون المحصلة أن التصوير الإنجيلي ليسوع يشابه التصوير الهوميري لأبناء زوس لا لمحاكاة كتاب الأناجيل للشعر اليوناني الكلاسيكي بل على العكس لتقليد الكتاب اليونانيون للكتابات اليهودية المقدسة.

لا يأخذ المؤرخون اليوم هذا التفسير اليوستيني على محمل الجد. بل على العكس يعتقد أن مرجع التشابه بين يسوع وأبطال الإغريق يكمن في التأثير المتزايد للأساطير اليونانية على النقل التواتري لقصة ليسوع، وهي عملية مشابهة لنسج الأساطير حول الأباطرة الأوائل. وقد ذهب البعض إلى أن هذه النزعة تكونت أولاً لدى المسيحيين الناطقين باليونانية، والذين أخذ عنهم كتاب الأناجيل دون تمييز. على العكس من هذا التواتر التدريجي النمو، أؤيد حدوث انفجار عظيم، تفجر مفاجئ للمرويات عن يسوع أشعله سقوط أورشليم في 70 ح.ع. وانتصار الرومان في الحرب اليهودية الأولى.

لثلاث عقود من الزمن كرست جل مجهودي العلمي لتتبع تأثير الأدب اليوناني الكلاسيكي على النصوص اليهودية والمسيحية. نشرت بضع كتب عن الموضوع

بالإضافة لعشرات المقالات، وكان صلب هذه الدراسات المنهج العلمي الذي صار يعرف بالنقد المحاكي، والذي يختبر التأثير الأدبي لنص على آخر من خلال تطبيق سبع معايير هي:

- الإمكانية

وأقصد بها إمكانية وصول كاتب النص اللاحق للنموذج المفترض.

- الشعبية

أي شعبية النص المستهدف، بحيث نبحث إذا ما كان قد قام آخرون بمحاكاته كنموذج أدبي من قبل.

- الكثافة

بحيث ينبىء وجود أوجه تشابه متعددة بين النصين عن وجود صلة أدبية بين نشأتهما.

- التتابع

يفحص هذا المعيار التسلسل النسبي لأوجه الشبه في العملين، فإذا ظهرت المتوازيات بنفس الترتيب أنبأ ذلك عن وجود اتصال اشتقاقي بينهما.

- السمة المميزة

أي وجود علامة فارقة غير مألوفة في كل من النموذج والمقترض تربط الاثنين في علاقة خاصة.

- المقابلة

وأقصد بها تقييم ما يكتسب من النص إذا ما تم ربطه بالنص الأقدم وتفسيره كمدين له.

عادة ما كان المؤلفون القدماء يقلدون أسلافهم لإظهار المقدرة ومنافستهم سواء في الأسلوب أو الكفاية الفلسفية أو القدرة على الإقناع أو المنظور الديني. سبق أن طبقت هذه المعايير الستة في مؤلفاتي السابقة ولكن مع ظهور مؤلفيّ الأخيرين للنشر توصلت لمعيار سابع تنفرد به الروايات الإنجيلية.

- كان القراء اليونانيون قبل العام 1000 ح.ع. على دراية بهذه الألفة و المصاهرة بين روايات العهد الجديد والقوالب اليونانية الكلاسيكية التي صيغت عليها، ما يدعمه التقليد البيزنطي في التعليق على تأليف الأناجيل بحد ذاته.

لربما يكون من المفيد هنا استعراض حالة محاكاة وردت في إنجيل مرقس، لا تتعلق بيسوع وإنما بشخصية ثانوية قاومت محاولات التعرف على صاحبها باستخدام منهجيات متعددة.

الشاب العاري: مثال

يخبرنا الإنجيل بحسب مرقس أنه وبعد العشاء الأخير مع تلاميذه، صلى يسوع لتجوز عنه كأس الموت القاسي مع تسليمه لمشيئة الله. وجد تلاميذه الأحد عشر نياماً ثلاث مرات، ومن ثم أتى يهوذا الاثني عشر على رأس كتيبة مسلحة للقبض عليه. ثبت يسوع في مكانه ولكن كل من كانوا معه فروا، بمن فيهم شخصية غير مسماة تظهر في السردية هنا لأول مرة. «فَتَرَكَهُ الْجَمِيعُ وَهَرَبُوا. وَتَبِعَهُ شَابٌّ (نيانيسكوس) لابِسًا إِزَارًا عَلَى عُرْيِهِ، فَأَمْسَكَهُ الشُّبَّانُ، فَتَرَكَ الإِزَارَ (سندونا) وَهَرَبَ مِنْهُمْ عُرْيَانًا» (مر14: 50 – 52). ولطالما كانت هوية هذا الجبان موضعاً للتكهنات حتى بين القراء الأوائل لإنجيل مرقس.

وعندما أعاد كتاب الأناجيل اللاحقون رواية القصة أخرجوا هذه الشخصية كلياً من الصورة.

ومع ذلك حاول المفسرون مقارنة هذه الشخصية باثنتين أخريين وردتا في ذات الإنجيل، إحداهما يسوع نفسه. إذ وبعد الصلب في الليل أتى يوسف الرامي ولف جثة يسوع العارية في قطعة من الكتان. وهنا يستخدم مرقس نفس الكلمة التي استخدمها في وصف ثياب الشاب الهارب، ما يدل على أن هذا الشاب كان هو الأنا البديلة أي شخص يسوع نفسه. ففيما ترك الشاب إزاره (سندونا) وفر عارياً، واجه يسوع قدره ببسالة حتى كُفن في (سندونا).

أما الشخصية الثانية فكان شاباً آخر لم يذكر اسمه يظهر في قبر يسوع. يخبرنا مرقس أنه «باكراً جداً في أول الأسبوع» ذهبت ثلاث نساء ليدهنّ جسد يسوع. «وَلَمَّا دَخَلنَ القَبرَ رَأينَ شَابّاً (نيانيسكون) جَالِساً عَن اليَمينِ لابِساً حُلَّةً بَيضَاءَ، فَاندَهَشنَ. فَقَالَ لَهُنَّ: لا تَندَهِشنَ! أنتُنَّ تَطلُبنَ يَسوعَ النَّاصِريَّ المَصلُوبَ. قَد قَامَ! لَيسَ هُوَ هَهُنَا. هُوذَا المَوضِعُ الَّذي وَضَعُوهُ فِيهِ.» (مر16: 5 – 6) وهذا الشاب الثاني هو شخصية بديلة ليسوع، بل إن العديد من المفسرين يذهب بحق إلى أنه هو نفسه الشخص الأول. ونعتقد أن سبب تحول ملبس الشاب يرجع للقيامة.

مر14: 51 - 52	مر16: 5
هرب التلاميذ «وَتَبِعَهُ شَابٌ (نيانيسكوس)... لابِساً (بريبيليمينون) إزَاراً عَلَى عُريِهِ.»	دخلت النساء القبر فوجدن شَابّاً (نيانيسكون)... لابِساً (بريبيليمينون) حُلَّةً بَيضَاءَ.»
فطاردوه «فَتَرَكَ الإزَارَ وهَرَبَ مِنهُمْ عُريَاناً.»	«وَلَمَّا دَخَلنَ القَبرَ- جَالِساً عَن اليَمينِ.»

لن نناقش هنا سبب خلق مرقس لهذه الشخصية الغامضة ولكن يعنينا أن نلفت لظهور شاب مثيل في ملحمة هوميروس بل وفي سياق روائي مماثل.

في الأنشودة العاشرة من الأوديسة بعدما أقام طاقم سفينة أوديسيوس وليمة في جزيرة كيركي الساحرة، سقطوا نياماً بينما أطال أوديسيوس بقاءه في مقصورتها للمرة الأخيرة. وهناك أخبرته بأن عليه استشارة الرائي الأعمى تايريسياس في الهاوية للحصول على التعليمات الواجب عليه اتباعها ليعود لمنزله سالماً. وعند الفجر أيقظ رفاقه وأبحر. من ثم وقعت الكارثة:

> فقد كان هناك إلبينور، أصغر الجميع، ولم يكن شجاعاً في الحرب، ولا سليم الإدراك، إنه آثر أن يتخلَّف عن رفقائه في بيت كيركي المقدس، طلباً للهواء الرطب؛ إذ كان مثقلاً بالخمر، فسمع الضوضاء التي أحدثَها زملاؤه وهم يتحركون هنا وهناك، فوثب فجأة ناسياً أن يتجه نحو السلم الطويل ليهبط، وعندئذٍ سقط من السطح، فانكسر عنقه منفصلاً عن سلسلة ظهره، فهَبطَت روحه إلى بيت هاديس.(10. 546 - 560)

غافلاً عن وفاة رفيقه الشاب وصل أوديسيوس إلى حافة العالم وأدى طقوس استدعاء الموتى. ولكن بدلاً من روح تايريسياس الذي أراد استدعاءه، ظهر له إلبينور وحكى له كيف قضى نحبه وطلب منه أن يعود لجزيرة كيركي ليدفن جثمانه. ووافق أوديسيوس. ولذا وعند الفجر وبمجرد التشاور مع تايريسياس- وموتى آخرين- أبحر عائداً للجزيرة ودفن جثة إلبينور. (12. 8 - 15)

ألهمت هذه الشخصية الهوميرية الكثيرين فكثرت محاكاتها، حتى وردت مرتين في إنياذة فرجيل. إذ وبينما يزور آينياس الموتى في إريبوس يتعثر في جثة رفيقه ميسينوس الشاب الذي «استدرجه [تريتون] بين الصخور، وأغرقه تحت الأمواج المزبدة» (6. 174). وتحاكي قصة دفن ميسينوس دفن إلبينور (قارن أو12. 15-8 وإن 6. 212 - 233). وفي المحاكاة التالية نجد أن قائد دفة آينياس بالينوروس

سقط ميتاً وتحدثت روحه إلى قبطانه في أرض الموتى.[1] تندر التمثيلات الفنية لشخصية إلبينور ولكن الصورة المدرجة في نهاية هذا الفصل تصوره خارجاً من العالم السفلي عارياً لتحية أوديسيوس.

والأكثر من ذلك أن كاتب إنجيل لوقا يحاكي شخصية إلبينور، لا في إنجيله إنما في مؤلفه الآخر أعمال الرسل. فيروي لنا القصة التالية عن بولس في ترواس:

«وَكَانَ شَابٌّ اسمُهُ أفتيخوسُ جَالِسَاً فِي الطَّاقَةِ مُتَثَقِّلاً بِنَومٍ عَمِيقٍ. وإذْ كَانَ بُولُسُ يُخَاطِبُ خِطَابَاً طَوِيلاً، غَلَبَ عَلَيهِ النَّومُ فَسَقَطَ مِنَ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ إلى أسفَلُ، وَحُمِلَ مَيْتَاً. فَنَزَلَ بُولُسُ وَوَقَعَ عَلَيهِ وَاعتَنَقَهُ قَائِلاً: لا تَضطَرِبُوا! لأنَّ نَفسَهُ فِيهِ! ثُمَّ صَعَدَ وَكَسَّرَ خُبزَاً وَأكَلَ وَتَكَلَّمَ كَثِيرَاً إلى الفَجرِ. وَهَكَذَا خَرَجَ. وَأتَوا بِالفَتَى حَيَّاً، وَتَعَزَّوا تعزِيَةً لَيسَتْ بِقَلِيلَةٍ.» (أع20: 9 - 12)

فيما سقط إلبينور ميتاً تحت تأثير الخمر، سقط أفتيخوس بينما كان يستمع لعظة بولس. وبينما كان أوديسيوس لا يدري ما أصاب رفيقه، علم بولس بموت أفتيخوس ولكن أخبر المحيطين به بأن روحه لم تفارق جسده بعد. وبينما مات إلبينور ودفن جثمانه عند الفجر، خرج المؤمنون بصحبة أفتيخوس حياً عند الفجر. ومن الجدير بالذكر أن لفظة (يوتيكس) المعربة أفتيخوس تعني المحظوظ.[2] يستخدم مرقس ولوقا دلالة أسماء الشخصيات كوسيلة لإعلام القارئ بالسابقة الهوميرية كما سنرى.

---

(1) للمزيد راجع لوقا وفيرجل، 166 - 168.

(2) راجع الأناجيل وهوميروس، 223 - 229 تعليقاً على أو10. 551 - 574 للمناقشة الكاملة.

وهكذا تستوفي قصة إلبينور أول معيارين من معايير المحاكاة التي ناقشناها أعلاه. فكان في إمكان مرقس وقرائه فيها بعد العلم بالقصة (المعيار الأول) كما أن كثيرين غيره كتبوا في محاكاتها كفرجيل ولوقا (المعيار الثاني).

أو10. 476 - 560 و12. 1 - 15	مر14: 17 - 52 و16: 5 - 8
وفرت كيركي لأوديسيوس وطاقمه وليمة عامرة اشتملت على الخمر.	أمضى يسوع عشاء الفصح مع تلاميذه، وكان العشاء يشتمل على الخمر.
بعد العشاء وبينما نام طاقمه أمضى أوديسيوس ليلته برفقة كيركي يرجوها لتدعه يمضي في طريقه.	بعد العشاء وبينما نام تلاميذه أمضى يسوع وقت المساء في الصلاة للآب سائلاً إياه أن تجوز عنه هذه الكأس، أي موته.
علم أوديسيوس أن عليه الذهاب للهاوية فبكى ويئس. ومع ذلك رضي بقدره المحتوم.	علم يسوع بموته المحقق وقال «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى المَوتِ» ومع ذلك فقد خضع لمشيئة الآب.
عاد أوديسيوس لرجاله النيام وأيقظهم. «لا تناموا بعد الآن، ولا تستغرقوا في الكرى اللذيذ، بل هلموا بنا ننطلق!»	عاد يسوع لتلاميذه النيام وأيقظهم. «أَنِيَامٌ بَعدُ وَمُستَرِيحُونَ؟ يَكفِي! جَاءَتِ السَّاعَةُ. قُومُوا نَنصَرِف!» (الترجمة العربية المشتركة)
«كان هناك إلبينور، أصغر الجميع، ولم يكن شجاعاً في الحرب، ولا سليم الإدراك» الذي سقط من علٍ ميتاً وهربت روحه لهاديس.	«وَتَبِعَهُ شَابٌ لابِساً إِزَاراً عَلَى عُرْيِهِ» طارده الرومان عند القبض على يسوع.
ذهب أوديسيوس ليتشاور مع تايريسياس الرائي الميت.	ذهب يسوع للمحاكمة والصلب.
عاد أوديسيوس لجزيرة كيركي ليدفن إلبينور عند الفجر ناحباً موته.	عند الفجر ظهر الشاب في قبر يسوع شاهداً على قيامته.

نرى في الجدول أعلاه انطباق معياري التسلسل أي التتابع في الأحداث وكثافة

الاشتقاقات (الثالث والرابع) كما أن تناول وليمة يختفي أو يموت على إثرها شاب جبان لهي سمة مميزة ما كان لها ضرورة سردية (المعيار الخامس). ومع ذلك فقصة الشاب العاري لا يتحقق فيها المعيار السابع والأخير ألا وهو الاعتراف القديم بوجود ثمة صلة بين النصين- ما لم نأخذ دلالة ذلك من محاكاة لوقا للنص المرقسي المحاكي للنص الهوميري في قصة الشاب أفتيخوس. ومن جهة أخرى فالمعيار السادس أي المقابلة وجدوى المحاكاة بتحويل مرقس البكاء عند الفجر بفرح إعلان قيامة يسوع.

في الفصل السابع عشر نناقش ثيمة الاستعداد للموت بينما ينام الرفقاء بعمق في غفلة. على مدى هذه الدراسة سنرى أن إنجيلي مرقس ولوقا مكتظان بالمحاكاة الهوميرية. لمناقشة إنجيلي متى ويوحنا برجاء مراجعة الملحق.

المحاكاة الأدبية ويسوع التاريخي

لا تشكك الزخرفات النصية لمؤلفي مرقس ولوقا بالضرورة في الوجود التاريخي ليسوع، وإنما ما فعلاه لا يزيد عن حقن يسوع بالمنشطات السردية بالقدر الذي يسمح له بالتنافس مع بل والتغلب على أبطال وآلهة الإغريق والرومان. كما لاحظنا في المنطق اللاعقلاني الذي نادى به يوستينوس فهذا التنافس صار مصدر إحراج للعديد من المسيحيين لا سيما الذين يصرون على أن كاتبي الأناجيل نقلوا معلوماتهم عن شهود عيان موثوقين. ومع ذلك فأنا أرى أن الأناجيل لا يجب أن تُقيّم كمحاولات ساذجة لتسجيل سيرة ذاتية تاريخية، بل على العكس من ذلك كأعمال أدبية فذة لخلق منافس للأبطال العالم القديم الشعبيين. فقيمتها لا تكمن في مدى دقتها كأعمال تأريخية وإنما في أسطوريتها ورؤيتها الأخلاقية، في قدرتها على قص رواية ألهمت القراء لاتخاذ قرارات مصيرية ليتشبهوا بحياة وشخص يسوع.

دليلك لاستخدام هذا الكتاب

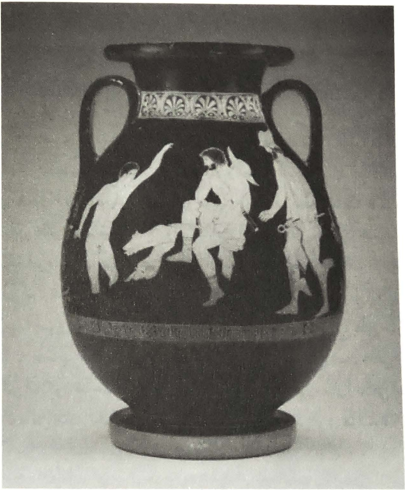
يلخص هذا المؤلَف دراساتي حول موضوع النقد المحاكي- والتي يمكن الاطلاع عليها للاستزادة من الأدلة والحجج للبرهنة على الجدلية، خاصة كتابي الأناجيل وهوميروس. أما كتابنا هذا فيتخفف من أغلب الصلات اللفظية التي أوردها باليونانية في مؤلفاتي الأكاديمية، يقدم تعريباً للفظ اليوناني، يقيد الحواشي البيليوغرافية، ولا يشير إلا ضمنياً لتوافر معايير النقد المحاكي.

تظهر الأحداث هنا بترتيب ورودها في إنجيل لوقا، الإنجيل الأكثر استفاضة في رواية أحداث حياة يسوع في الكتاب المقدس. يبدأ كل فصل عادة مع ترجمتي الخاصة للنص اليوناني الأصلي للإنجيل ومن ثم عرض الأحداث والأبيات الشعرية المقابلة من الأدب القديم. بعد مناقشة أوجه التشابه والاختلاف الاستراتيجية بين الرواية الإنجيلية وقالبها الشعري نستعرض المحسنات النصية المشتركة في أعمدة متوازية للمقارنة الدقيقة، كما في مثالنا عن الشاب العاري وإلبينور.

فطن المثقفون الناطقون باليونانية قديماً منذ عصر يوستينوس ومؤخراً في القرن التاسع لأوجه التشابه بين ملاحم هوميروس والأناجيل- بل إن البعض أعاد رواية الأحداث الإنجيلية مستعيناً بأبيات هوميروس الشعرية والخطوط العريضة لأفكاره. ما نتج عنه القصائد المعروفة بالقنطونات الهوميرية والتي هي قصائد هوميرية اللفظ والطابع وإنجيلية المغزى. أي أنها قصائد مؤلفة بشكل حصري من أبيات متبناة أو مكيفة من النص الفعلي للأوديسة أو الإلياذة، وغالباً ما تكون هذه الأسطر ذاتها هي النواة التي ألهمت النص الهوميري في المقام الأول. ترد هذه النصوص في نهاية الفصل متى توافرت لما تظهره من تجذر المقارنات الإنجيلية- الملاحمية في التفسير المسيحي. وعلى ذلك فالفصل الأخير يلخص نتائج البحث

ويؤكد على أهمية فهمنا ليسوع والأناجيل اليوم.

كل الأبطال الخارقين هم نسج بدعه العقل البشري، ومع ذلك لا يتساوى الأبطال. فالبعض وحوش مؤذية والبعض منقذ للضعفاء والبعض يميزه ذكاؤه والبعض يميزه ما في حوزته من أدوات سحرية خاصة. رفع المسيحيون الأوائل يسوع الناصري لمنزلة البطل الخارق، ولكنهم وإذ فعلوا ذلك لم ينسوا أنه كان معلماً يهودياً بسيطاً علم الناس عن الصدق والعدل والرحمة. في المرات القليلة التي يصوره فيها الإنجيليون كشخص عنيف يكون دافع عنفه مساعدة الآخرين كتحرير مجنون تتسلط عليه الأرواح الشريرة أو طرد من يستغلون الفقراء في العمالة. بوضع هذا عين الاعتبار نجد أن يسوع كان مختلفاً عن آلهة الإغريق الذين انخرطوا في أعمال سيئة السمعة كمحاربة البشر وتدميرهم بدافع الغيرة أو الإساءة لهم إرضاء لأهوائهم وشهواتهم. كما سنرى معاً فإن يسوع بطل خارق مثير للإعجاب أخلاقياً؛ فمعظم القصص التي كان بطلها هي خيال محض ولا يمكن أن تكون قد حدثت، ولكنها مع ذلك خيال يدافع عن معيار أخلاقي أعلى مما نراه من البطل الخارق المعتاد سواء في أعمال هوميروس أو في هوليوود.



الشكل1.1: إلبينور العاري يرتفع من الجحيم ليحيي أوديسيوس الذي انتهى تواً من ذبح كبشين حوالي 440 ق.ح.ع.

المصدر: جرة تظهر أوديسيوس وإلبينور في العالم السفلي- اليونان- الفترة الكلاسيكية حوالي 440 ق.ح.ع.؛ صنعت في أتيكا، أثينا، اليونان؛ سيراميك؛ أحمر؛ الارتفاع 47,4 سم؛ القطر 34,3 سم؛ متحف الفنون الجميلة ببوسطن، صندوق ويليام أموري جاردنر 34.79. تم التصوير في 2014 © جميع الحقوق محفوظة لمتحف الفنون الجميلة ببوسطن

الفصل الأول

المولود إلهاً إنساناً

وفقاً لما ورد في البشارة بحسب لوقا ظهر الملاك جبرائيل لفتاة وبشرها بشرى عظيمة قائلاً:

«لا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَد وَجَدتِ نِعمَةً عِندَ اللهِ. وَهَا أَنتِ ستَحبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابنَاً وَتُسَمِّينَهُ يَسوعَ. هَذَا يَكونُ عَظِيماً وَابنَ العَلِيِّ يُدعَى، وَيعطِيهِ الرَّبُ الإِلهُ كُرسِيِّ دَاودَ أَبِيهِ، وَيَملِكُ عَلَى بَيتِ يَعقُوبَ إِلى الأَبَدِ، وَلا يَكونُ لمُلكِهِ نِهَايَةٌ». فَقَالَتْ مَرْيَمُ للمَلاكِ: «كَيفَ يَكونُ هَذَا وَأَنَا لَستُ أعرِفُ رَجُلاً؟» فَأَجَابَ المَلاكُ وَقَالَ لَهَا: «الرُّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ عَليكِ، وَقوَّةُ العَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذَلِكَ أَيضاً القُدُّوسُ المَولودُ مِنكِ يُدعَى ابنَ اللهِ.» (لو1: 30 – 35) وخرج الملاك من عندها.

كان داود ملكاً في أورشليم عاصمة بيت يعقوب، فكأن الملاك يقول لمريم إن طفلها سيصبح ملكاً لا يكون لملكه نهاية. بل إن أبا طفلها سيكون إلهاً وبالتالي فإن الطفل سيولد نصف إله ونصف بشري.

بعد مولد يسوع ظهر ملاك آخر لرعاة يرعون قطعانهم من الماشية:

«لا تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ اليَومَ فِي مَدِينَةِ دَاودَ مُخَلِّصٌ هُوَ المَسِيحُ الرَّبُّ... وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ المَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الجُنْدِ السَّمَاوِي مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: المَجدُ للهِ فِي الأعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ المَسَرَّةُ.» (لو2: 10 1– 4) وللوقت ارتفعت عنهم الملائكة للسماء.

وكما رأينا فقد اعترف يوستينوس بأوجه الشبه العظيمة بين ميلاد يسوع وغيره من أبطال الإغريق. فقد كان يرى أن المسيحيين بقولهم إن يسوع هو بكر الله فإنهم «لا يأتون إلا بمثل ما تعترفون به أنفسكم [الإغريق] لأبناء زوس» (الدفاع الأول 21: 1). كما أنه فسر التشابه بكونه من صنع الشياطين التي قرأت عن يسوع في النبوات فألهمت به شعراء اليونان ليتفوهوا بمثله عن أنصاف الآلهة «لأنكم تقلدوننا» (60: 1).

في حقيقة الأمر كان المسيحيون هم من قلدوا أبطال الإغريق، ويمكنك رؤية ذلك من خلال مقارنة البشارة بميلاد يسوع بالبشارة بميلاد نصف الإله آينياس في قصيدة قديمة تسمى بترنيمة هوميروس لأفروديت إلهة الحب التي أغوت الأمير الطروادي أنخيزس:[1]

ألقى زوس في قلبها بأعذب الشوق لأنخيزس

الذي كان بين منحدرات إيدا كثيرة الينابيع

يرعى الماشية وكأنه أحد الخالدين

(1) راجع لوقا وفرجيل، 32 – 44 تعليقاً على إن1. 227 – 259، 257 – 296.

كان الجميع يرعون الماشية في المروج العشبية

بينما كان وحده في السقيفة متروكاً من الآخرين

***

ووقفت أمامه أفروديت ابنة زوس

تشبه في الحجم والهيئة فتاة صغيرة

لئلا يخشى منها إذا ما رآها. (53 - 55، 78 - 79، 81 - 83)

***

مأخوذاً بجمالها البارع خشي أنخيزس أن تكون إلهة وعرض عليها أن يبني لها مذبحاً على جبل مرتفع. فأجابته قائلة: «يا أنخيزس أعظم المولودين على الأرض من رجال/ لستُ إلهة بالنسبة لك. لماذا تشبهني بالآلهة؟/ وأنا أيضاً ولدتني أم بشرية مثلك.» (108 - 110)

بعدما مارسا الحب غيرت أفروديت هيئتها لمظهرها الحقيقي وأيقظته. «فلما رأى رقبتها وجمال عينيها/ ارتعد وأشاح بنظره.» (181 - 182)، فقالت له:

يا أنخيزس يا أعظم الرجال

تشجع ولا يخف قلبك

لا تخش من شر تعانيه مني

أو سواي من المباركين؛ لأنك محبوب الآلهة

سيولد لك ابن حبيب يحكم سائر طروادة

وأولاد أولاده من بعده، حتى أبد الدهر

ويدعى اسمه آينياس. (192 – 198)[1]

كما أنها وعدته أن ابنه «سيكون شبيه الآلهة أكثر من البشر» (279). «ولما فرغت من قول هذا طارت بخفة مرتفعة للسماء العاصفة.» (291)

عرف كاتب إنجيل لوقا بهذه القصة بالطبع واستخدمها كقالب يصف لنا ميلاد يسوع، ولنر أوجه التشابه بين السرديتين:

ترنيمة هوميروس لأفروديت	لو1: 38-26 و2: 15-8
كان أنخيزس«بين منحدرات إيدا كثيرة الينابيع/ يرعى الماشية- كان الجميع يرعون الماشية في المروج العشبية بينما كان وحده في السقيفة متروكاً من الآخرين.» (54 - 55، 78)	كانت مريم وحدها عندما «دَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ» (1: 27 - 28). «وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ.» (2: 8)
«ووقفت أمامه أفروديت ابنة زوس.» (81)	«أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ.» (1: 26) «وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ.» (2: 9)
«فلما رأى رقبتها وجمال عينيها/ ارتعد وأشاح بنظره.» (181 - 182)	«فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ.. وَفَكَّرَتْ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ.» (1: 29) أما الرعاة «فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً.» (2: 9)
«يا أنخيزس يا أعظم الرجال تشجع ولا يخف قلبك لا تخش من شر تعانيه مني أو سواي من المباركين؛ لأنك محبوب الآلهة.» (192 - 195)	«لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ.» (1: 30) «لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ.» (2: 10)

(1) يرجح كون هذا المقطع استُلهِم من وعد بوسايدون بمنح آينياس سلالة أبدية في إل20. 297 - 308.

«سيولد لك ابن حبيب.» (196)	«وَهَا أنتِ ستَحبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابناً.» (1: 31) «أنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ اليَومَ فِي مَدِينَةِ دَاودَ مُخَلِّصٌ هُوَ المَسِيحُ الرَّبُّ.» (2: 11)

يخبرنا الإنجيل بحسب لوقا أن الحبل بيسوع لن يكون عن طريق الممارسة البشرية للجنس وإنما «اَلرُّوحُ اَلْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ العَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيضاً اَلْقُدُّوسُ اَلْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى اَبْنَ اَللهِ». ففيما ولد آينياس لإلهة وإنسان، ولد يسوع من إنسانة وإله.

آينياس سوف «يحكم سائر طروادة وأولاد أولاده من بعده، حتى أبد الدهر.» (196 - 197)	«هَذَا يَكونُ عَظِيماً وَابنَ العَلِيِّ يُدعَى، وَيعطِيهِ الرَّبُّ الإلهُ كُرسِيَّ دَاودَ أبِيهِ، وَيَملِكُ عَلَى بَيتِ يَعقُوبَ إلى الأبدِ، وَلا يَكونُ لِمُلكِهِ نِهَايَةٌ» (1: 32 - 33)
	«وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ المَلاكِ جُمْهُورٌ مِنَ الجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: المَجدُ للهِ فِي الأعَالِي، وَعَلَى الأرْضِ السَّلامُ، وَبِالنَّاسِ المَسَرَّةُ» (2: 13 - 14)
«ويدعى اسمه آينياس.» (198)	«وَتُسَمِّيهِ يَسوعَ.» (1: 31)
«ولما فرغت من قول هذا طارت بخفة مرتفعة للسماء العاصفة» (291).	«فَمَضَى مِنْ عِندِهَا المَلاكُ» (1: 38). «وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ المَلائِكَةُ إلى السَّمَاءِ..» (2: 15).

وفقاً لترنيمة هوميروس لأفروديت سيحكم نسل آينياس طروادة إلى الأبد، ولكن قبل سنوات من كتابة لوقا لإنجيله (حوالي 115 - 120 ح.ع.) انتهت السلالة الحاكمة التي ربطت نفسها بالمؤسس الأسطوري آينياس بموت الإمبراطور نيرون (حوالي 68 ح.ع.). وعلى هذا فيمكن القول بأن بشارة الملاك

وتنبؤه بأن يؤسس يسوع مملكة تدوم إلى الأبد كان أقدر من نبوءة أفروديت لأنخيزس.

في القرن التالي مباشرة ليوستينوس كتب لنا العلامة أوريجانوس مقارناً ميلاد يسوع بميلاد غيره من الأبطال:

«ونشير هنا للقصص التي ألفها الإغريق، فلا يبدو أننا [المسيحيين] الوحيدين الذين نشير لأقاصيص مذهلة الجمال والصياغة... وإن كانت تلك القصص [الإغريقية] مجرد أساطير وضعت لتحرك الجماهير وتؤلبهم على قلب رجل ظنوا بإمتلاكه حكمة وقوة أعظم من جميع الناس... رجال افتُرض فيهم من العظمة ما يجاوز الإمكان البشري.» (ضد سيلسوس 1. 37)

كان أوريجانوس محقاً بالطبع في تسبيب اختراع الناس لتلك الحكايا حول أنصاف الآلهة، ولكنه مع ذلك رفض الاعتراف بأن كتبة الأناجيل فعلوا الشيء ذاته في أقاصيصهم عن يسوع.

الفصل الثاني

مؤيد من العلا

لا يخبرنا إنجيل مرقس أي شيء عن ميلاد يسوع وإنما على العكس يبدأ بسرديته بيسوع شاباً معتمداً في نهر الأردن على يد نبي يدعى يوحنا.(1) «وَلِلوَقتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ المَاءِ رَأى السَّمَاوَاتِ قَد انشَقَّتْ، وَالرُّوحَ مِثلَ حَمَامَةٍ نَازِلاً عَلَيهِ. وَكَانَ صَوتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أنتَ ابنِي الحَبِيبُ الَّذي بِهِ سُرِرتُ»» (مر1: 10 - 11). من ثم يُجرب يسوع من قبل الشرير ويعود للجليل حيث يعلنها بشجاعة: «قَد كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقتَرَبَ مَلَكوتُ اللهِ، فَتوبوا وَآمِنوا بِالإنجِيلِ» (1: 15). يحتمل أن يكون الإنجيل المفقود قد روى شيئاً عن المعمودية، ولكن ما من نص أقدم من مرقس يصف الإله اليهودي بالطيران كأحد الطيور.(2) بالمقارنة مع ذلك نجد أن الآلهة الهوميرية معروفة بقدرتها على الطيران، ومشهد معين في الأوديسة يلفت النظر هنا.(3)

---

(1) لا يذكر أي إنجيل باستثناء مرقس أن يسوع كان نجاراً (6: 3). وأوديسيوس كذلك كان نجاراً كما هو معروف بنى قصره المهيب بنفسه وكذلك حصان طروادة وسفينته (انظر الأناجيل وهوميروس، 164 - 167 تعليقاً على أو5. 1 - 255).

(2) إدوارد ب. ديكسون، «حلول الروح والآلهة: تفسير لنزول الروح على شكل حمامة في مرقس 1: 10» مجلة الأدب الكتابي 128 (2009): 764.

(3) للمناقشة الكاملة راجع الأناجيل وهوميروس، 133 - 138 تعليقاً على أو1. 11 - 420.

بالرغم من أن الأوديسة تروي لنا مغامرات أوديسيوس بالأساس إلا أن المجلدات الأربعة الأولى منها تحكي لنا عن ابنه. كان أوديسيوس قد ترك زوجته بينيلوبي وابنه الرضيع تيليماخوس ووالديه لايرتيس وأنيكليا في موطنهم في جزيرة إيثاكا ليحارب الطروادیين كغيره من الإغريق. وقد دامت الحرب سنوات عشر واستغرق طريق العودة عشر سنوات أخرى.

عندما تبدأ الأحداث يكون تيلماخوس شاباً يافعاً يعيش في منزل موبوء بنحو مئة رجل من العُشَّاق الذين اعتقدوا أن أوديسيوس قد مات ولذلك عملوا على خطب وده أرملته للفوز بيدها وثروة أوديسيوس معاً. وبينما كانوا في انتظار اختيار بينيلوبي لأحدهم زوجاً كان يستنفدون طعامها ومشربها. أما تيليماخوس المسكين فقد كان مأخوذاً باستغلال الرجال لإرثه ومال لتصديق ما قالوه بشأن موت أبيه- الذي كان في واقع الأمر أسير حورية جميلة تدعى كالوبسو (المُخفِية).

تبدأ الأوديسة في الحقيقة بإقناع أثينا لأبيها زوس ليسمح لها بزيارة تيليماخوس. «أما أنا، فسأذهب إلى إيثاكا، عسى أن أتمكَّن من إثارة حماس ابنه، وأبُثُّ الشجاعة في قلبه» (أو1. 88 – 89). فلما وافقها زوس:

> هكذا تكلمت، ثم ربطَت في قدمَيها صندلَيها الجميلَين، الخالدين الذهبيَّين، الذين اعتادا أن يحملاها فوق مياه البحر، وفوق الأرض الشاسعة، في سرعة الريح.
>
> وبعد ذلك، انقضَّت هابطةً من مرتفعات أوليمبوس واتخذت وقفتها في أرض إيثاكا.
>
> (1. 96 – 98 و102 – 103)

لدى وصولها إلى منزل أوديسيوس، غيرت من هيئتها لتبدو وكأنها رجل عجوز، وأخبرت تيليماخوس أن اسمها مينتيس وادعت أنها أحد أقدم أصدقاء أبيه. وصارت تتعجب كم يشبهه: «إن هناك شبهاً عجيباً بين رأسِك وعينَيك الجميلتَين، وبين والدك» (1. 208 - 209).

فأجابها تيليماخوس الحكيم بقوله: تقول أمي إنني ابنه، ولكني لستُ أعرف هذا. ولكن حيث إنكَ تسألني الآن عن نسبي، فإنني تبعاً لما يقول الناس، قد انحدرتُ من أتعس رجل بين البشر.

(1. 215 - 216، 219، 220)

ومن ثم اقترحت عليه أثينا خطة للتخلص من الخاطبين. فأوصته بأن يطلب من جيرانه المساعدة. فإن رفضوا طرد الشبان من المنزل فعليه أن يترك الجزيرة ويبحر للبر الرئيسي ليرى ما يقول نسطور ومينيلاوس عن أبيه (إذ كانت سفينة نسطور أول سفينة عادت سالمة من طروادة، وسفينة مينيلاوس الأحدث). من ثم:

هكذا قالت الربَّة أثينا ذات العينَين النجلاوَين، وانصرفَت طائرةً إلى أعلى كما لو كانت طائراً، وقد بثَّت في قلبه القوة والجرأة، وجعلته يُفكِّر في أبيه أكثر من أي وقتٍ مضى، فلاحظها تيليماخوس في عقله، وتعجَّب إذ خالها إلهاً، وفي الحال انطلق بين المغازلين، رجلاً شبيهاً بالآلهة. (1. 319 - 324)

وقد حاكى فرجيل هذه القصة في الإلياذة 9. 656 – 660 حيث يتنكر أبولو في هيئة العجوز بيوتس ليشجع قلب أسكانيوس بن آينياس.[1]

طالب تيليماخوس من العُشَّاق إخلاء منزله بكل شجاعة وقال لأمه: «هيا، اذهبي إلى مقصورتك، واشغلي نفسك بأعمالك. أما الكلام فهو من شأن الرجال، وبصفةٍ خاصة لي أنا، طالما لي السلطة في البيت». أما وقد تملَّكها العجب، فقد عادت إلى مقصورتها.» (1. 359 – 360). دعا تيليماخوس الجيران إلى عقد مجمعاً يناقش فيه طرد الخاطبين، وصلى إلى زوس طالباً أن يرحلوا عن البيت في سلام وإلا فليظهر من يقتلهم.

> هكذا تكلَّم، وعَضَّ الجميع على شفاههم، ودُهِشوا لجرأة تيليماخوس في قوله ذلك. فَردَّ عليه أنتينوس بن يوبايثيس قائلاً: «أي تيليماخوس، حقاً، إن الآلهة أنفسهم يُعلِّمونك كيف تكون رجلاً سليط اللسان، وأن تتكلم بجرأة. ليت ابن كرونوس [زوس] لا يسمح قَط بأن يجعلك ملكاً على إيثاكا المحاطة بالبحر، الأمر الذي تَرِثُه بحق مولدك». (1. 381 – 386)

وتسببت هذه المقولة في جدل واسع حول قدرة كل من العُشَّاق على تولي ملك الجزيرة. وبالرغم من أن تيليماخوس أراد أن يتولى أمر المملكة كأبيه، ولكنه فكر إن كان أبيه قد مات وتولى بعده أي من ملوك الآخيين فليفعل إن كان يترك له أمر بيت أبيه (1. 394 – 398).

---

(1) راجع لوقا وفرجيل، 160 – 162 وبالأخص 184 – 185. يحاكي سفر طوبيا ظهور أثينا لتيليماخوس في تصوير ظهور الملاك روفائيل (12: 20 – 22؛ الأناجيل وهوميروس، 341 - 342). أما سفر أعمال أندراوس ومتياس في مدينة آكلي لحوم البشر فيحاكي توفير أثينا سفينة وبحارة في توفير يسوع سفينة وبحارة لأندراوس (4 – 7؛ انظر الأناجيل وهوميروس، 342 – 343).

إن أوجه التشابه هنا مع بداية إنجيل مرقس لجلية: فأثينا وروح الله يحلقان كأحد طيور السماء لرفقة شاب صغير السن، وفيما تطمئن أثينا/مينتيس تيليماخوس إلى أنه ابن أبيه يهتف صوت من السماء أن يسوع ابن الله، متشجعاً بما سمع يواجه تيليماخوس العُشّاق فارضاً سيطرته على بيت أبيه ويسوع كذلك متشجعاً يبدأ الكرازة بحلول ملكوت الله أبيه. وأوجه التشابه لا تنتهي هنا فحسب.

كانت المهمة الأولى ليسوع بعد العودة من نهر الأردن إلى الجليل هي استدعاء أربعة صيادين ليتبعوه. المقطع التالي هو أول إشارة كتابية لبحر الجليل: البحيرة المعروفة الآن باسم بحيرة جنيسارت في شمال إسرائيل. فيما لا يذكر أي نص في العهد الجديد هذا المسطح المائي قبل إنجيل مرقس، نجد الكاتب يستخدم هذا الموقع في إشارات متعددة؛ فبتوفير قارب أو سفينة وطاقم من البحارة ليسوع يتمكن مرقس من محاكاة رحلات ومغامرات أوديسيوس.

> «وَفِيمَا هُوَ يَمشِي عِندَ بَحرِ الجَلِيلِ أبصَرَ سِمعَانَ وَأندَرَاوسَ أخَاهُ يُلقِيانِ شَبَكَةٍ فِي البَحرِ، فَإنَّهُمَا كَانَا صَيَّادَينِ. فَقَالَ لَهُمَا يَسوعُ: «هَلُمَّ وَرَائِي فَأجعَلُكُمَا تَصِيرَانِ صَيَّادِي النَّاسِ». فَلِلوَقتِ تَرَكَا شِبَاكَهُمَا وَتَبِعَاهُ. ثُمَّ اجتَازَ مِنْ هُنَاكَ قَلِيلاً فَرَأى يَعقوبَ بنَ زَبَدي وَيوحَنَّا أخَاهُ، وَهُمَا فِي السَّفِينَةِ يُصلِحَانِ الشِّبَاكَ. فَدَعَاهُمَا لِلوَقتِ. فَتَرَكَا أبَاهُمَا زَبَدِي فِي السَّفِينَةِ مَعَ الأجرَى وَذَهَبَا وَرَاءَهُ.» (مر 1: 16 - 20)

ومن ثم أذهل يسوع المصلين في المجمع بحكمته. «فَبُهِتوا مِنْ تَعلِيمِهِ لأنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ كَمَنْ لَهُ سُلطَانٌ وَلَيسَ كَالكَتَبَةِ» (مر 1: 22). وبعدها بوهلة أثار الإعجاب أكثر وأكثر بطرد شيطان: «فَتَحَيَّرُوا كُلُّهُمْ، حَتَّى سَألَ بَعضُهُمْ بَعضاً قَائِلِينَ: «مَا هَذَا؟ مَا هُوَ هَذَا التَّعلِيمُ الجَدِيدُ؟ لأنَّهُ بِسُلطَانٍ يَأمُرُ حَتَّى الأروَاحَ النَّجِسَةَ

فَتُطِيعُهُ!» (مر 1: 27). مكّنت المعمودية يسوع من مقاومة إغراءات إبليس ومن التجرؤ بإعلان مجيء ملكوت الله بحكمة وقوة حتى اندهش أولئك المحيطين به، ورواية مرقس هنا تشبه إلى حد كبير وصف هوميروس المبكر لتيليماخوس.[1]

جمع تيليماخوس جيرانه في مجمع متبعاً وصية أثينا/مينتيس فظهر «أشبه بالإله للناظرين» (2. 5). بجرأة زاد عن حقه في مواجهة العُشّاق، وعندما رفض جيرانه تقديم الدعم لطرد العُشّاق طلب منهم إعطائه سفينة سريعة وعشرين رجلاً ليبحر إلى البر الرئيسي ليرى إذا ما كانت هناك أخبار عن أبيه من الجنود الذين عادوا من طروادة. وقد رفض جيرانه تقديم المساعدة في هذا أيضاً، حتى تجرأ أحد العُشّاق وقال إنه ولو كان أوديسيوس حياً ولو رجع فسيقتلونه شر قتلة.

من ثم «ذهب [تيليماخوس] بمفرده إلى شاطئ البحر، وما إن غسل يدَيه في مياه البحر السنجابية، حتى صلى لأثينا» (2. 261-260). فظهرت له الإلهة متخفية في هيئة مينتور واعدة إياه بالإبحار معه إلى بيلوس.

> أما أنا، فسأجوس خلال المدينة، وأجمع بسرعةٍ الرفاقَ الذين يصحبونك بمحضِ إرادتهم. وأما السفن فهي كثيرةٌ جدًّا في إيثاكا المحاطة بالبحر، جديدةٌ وعتيقة، وسأنتقي لك أحسنها، ولسوف نُعِدُّها بسرعة، ونُنزِلها إلى الخِضَم الفسيح. (2. 291 - 295)

من ثم قامت الإلهة:

> فذهَبت في صورة تيليماخوس، إلى كل مكان بالمدينة، وأخذَت تقترب من كل رجلٍ وتقول كلمتها، فتأمره بالاجتماع مع غيره في هدوء بجانب

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 138 - 140، تعليقاً على أو2. 1 - 128، 143 - 259، 260 - 387.

السفينة السريعة. وزيادةً على ذلك فقد طلبَت من نويمون بن فرونيوس المجيد، سفينةً سريعة، فوعدها بها بنفسٍ راضية. (2. 383 - 387)

ونورد هنا لمحة عامة عن أوجه الشبه بين تعضيد هوميروس لبطله تيليماخوس وتعضيد مرقس لبطله يسوع:

أو 1 - 2	مر 1: 2 - 39
طارت أثينا لتيليماخوس لتبث بقلبه القوة.	نزل الروح مثل حمامة على يسوع.
أخبرت الإلهة تيليماخوس بأنه حقاً ابن أبيه. ثم في صعودها «حلقت للأعلى كطير السماء» ما دفع ابن أوديسيوس للاعتقاد بأنه محدثه كان في الحقيقة إله.	«وَكَانَ صَوتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنتَ ابنِي الحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرتُ»» (11)
متشجعاً بزيارة أثينا شرع تيليماخوس في المطالبة بعرش أبيه وإخلاء العُشّاق المنزل.	«جَاءَ يَسوعُ إلى الجَليلِ يَكرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ وَيَقُولُ: «قَد كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقتَرَبَ مَلَكوتُ اللهِ.»» (14 - 15)
أعدت أثينا طاقماً وسفينة من أجل تيليماخوس ليبحر إلى بيلوس ليستطلع الأخبار عن أبيه.	دعا يسوع أربعة صيادين ليصيروا تلاميذه وصارت سفينة ابني زبدي سبيله لعبور بحر الجليل.
أبهر تيليماخوس العُشّاق بجرأته على فرض سلطته على منزل أبيه.	«فَتَحَيَّرُوا كُلُّهُمْ- لأَنَّهُ بِسُلطَانٍ يَأمُرُ حَتَّى الأَروَاحَ النَّجِسَةَ فَتُطِيعُهُ!» (27)

وهذه المقاربات ما بين تقوية أثينا لتيليماخوس وتقوية الروح ليسوع في بداية كرازته تنبئ بوجود المحاكاة. لا يخبرنا مرقس لمَ ترك الصيادون الأربعة شباكهم وتبعوا يسوع الذي لم يرون أي من معجزاته بعد. ويصلح لوقا هذا الفراغ النصي بجعل بطله يظهر قواه غير الطبيعية قبل أن يدعو الصيادين ليصيروا تلاميذاً

له. ففي نسخته من الرواية كان يسوع يعلم بالقرب من بحيرة جنيسارت (التي يسميها مرقس بحر الجليل)، عندما دفعته جموع المحتشدين ليصعد على متن قارب سمعان (وهو اسم آخر لبطرس) سائلاً إياه أن يبعد قليلاً عن البر حيث جلس وصار يعلم الجموع من السفينة. وبعدما صرف الجموع طلب من سمعان أن يدخل إلى العمق ويرمي الشباك بالرغم من معارضة سمعان بأنهم كانوا يحاولون طول الليل ولم يصطادوا شيئاً.

وتسبب العدد الكبير الذي اصطادوه في تمزق الشباك، وعندها أشاروا لشركائهم في السفينة الأخرى ليأتوا ويساعدوهم، وبالرغم من ذلك فقد كاد الحمل أن يغرق السفينتين. فقال سمعان ليسوع: «اخرج من سفينتي لأني رجل خاطئ»، ودهش الصيادون جميعاً. وفقط عند هذه النقطة يدعوهم يسوع لكي يصيروا صيادي الناس. فعندها نزلوا بمراكبهم وتركوا كل شيء وتبعوه.

وكما رأينا في الفصل الأول فقد حاكى لوقا لا الإلياذة والأوديسة فحسب بل وأيضاً التراتيم الهوميرية. وإحداهم ترنيمة بعينها كتبت لديونيسوس كانت هي غالباً مصدره لتحوير قصة دعوة التلاميذ الأولين الواردة في مرقس.

***

سأخبركم عن ديونيسوس ابن سيميلي البراقة

كيف ظهر على شاطئ البحر الماحل

مخداعاً في هيئة شاب

لم تكد تخضر لحيته. (7. 1 - 4)

***

وسريعاً ما يظهر القراصنة

***

وما إن رأوه
حتى أشاروا بعض البعض وقفزوا للخارج ممسكين به
ووضعوه على متن السفينة مسرورين
لأنه بدا لهم كابن ملوك من نسل الآلهة
فأرادوا شده بأربطة غليظة
ولكن الحبال لا تحصره والأربطة ظلت تنفك عن
يديه ورجليه. بينما تبتسم
عيناه السوداوان. ففهم الربان
وللحال صرخ في رفاقه قائلاً
«أيها الحمقى، أي إله طاردتم وقيدتم؟

***

ليس هو كأبناء البشر
بل كالآلهة الساكنين في الأولمب!
ولذا فلنتركه على الشاطئ المظلم
هلموا! لا تلمسوه لئلا يغضب
ويهيج الرياح فتعصف بكم! (7. 8 11- و20 - 24)

ولكن مالك السفينة أصر على خطته الشريرة وأمر الرجال ليبحروا بالأسير

***

وسرعان ما رأوا ما هالهم من المآثر

أولها مخزون النبيذ الأسود

لذيذ الطعم وجميل الرائحة بدأ يقطر وفاح عبقه

اللذيذ. وذهل البحارة إذ رأوا ذلك. (7. 34 – 37)

***

أنبتت الأشرعة كروماً وتسلقت الأغصان الصواري كاللبلاب.

***

فعندما رأوا ذلك

رجوا الربان أخيراً لكي يرجع السفينة

إلى الشاطئ. ولكن ديونيسوس تحول أمام أعينهم إلى أسد

شرس يزأر مستحوذاً مقدمة السفينة، وفي منتصفها

خلق دباً أشعث، مظهراً علامات [قوته]. (7. 42 – 47)

هجم الأسد على مالك السفينة وأرعب البحارة حتى قفزوا في الماء هاربين،
من ثم

***

حولهم إلى دلافين. ولكنه ترفق بالربان

حفظه [من هجر السفينة] وطمأنه وقال له:

«تشجع أيها الرجل الطيب فقد نلت نعمة في عينيّ

أنا ديونيسوس المزمجر.» (7. 53 – 56)

***

سواء في هذه القصة أو سابقتها نجد أن هنالك غريب اصطحبه البحارة على متن سفينة دون علم منهم بهويته، فقام بصنع آيات وعجائب على ظهرها حتى أوشك على تعريضها للخطر. في كلا القصتين ضاعف الشاب الغريب من خيرات الطبيعة: النبيذ أو السمك. ندم الربان على اصطحاب هذا الشاب الذي من شأن قواه تعريض السفينة والطاقم للخطر. فلما رأى سمعان بطرس» عِظم ما تم صيده «خر عند ركبتي يسوع قائلاً: اخرج من سفينتي لأني رجل خاطئ» (لو5: 8). وتبدو هذه الجملة غريبة إذ لا تلعب خطيئة بطرس أو غيره أي دور في هذه القصة. وفي المقابل تبدو منطقية جداً إذا أتت من الربان القرصان التائب.

المقارنة المباشرة توضح المقاربات بشكل أفضل:[1]

ترنيمة هوميروس لديونيسوس	لو5: 1 - 11
ظهر ديونيسوس على شاطئ البحر أولاً وبعدها ظهر القراصنة.	كان يسوع «وَاقِفاً عِندَ بُحَيرَةِ جَنِّيسَارتَ» عندما رأى الصيادين.
أجبر القراصنة ديونيسوس على الصعود على متن سفينتهم.	سمح الصيادون ليسوع ليدخل سفينتهم.
رأى القراصنة عجائب مذهلة تتعلق بالنبيذ والكروم والحيوانات المتوحشة. [وقبلها كانوا قد أشاروا لبعضهم البعض خلال تآمرهم]	شهد الصيادون الصيد العجائبي «فَأَشَارُوا إِلَى شُرَكَائِهِم الَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ الأُخرَى أَنْ يَأْتُوا وَيُسَاعِدُوهُمْ.» (7)
«وسرعان ما رأوا ما هالهم من المآثر.»	«إِذِ اعتَرَتهُ وَجَمِيعَ الَّذِينَ مَعَهُ دَهشَةٌ عَلَى صَيدِ السَّمَكِ الَّذِي أَخَذُوهُ.» (9)
فطن الربان لحقيقة ما يرى وعلم أن تلك العجائب لا تعدو كونها مؤشراً على قوة الغريب فوق البشرية وندم على خطاياه.	فطن بطرس لقوة المعجزة وقوة صانعها فطلب منه أن يغفر له خطاياه.
أخبر ديونيسوس الربان بألا يخف وحول البحرة الآخرين إلى دلافين.	أخبر يسوع بطرس بألا يخف وحول الصيادين إلى صيادي ناس.

متى قارنا القصتين نستطيع أن نقدر أوجه الشبه والاختلاف. فبينما أظهر ديونيسوس قوته بقتل مالك السفينة وتحويل معظم البحارة إلى دلافين، أظهرها يسوع بالترفق على الصيادين وتوفير القوت لهم. وفيما تحول القراصنة الذين أرادوا الإيقاع بإله إلى أسماك، حول لوقا صيادي السمك إلى صيادي أتباع لرسالة يسوع.

(1) أوجه الشبه فطن إليها كاتب سفر أعمال يوحنا؛ انظر لوقا وفرجيل، 14 - 20.

اشتهر ديونيسوس بأنه إله الكروم المزود للبشر بالنبيذ والثروة، وعلى هذا اعتبر أحد الآلهة المانحة. فيما نناقش في الفصل القادم يتحول يسوع إلى إله مانح.[1]

(1) انظر لوقا وفرجيل، 11 - 65، تعليقاً على محاكاة باخوس يوريبدس في لوقا-أعمال. ألهم التقليد الديونيسي لا سيما كما يظهر في كتابات يوريبدس إنجيل يوحنا؛ انظر يوحنا ويوريبدس: الإنجيل الديونيسي.

الفصل الثالث

إشباع الآلاف

يقدم لنا مرقس يسوع مرتين مضاعِفاً كميات ضئيلة من الخبز والسمك المجفف ليشبع الآلاف من الناس:

«فَمَضُوا فِي السَّفِينَةِ إلى مَوضِعٍ خَلاَءٍ مُنفَرِدِينَ. فَرَآهُم الجُمُوعُ مُنطَلِقِينَ، وَعَرَفَهُ كَثِيرُونَ. فَتَرَاكَضُوا إلى هُنَاكَ مِنْ جَمِيعِ المُدُنِ مُشَاةً، وَسَبَقُوهُمْ وَاجتَمَعُوا إلَيهِ. فَلَمَّا خَرَجَ يَسوعُ رَأى جَمعاً كَثِيراً، فَتَحَنَّنَ عَلَيهِمْ إذْ كَانوا كَخِرَافٍ لا رَاعِيَ لَهَا، فَابتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيراً. وَبَعدَ سَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ تَقَدَّمَ إلَيهِ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «المَوضِعُ خَلاَءٌ وَالوَقتُ مَضَى. اِصرِفهُمْ لِكَيْ يَمضُوا إلى الضِّيَاعِ وَالقُرَى حَوَالَينَا وَيَبتَاعُوا لَهُم خُبزاً، لأنَّ لَيسَ عِندَهُمْ مَا يَأكُلُونَ». فَأجَابَ وَقَالَ لَهُم: «أعطُوهُم أنتُم لِيَأكُلُوا... كَم رَغِيفاً عِندَكُمْ؟ اِذهَبُوا وَانظُرُوا». وَلَمَّا عَلِمُوا قَالوا: «خَمسَةٌ وَسَمَكَتَانِ». فَأمَرَهُمْ أنْ يَجعَلُوا الجَمِيعَ يَتَّكِئُونَ رِفَاقاً رِفَاقاً عَلَى العُشبِ الأخضَرِ. فَاتَّكَأوا صُفُوفاً صُفُوفاً: مِئَةً مِئَةً وَخَمسِينَ خَمسِينَ. فَأخَذَ الأرغِفَةَ الخَمسَةَ وَالسَمَكَتَينِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحوَ السَّمَاءِ، وَبَارَكَ ثُمَّ كَسَرَ الأرغِفَةَ، وَأعطَى تَلاَمِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا إلَيهِمْ، وَقَسَّمَ

السَّمَكَتَيْنِ لِلجَمِيعِ، فَأَكَلَ الجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مِنَ الكِسَرِ اثنَتَي عَشْرَةَ قُفَّةً مَملوَّةً، وَمِنَ السَّمَكِ. وَكَانَ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الأَرغِفَةِ نَحوَ خَمسَةِ آلافِ رَجُلٍ.» (مر6: 32 - 44)

وهنا أيضاً حاكى مرقس النص الهوميري.[1] كنا قد رأينا في الفصل السابق تيليماخوس يستعد للإبحار وفي رفقته الإلهة أثينا متنكرة في هيئة الرجل العجوز مينتور، ليتقصى الأخبار عن أبيه من الجنود العائدين من طروادة. وصلا أولاً إلى المدينة الساحلية التي يحكمها الملك نسطور راعي الشعب.

فوصلوا إلى بولوس، قلعة نيليوس المتينة البناء. وهنا كان القوم فوق شاطئ البحر يُقدِّمون ذبيحةً من الثيران السوداء إلى مُزلزِل الأرض الأدكن الشعور [بوسايدون]. كان هناك تِسْعُ جماعات، يجلس في كل جماعة خمسمائة رجل، وتمسك كلٌّ منها بتسعة ثيران مُعدَّة للذبح.

نزل الآخرون فوراً إلى البر.

بيد أنهم ما إن أبصروا الغريبين، حتى التفُّوا جميعاً حولهما وأمسَكوا أيديَهما يُحيُّونهما، وطلبوا إليهما أن يجلسا، فقد اقترب أولاً بيزستراتوس بن نسطور، وأخذ كلاً منهما من يديَه، وأجلسهما إلى المائدة، فوق الفراءِ الناعمة على رمال البحر. (أو3. 4 - 8، 11، 34 - 38)

قدم ابن نسطور الخمر والمقبلات لأثينا/مينتور وقال: «والآن، هيا، صَلِّ أيها الغريب، للسيد بوسايدون؛ فهذا عيده الذي تصادَف وقدمتَ فيه إلى هنا» (3. 43 - 44). فقدما صلواتهما:

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 51-147، تعليقاً على أو2. 427 - 3. 124.

وبعد أن انتهى الرجال من شواء اللحم الخارجي، وأخرجوه من السفُّود، قسَّموا الأنصبة، ثم أدبوا مأدبةً فاخرة. وما إن فرغوا من تناول الطعام والشراب، حتى نهض الفارس، نسطور الجيريني، وتكلم وسطهم أولاً. (3. 65 – 68)

كما كان الحال بالنسبة تيليماخوس وصل يسوع في رواية مرقس إلى شاطئ يكتظ بالآلاف من البشر: أربعة آلاف وخمسمئة في بيلوس و خمسة آلاف في بحر الجليل – من الرجال فقط ومقسمين في مجموعات في الحالتين، خمسين خمسين ومئة مئة (ص43). يلعب يسوع دور ابن نسطور حين يطلب من تلاميذه أن يجعلوا الجميع يتكئون رفاقاً رفاقاً على العشب الأخضر ليريح الجالس بدلاً من الأحجار. تسبق كلا الوليمتين الصلاة. ويُظهر يسوع قوته الخوارقية بمضاعفة الخبزات والسمكات القليلة إلى وليمة تكفي خمسة آلاف رجل، في مقابل صنيع بيلوس الذي لا يحتاج لاستعمال أكثر من ثروته ليطعم أربعة آلاف وخمسمئة رجل.[1]

أما وليمة مرقس الثانية فكانت على شطئان بحر الجليل كذلك:

«وَتَجَمَّعَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ جُمْهُورٌ كَبِيرٌ، وَمَا كَانَ مَعَهُم شَيءٌ يَأكُلُونَهُ. فَدَعَا يَسوعُ تَلامِيذَهُ وَقَالَ لَهُم: «أُشفِقُ عَلَى هَذَا الجَمعِ فَهُم مِنْ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مَعِي، وَلَا طَعَامَ لَهُم. وَإِنْ صَرَفتُهُمْ إلى بيُوتِهِم صَائِمِينَ خَارَتْ قُوَاهُم فِي الطَّرِيقِ، وَمِنهُم مَنْ جَاءَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» فَأَجَابَهُ تَلامِيذُهُ: «كَيفَ لأَحَدٍ أَنْ يُشبِعَ

(1) تحاكي رواية مرقس عن إشباع الجموع معجزة أتى بها إيليا:
وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَعْلِ شَلِيشَةَ وَأَحْضَرَ لِرَجُلِ اللهِ خُبْزَ بَاكُورَةٍ عِشْرِينَ رَغِيفاً مِنْ شَعِيرٍ، وَسَوِيقاً فِي جِرَابِهِ. فَقَالَ: «أَعْطِ الشَّعْبَ فَيَأْكُلُوا». فَقَالَ خَادِمُهُ: «مَاذَا؟ هَلْ أَجْعَلُ هَذَا أَمَامَ مِئَةِ رَجُلٍ؟» فقال: «أَعْطِ الشَّعْبَ فَيَأْكُلُوا، لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: يَأْكُلُونَ وَيَفْضُلُ عَنْهُمْ». فَجَعَلَ أَمَامَهُمْ فَأَكَلُوا، وَفَضَلَ عَنْهُمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. (2مل4: 42 – 44).

هَؤُلاءِ النَّاسَ خُبزاً هُنا فِي البَرِّيَّةِ؟» فَسَأَلَهُمْ: «كَمْ رَغِيفاً عِندَكُم؟» قَالُوا: «سَبعَةٌ». فَأَمَرَ يَسوعُ الجَمعَ أنْ يَقعُدُوا عَلَى الأرضِ، وَأَخَذَ الأرغِفَةَ السَّبعَةَ وَشَكَرَ وَكَسَرَهَا وَأعطَى تَلامِيذَهُ لِيُوَزِّعُوهَا عَلَى الجَمعِ، فَوَزَّعُوهَا عَلَيهِم. وَكَانَ مَعَ التَلامِيذِ بَعضُ سَمَكَاتٍ صِغَارٍ، فَبَارَكَهَا يَسوعُ وَطَلَبَ مِنْ تَلامِيذِهِ أنْ يُوَزِّعُوهَا أيضاً. فَأكَلَ النَّاسُ حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ رَفَعُوا مِمَّا فَضَلَ مِنَ الكِسَرِ سَبعَ سِلالٍ. وَكَانوا نَحوَ أربَعَةِ آلافٍ. فَصَرَفَهُمْ يَسوعُ.»
(مر8: 1 – 9) الترجمة العربية المشتركة

كان النموذج الذي اعتمده مرقس لصياغة الوليمة الثانية هو مطلع الفصل الرابع في الأوديسة، وليمة مينيلاوس آخر المحاربين العائدين من طروادة.[1] وقد حاكى فرجيل هذه الوليمة عند نظمه وليمة إليفاندر الملك لآينياس ومحاربيه (إن8. 90 – 305).[2] أما تيليماخوس وهذه المرة بصحبة بيزستراتوس بن نسطور فقد ذهب إلى إسبرطة وهنا أيضاً صادف وليمة عظيمة معدة:

وصل الفتيان إلى بلاد لاكيدايمون الفسيحة، ذات الوديان العديدة الضيقة، وساقا جواديهما إلى قصر مينيلاوس المجيد فوجداه يقيم وليمة عرس لأقربائه الكثيرين من أجل ابنه النبيل وابنته، داخل قصره.

وهكذا كانوا يُولِمون في البهو ذي السقف المرتفع، جيران مينيلاوس المجيد، وأقاربه، وكانوا يمرحون. (4. 1 – 4 و15 – 17)

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 157 – 62 تعليقاً على أو4. 1 – 144.

(2) انظر لوقا وفرجيل، 178 – 80. يحاكي سفر طوبيا وليمة مينيلاوس في تصويره لوليمة رعوئيل (7: 1 – 8: 20)، بينما يحاكيها سفر أعمال أندراوس لثلاث مرات (غريغوري، المثل، 11، 16، 28). انظر الأناجيل وهوميروس، 344 – 50.

فإذ سمع عبد بوصول الغريبين سأل سيده ما يفعل معهما

هل تسمح بأن نُخلِّي عن جوادَيهما السريعَين، أم نردُّهما ليذهبا إلى مُضيفٍ آخر، يستطيع إكرامهما؟

استشاط مينيلاوس الجميل الشعر، غضباً، وثار في خادمه، قائلاً: «ماذا دهاك يا إيتيونيوس؟ نعم، فُكَّ النِّير عن جوادَي الغريبين، وأحضِرهما بسرعة إلى القصر كي ينالا كفايتهما من الوليمة». (4. 28 - 30 و 35 - 36)

وهاك وصف هوميروس للوليمة

وأحضَرتْ ربة البيت الموفرة الخبز ووضعَتْه أمامها، ومعه الكثير من أطايب الأطعمة التي أحضرتها بسخاء من خزينتها. وجاء الخادم بصحافٍ عديدة مملوءة بشتى ألوان اللحوم وحطَّها أمامها، كما وضع جوارهما كئوساً ذهبية، ثم حيًّا مينيلاوس ذو الشَّعر الجميل، ضيفَيه، بقوله: «تناولا الطعام، وانشرحا صدراً».

قال هذا، وأمسك بيدَيه قِطعاً من الشواء، ووضعها أمامهما.

وهكذا أكل الضيفان من الطعام الشهي الموضوع أمامهما. وبعد أن أكلا وشربا كفايتهما،...

(4. 55، 57 - 60، 65، 67 - 68)

ولا يمكن للمصادفة المحضة أن تفسر لمَ تظهر التفاصيل التي وردت في وليمة نسطور في إشباع الخمسة آلاف فيما تغيب التفاصيل المميزة لوليمة مينيلاوس عنها ولا تظهر إلا في إشباع الأربعة آلاف. وما من تفسير منطقي لذلك إلا أن مرقس

كان يحاكي الملحمة الهوميرية بوليمتين متميزتين عن بعضهما البعض.[1]

أو3. 1 - 67 (وليمة نسطور)	مر6: 32 - 44 (إشباع الخمسة الآلاف)
أبحر تيليماخوس وأثينا حتى وصلا إلى الشاطئ.	أبحر يسوع وتلاميذه حتى وصلوا إلى الشاطئ.
وجدا جمعاً عظيماً من الناس هناك- أربعة آلاف وخمسمئة رجل.	«فَلَمَّا خَرَجَ يَسوعُ رَأى جَمعاً كَثِيراً- وَكانَ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الأرغِفَةِ نَحوَ خَمسَةِ آلافِ رَجُلٍ.» (34 - 44)
وُصف نسطور بـ«راعي الشعب».	«فتحَنَّنَ عَلَيهِمْ إذْ كَانوا كَخِرَافٍ لا رَاعِيَ لَهَا.» (34)
ما إن رأى الجموع الغريبين حتى جروا لتحيتهما.	«فرَآهُم الجُمُوعُ مُنطَلِقِينَ، وَعَرَفَهُ كَثِيرُونَ. فتَرَاكَضُوا إلى هُنَاكَ- وَسَبَقُوهُمْ وَاجتَمَعُوا إلَيهِ.» (33)
أمر بيزستراتوس ضيوفه بالجلوس.	«فأمَرَهُمْ أنْ يَجعَلُوا الجَمِيعَ يَتَّكِئُونَ.» (39)
جلس الرجال في مجموعات كل منها تتكون من خمسمئة رجل.	«فاتَّكَأوا صُفُوفاً صُفُوفاً: مِئَةً مِئَةً وَخَمسِينَ خَمسِينَ.» (40)
قدم نسطور الأضحيات فيما صلى البقية.	«وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحوَ السَّماءِ، وَبَارَكَ ثُمَّ كَسَرَ الأرغِفَةَ، وَأعطَى تَلامِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا إلَيهِمْ.» (41)
قدموا اللحم وقسموا للجميع.	«وَأعطَى تَلامِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا إلَيهِمْ، وَقَسَّمَ السَّمَكَتَينِ لِلجَمِيعِ.» (41)
أكل الجميع حتى شبعوا.	«فأكَلَ الجَمِيعُ وَشَبِعُوا.» (42)

(1) وظف متى قصة إشباع الخمس آلاف في إظهار التضاد بين مجرياتها بالمقارنة مع وليمة هيرودس الملك التي انتهت بقطع رأس يوحنا المعمدان. في الأناجيل وهوميروس، 239 - 43، تعليقاً على أو11. 385 - 464 نتعرض لفرضية كون النموذج المرقسي لهذه الوليمة الدموية مستوحى عن قطع كليمنسترا لرأس أغاممنون زوجها كما يرويه هوميروس في تضاد جلي لسخاء وكرم نسطور ومينيلاوس.

وبالرغم من تشابه روايتي الوليمتين في مرقس إلا أن الثانية تشترك في عوامل أوضح مع وليمة هوميروس الثانية:

الترجمة العربية المشتركة الجدول بالكامل

أو4. 1 - 70 (وليمة مينيلاوس)	مر8: 1 - 10 (إشباع الأربعة الآلاف)
بدلاً من الإبحار كما فعلا قبل الوليمة الأولى امتطى تيليماخوس وبيزستراتوس الخيل إلى إسبرطة.	«وَتَرَكَ يَسوعُ نَواحِيَ صُورَ، وَمَرَّ بِصَيدَا رَاجِعاً إلى بَحرِ الجَليلِ عَبرَ أَرَاضِيَ المُدُنِ العَشرِ.» (مر7: 31)
أراد عبد تسريحهما.	«كَيفَ لأَحَدٍ أَنْ يُشبِعَ هَؤُلاءِ النَّاسَ خُبزاً هُنَا فِي البَرِّيَّةِ؟» (4)
رفض مينيلاوس أن يُسرَّحا قبل أن يتناولا الطعام.	«أُشفِقُ عَلَى هَذَا الجَمعِ فَهُم مِنْ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مَعِي، وَلا طَعَامَ لَهُم. وَإنْ صَرَفتُهُمْ إلى بُيُوتِهِمْ صَائِمِينَ خَارَتْ قُوَاهُم فِي الطَّرِيقِ، وَمِنهُم مَنْ جَاءَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ.» (2 - 3)
بعكس الوليمة الأولى التي انعقدت للرجال فقط، أتت هذه الوليمة على ذكر حضور بعض النساء.	«كَيفَ لأَحَدٍ أَنْ يُشبِعَ هَؤُلاءِ النَّاسَ-؟» (4) «فَأَكَلَ النَّاسُ حَتَّى شَبِعُوا.» (8) قارن (مر6: 44): «وَكَانَ الَّذِينَ أَكَلُوا-نَحوَ خَمسَةِ آلافِ رَجُلٍ.»
مرر العبيد الخبز والخمر واللحم لجميع الآكلين.	«وَأَخَذَ الأَرغِفَةَ السَّبعَةَ وَشَكَرَ وَكَسَرَهَا وَأَعطَى تَلامِيذَهُ لِيُوَزِّعُوهَا عَلَى الجَمعِ، فَوَزَّعُوهَا عَلَيهِم. وَكَانَ مَعَ التَّلامِيذِ بَعضُ سَمَكَاتٍ صِغَارٍ، فَبَارَكَهَا يَسوعُ وَطَلَبَ مِنَ تَلامِيذِهِ أَنْ يُوَزِّعُوهَا أَيضاً.» (6 - 7)
أكل الجميع حتى شبعوا.	«فَأَكَلَ النَّاسُ حَتَّى شَبِعُوا.» (8)

ولذا فعندما أعاد الشعراء البيزنطيين قص رواية إشباع الأربعة فقد استعاروا بعض الأبيات الهوميرية. سبع أبيات من آخر ثلاثة عشر بيتاً في التنقيح الثاني مستعارة بالكامل من الفصل الثالث من الأوديسة، وبناء على هذه الاستعارة يتضخم عدد الجموع التي أطعمها يسوع من أربعة آلاف إلى أربعة آلاف وخمسمئة ليطابق الرقم الملحمي.

***

القنطونات الهوميرية 2. 1144 - 1146، 1149 - 1150، 1154، 1156

(≅أو3. 66) قسّموا الأنصبة، ثم أئدبوا مأدبةً فاخرة

(≅أو3. 44) للمولين وهملوا لنستمتع بالوليمة

(=أو3. 3) لتشمل الفانين القاطنين على الأرض المعطاءة

(=أو3. 38) على الصوف الناعم فوق رمال الشاطئ

(=أو3. 7) اجتمعت تسع مجموعات، في كل منها خمسمائة

(=أو3. 58) وأعطى للآخرين المكافأة الكريمة

(=أو3. 66) قسّموا الأنصبة، ثم أئدبوا مأدبةً فاخرة.

وهكذا ظهر يسوع المرقسي لا كمضياف كريم كنسطور ومينيلاوس فحسب بل كبطل خارق يملك القوى على ماديات الأشياء مكثراً ومضاعفاً بضع أرغفة وسمكات لتكفي لإشباع الآلاف من البشر.

في الفصل القادم نرى يسوع مستحوذاً على قوى الآلهة الملحميين في تذليل قوى الطبيعة.

الفصل الرابع

سيد الرياح

يخبرنا مرقس بالقصة الآتية (والتي يعيد لوقا صياغتها في لو8: 22 - 25):

«وَابتَدَأَ أيضاً يُعَلِّمُ عِندَ البَحرِ، فَاجتَمَعَ إِلَيهِ جَمعٌ كَثِيرٌ حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ عَلَى البَحرِ، وَالجَمعُ كُلُّهُ كَانَ عِندَ البَحرِ عَلَى الأرضِ. فَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيراً بِأَمثَالٍ... [الخطبة 2 - 34 تتكون من أمثال مأخوذة في أغلبها عن الإنجيل المفقود.]

وَقَالَ لَهُم فِي ذَلِكَ اليَومِ لَمَّا كَانَ المَسَاءُ: «لِنَجتَزْ إِلى العَبرِ». فَصَرَفُوا الجَمعَ وَأَخَذُوهُ كَمَا كَانَ فِي السَّفِينَةِ. وَكَانَتْ مَعهُ أيضاً سُفُنٌ أُخرَى صَغِيرَةٌ. فَحَدَثَ نُوءُ رِيحٍ عَظِيمٌ، فَكَانَتِ الأمواجُ تَضرِبُ إِلى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمتَلِئُ. وَكَانَ هُوَ فِي المُؤَخَّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائِماً. فَأَيقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهلِكُ؟» فَقَامَ وَانتَهَرَ الرِّيحُ، وَقَالَ لِلبَحرِ: «اسكُتْ! اِبكَمْ!» فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ. وَقَالَ لَهُم: «مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هَكَذَا؟ كَيفَ لا إِيمَانَ لَكُم؟» فَخَافُوا خَوفاً عَظِيماً، وَقَالُوا بَعضُهُمْ لِبَعضٍ «مَنْ هُوَ

هَذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيضَاً وَالبَحرَ يُطِيعَانِهِ!» (مر4: 1 - 41)[1]

وقد يكون مرقس قد استوحى قصته من حادثة وردت في بداية الفصل العاشر من الأوديسة.[2] كان أوديسيوس قد وصل لجزيرة إله الرياح الطافية برفقة طاقمه وسفنهم الاثنتي عشرة. فأخذ أوديسيوس يقص على الإله وأسرته أخبار حرب طروادة. فأهداه الإله كيس الرياح حيث حزمها ليحرر منها أوديسيوس في أشرعته بحسب الحاجة.

بقينا نُبحر مدة تسعة أيام، ليلاً ونهاراً، دون انقطاع حتى إذا كان اليوم العاشر، لاح لنا الوطن أمام أبصارنا، والعجيبُ أننا كنا قريبين منه جدّاً لدرجة أننا شاهدنا رجالاً يحرسون نيران المنارة. وعندئذٍ كان التعب قد بلغ مني مبلغاً عظيماً، فحل عليَّ النوم اللذيذ؛ إذ لم أترك حبل السفينة من يدي منذ خروجنا من هناك، ولم أُسلمْه لأي فردٍ من زملائي، حتى نستطيع بلوغ وطننا بسرعةٍ أكثر. بيد أن رفقائي أخذوا يتحدثون فيما بينهم، قائلين إنني أُحضر معي إلى وطني كمياتٍ كبيرة من الذهب والفضة، هدية من أيولوس بن هيبوتاس العظيم القلب.

«أسرعوا بنا لنرى ما بهذا الكيس، ماذا يحوي من الذهب والفضة؟»

(1) ما من شك في أن أحد مصادر إلهام هذه القصة يكمن في افتتاحية سفر يونان. وإذ نام النبي في جوف السفينة «أَرسَلَ الرَّبُّ رِيحاً شَدِيدَةً إِلَى البَحرِ، فَحَدَثَ نَوءٌ عَظِيمٌ فِي البَحرِ حتى كادَتِ السَّفِينَةُ تَنكَسِرُ- فَجَاءَ إِلَيهِ رَيسُ النُّوتِيَّةِ وَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ نَائِماً؟ قُمِ اصْرُخْ إِلَى إِلَهِكَ عَسَى أن يَفتَكِرَ الإِلَهُ فِينَا فَلا نَهْلِكَ». (1: 4 - 6) فأخبرهم يونان بأنه السبب في غضب الله على السفينة، فلما ألقوه في البحر «وَقَفَ البَحرُ عَنْ هَيَجَانِهِ. فَخَافَ الرِّجَالُ مِنَ الرَّبِّ خَوفاً عَظِيماً» (1: 15 - 16).

(2) انظر الأناجيل وهوميروس، 204 - 8، تعليقاً على أو10. 1 - 77.

هكذا قال الرفاق فيما بينهم، وتَمَّ لهم ما دبَّروا من خطَّةٍ شريرة، فما إن حلُّوا رباط الكيس، حتى انطلقَت سائر الرياح من عقالها، واكتسحَتْهم ثانية إلى البحر بعيداً عن الوطن. أما أنا فاستيقظتُ من نومي، وفكرتُ في قلبي العظيم هل أُلقي بنفسي من السفينة وأهلِك في البحر، أم أقاسي الويلات في صمت، وأظل باقياً على قيد الحياة. وعلى أية حال، فقد كظمتُ غيظي وبقيت، ثم غطَّيتُ رأسي وظللتُ راقداً في السفينة. بيد أنه هبَّت على السفن ريحٌ عاتية هوجاء، حملَتها جميعاً وعادت بها إلى الجزيرة الأيولية، فراح رفقائي يعَضُّون بنان الندم ويئنُّون. (أو10. 28 - 36 و44 - 55)

أخبر أوديسيوس ملك الرياح بما صار وطلب منه المساعدة، ولكنه رفض:

«ارحلوا عن جزيرتنا بسرعة، يا أشَر مَن على ظهر البسيطة. لا أستطيع بأي حالٍ أن أمُد يد المساعدة لرجلٍ تمقُته الآلهة المباركة، أو أُرسله في طريقه. إليكم عنا؛ فإنما قد حضَرتم إلى هنا، قوماً يكرههم الخالدون».

قال ذلك القول، وطردني من البيت، وأنا أكاد أنفجر من شدة الغيظ، فأبحرنا من هناك بقلوبٍ مثقلة بالأحزان. (10. 72 - 77)[1]

(1) يظهر أيولوس كذلك في إن1. 50 - 141. انظر لوقا وفرجيل، 126 - 29.

يمنح النص المرقسي يسوع قوى قصرها هوميروس على الآلهة. فلتقارن معي المتوازيات:

أو10. 1 - 69	مر4:1 - 2 و35 - 41
صعد طاقم أوديسيوس سطح السفينة وجلسوا.	«وَابتَدَأَ أيضاً يُعَلِّمُ عِندَ البَحرِ، فَاجتَمَعَ إلَيهِ جَمعٌ كَثِيرٌ حَتَّى إنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ عَلَى البَحرِ.» (1)
حكى أوديسيوس عن مجريات الحرب على جزيرة طافية.	«فَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيراً بِأمثَالٍ-» (2)
بعد استراحة شهر أخذ أوديسيوس طاقمه وأبحر بصحبة اثنتي عشرة سفينة أخرى.	«وَكَانَتْ مَعهُ أيضاً سُفُنٌ أُخرَى صَغِيرَةٌ.» (36)
نام أوديسيوس.	«وَكَانَ هُوَ فِي المُؤَخِّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائِماً.» (38)
فتح الرفاق الكيس وهبت ريح عاصفة شديدة.	«فَحَدَثَ نَوءُ رِيحٍ عَظِيمٌ-» (37)
أنّ الرجال.	«يَا مُعَلِّمُ، أمَا يَهُمُّكَ أنَّنَا نَهلِكُ؟» (38)
استيقظ أوديسيوس وجزع.	«فَقَامَ وَانتَهَرَ الرِّيحَ» (39)
تذمر أوديسيوس من حماقة بحارته.	«وَقَالَ لَهُم: «مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هَكَذَا؟ كَيفَ لا إيمَانَ لَكُم؟»» (40)
سيد الرياح هنا هو أيولوس لا أوديسيوس.	««مَنْ هُوَ هَذَا؟ فَإنَّ الرِّيحَ أيضاً وَالبَحرَ يُطِيعَانِهِ!»» (41)

في كلا القصتين يبحر البطل برفقة أناس يفتقرون إلى الحكمة أو إلى الإيمان. ما من موضع آخر في العهد الجديد بأسره يبحر فيه يسوع برفقة أسطول صغير من السفن- حذف متى ولوقا في نسختيهما السفن الأخرى الصغيرة، فيما أضافها مرقس تذكرة بسفن أوديسيوس الاثنتي عشرة.

فيما جزع أوديسيوس واضطرب عاجزاً أمام الريح والبحر الهائج، هدأ يسوع الريح والبحر لاعباً دور البطل والإله المترفق به كلاهما معاً. أما سؤال التلاميذ فيوجهه مرقس في الحقيقة للقارئ: من هو هذا حتى إن الريح أيضاً والبحر يطيعانه؟

فيما روى هوميروس قصته مباشرة بعد هروب بطله من رجل كهف خطير، يروي مرقس قصته مباشرة قبل مواجهة يسوع لمتوحش يجول في الجبال والقبور (مر5: 1 - 20)- وما كان هناك من ضرورة نصية لذلك لو أن مرقس لا يحاكي بصنيعه الملاحم الهوميرية.

الفصل الخامس

مروض الوحوش

إليك القصة الواردة في مرقس والتي تعرض لأمر ساكن الكهوف:

« وَجَاءُوا إِلى عَبرِ البَحرِ إِلى كُورَةِ الجَدَرِيينَ. وَلَمَّا خَرَجَ مِن السَّفِينَةِ لِلوَقتِ استَقبَلَهُ مِنَ القُبُورِ إِنسَانٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ، كَانَ مَسكَنُهُ فِي القُبُورِ، وَلَمْ يَقدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَربِطَهُ وَلا بِسَلاَسِلَ، لأَنَّهُ قَد رُبِطَ كَثِيراً بِقُيودٍ وَسَلاَسِلَ فَقَطَّعَ السَّلاَسِلَ وَكَسَّرَ القُيودَ، فَلَمْ يَقدِرْ أَحَدٌ أَنْ يُذَلِّلهُ. وَكَانَ دَائِمًا لَيلاً وَنَهَاراً فِي الجِبَالِ وفِي القُبُورِ، يَصِيحُ وَيُجَرِّحُ نَفسَهُ بِالحِجَارَةِ.

فَلَمَّا رَأى يَسوعَ مِن بَعِيدٍ رَكَضَ وَسَجَدَ لَهُ، وَصَرَخَ بِصَوتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «مَا لِي وَلَكَ يَا يَسوعُ ابنَ اللهِ العَلِيِّ؟ أَستَحلِفُكَ بِاللهِ أَنْ لا تُعَذِّبَنِي!» لأَنَّهُ قَالَ لَهُ: «اخرُجْ مِنَ الإِنسَانِ أَيُّهَا الرُّوحُ النَّجِسُ.» وَسَأَلَهُ: «مَا اسمُكَ؟» فَأَجَابَ قَائِلاً: «اسمِي لَجِئُونُ، لأَنَّنَا كَثِيرُونَ.» وَطَلَبَ إِلَيهِ كَثِيراً أَنْ لا يُرسِلهُمْ إِلى خَارِجِ الكُورَةِ. وَكَانَ هُنَاكَ عِندَ الجِبَالِ قَطِيعٌ كَبِيرٌ مِنَ الخَنَازِيرِ يَرعَى، فَطَلَبَ إِلَيهِ كُلُّ الشَّيَاطِينِ قَائِلِينَ: «أَرسِلنَا إِلى الخَنَازِيرِ لِنَدخُلَ فِيهَا».

فَأذِنَ لَهُم يَسوعُ لِلوَقتِ. فَخَرَجَتِ الأرواحُ النَّجِسَةُ وَدَخَلَتْ فِي الخَنَازِيرِ، فَاندَفَعَ القَطِيعُ مِنْ عَلَى الجُرفِ إلى البَحرِ. وَكَانَ نَحوَ أَلفَينِ، فَاختَنَقَ فِي البَحرِ.

وَأَمَّا رُعَاةُ الخَنَازِيرِ فَهَرَبُوا وَأَخبَرُوا فِي المَدِينَةِ وَفِي الضِّيَاعِ. فَخَرَجُوا لِيَرَوا مَا جَرَى. وَجَاءوا إلى يَسوعَ فَنَظَرُوا المَجنُونَ الَّذِي كَانَ فِيهِ اللَّجِئُونُ جَالِسَاً وَلابِسَاً وَعَاقِلاً، فَخَافُوا. فَحَدَّثَهُمُ الَّذِينَ رَأَوا كَيفَ جَرَى لِلمَجنُونِ وَعَنِ الخَنَازِيرِ. فَابتَدَأوا يَطلُبُونَ إلَيهِ أنْ يَمضِيَ مِنْ تُخومِهِمْ.

وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ طَلَبَ إلَيهِ الَّذِي كَانَ مَجنُونَاً أنْ يَكونَ مَعهُ، فَلَمْ يَدَعهُ يَسوعُ، بَلْ قَالَ لَهُ: «اذهَبْ إلى بَيتِكَ وَإلى أهلِكَ، وَأخبِرهُمْ كَمْ صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ». فَمَضَى وَابتَدَأ يُنَادِي فِي العَشرِ المُدُنِ كَمْ صَنَعَ بِهِ يَسوعُ. فَتَعَجَّبَ الجَمِيعُ.» (مر5: 1 – 20)

وتقتبس هذه القصة هوميروس في موضعين.[1] في الفصل التاسع من الأوديسة نقابل بولوفيموس الكوكلوب الذي يظهر في إنياذة فرجيل في الفصل الثالث (596 – 691).[2] والكوكلوب هو عملاق أعور يسكن «فوق ذؤابات الجبال الشامخة في كهوفٍ واسعة» (أو9. 113 – 114)، وعلى جزيرته «تكثُر المعيز المتوحشة التي لا حصر لها» (9. 118 – 119). في الأعداد القليلة التالية يخبرنا أوديسيوس بالمزيد:

ولم نشاهد اللُّجَج الطويلة وهي ترتطم بالشاطئ إلا بعد أن سحبنا سفننا القوية المقاعد فوق الساحل. وبعد أن أخذناها فوق الشاطئ، خفَضْنا

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 198 – 204، تعليقاً على أو9. 105 – 566، 212 – 21، 10. 135 – 465.

(2) انظر لوقا وفرجيل، 156 – 59.

سائر الأشرعة، ونزلنا بأنفسنا فوق شاطئ البحر.

فلما بلغنا المكان، وكان قريباً جدّاً من البحر، أبصرنا كهفاً شاهقاً، مسقوفاً بفروع أشجار الغار. ورأينا هناك كثيراً من قطعان الأغنام، والماعز، كانت نائمة معاً في حظيرةٍ واحدة. ومن حول الكهف ساحةٌ عالية، مشيدة في الصخور المغروسة عميقاً في الأرض.

وكان هناك رجلٌ ضخم عملاق، ينام في ذلك الكهف، وكان يرعى قطعانه بمفرده في مكانٍ قصي، ولم يكن يختلط بغيره، بل يعيش في عزلة، يؤمن في قلبه بعصيان القانون؛ لأنه كان قد خُلق وحشاً غريباً، ولم يشبه الإنسان آكل الخبز، بل كان أشبه بقمةٍ شامخة لجبلٍ ضخم، كثيرة الغابات، تعلو بارزةً وحدها أمام الناظرين، ومنفصلةً عن غيرها من الذؤابات الشامخات. (9. 149 – 150، 182 – 185، 187 – 192)

تخير أوديسيوس اثني عشر رجلاً من رجاله لاستكشاف الكهف وأخذوا معهم بعض الخمر. فلما دخلوا ولو يجدوا أحداً تناولوا بعضاً من الطعام المخزون. ثم وصل العملاق مع قطيعه من الماعز، وأغلق مدخل الكهف بصخرة «بالغة الكبر، تنوء برفعها عن الأرض اثنتان وعشرون عربةً ذات أربع عجلات، من العربات المتينة» (9. 240 – 242).

طلب البطل من الكوكلوب أن يقوم بواجب الضيافة، فما كان منه إلا أن:

وثَب، وانقَضَّ على رفاقي، وأمسك في الحال اثنَين منهم، وقذف بهما إلى الأرض كالدمى، فتدفَّق المخ خارج رأسَيْهما على الأرض فبلَّلها، ثم قطَّعَهما جزءاً جزءاً، وأعدَّ منهما عشاءه. وهكذا التهمهما كما لو كان أسداً يسكن

الجبال، غير تارك منها شيئاً- فقد التهم الأحشاء، واللحم، والعظام ذات النخاع. (9. 288 - 293)

وكاد أوديسيوس أن يقتله حينها ولكن من الجيد أن لم يفعلها «إذ لا بد بعد ذلك من أن نَهلِك نحن أيضاً؛ فليس في مقدورنا أن نُزيح الصخرة الضخمة بأيدينا من أمام الباب» (9. 304 - 305). ولكن بدلاً عن ذلك خطرت له فكرة أن يسكِر العملاق ويفقأ عينه الواحدة بعصا مدببة. يخبرنا أوديسيوس بما جرى:

«أيها الكلوكلوب، خذ هذه الخمر، واشربها بعدَ وجبتك من لحم البشر».

هكذا قلتُ، فأمسَكَ الكأس، وأفرغَها في جوفه، وابتهج كثيراً؛ إذ تناول الشراب الحلو وسألني المزيد منه مرةً أخرى، قائلاً: «زدني من هذا، ثانيةً، بقلبٍ رضي، وأخبرني في الحال عن اسمك».

خاطبتُه بعباراتٍ رقيقة، قائلاً: «إن اسمي هو «لا أحد» فهكذا يُسمِّيني أبي وأمي، وجميع رفقائي أيضاً». (9. 347، 353 - 355، 363، 366 - 367)

فلما شرب الكثير من الخمر ووقع بولوفيموس في النوم قام أوديسيوس ورجاله بغرز العصا المدببة في عينه الواحدة فأعموه.

وبعد ذلك أخذ ينادي الكوكلوبيس القاطنين حوله في الكهوف وسط المرتفعات الشديدة الرياح، فسمعوا صياحه وهبُّوا لنجدته من كل حدب وصوب، ووقفوا حول كهفه يسألونه ماذا يؤلمه.

فأجابهم بولوفيموس العتيد، من داخل المغارة، بقوله: «يا أصدقائي لا أحد يقتلُني بالحيلة ولا بالقوة».

> فردُّوا عليه جميعاً، بعباراتٍ قاسية، فقالوا: «طالما لا أحد يستعمل معك القوة في وحدتك، فإن المرض الآتي من لدن زوس العظيم لا سبيل لك إلى الفرار منه». (9. 399 - 402، 407 - 411)

اضطر بولوفيموس إذن للتعامل مع الموقف بمفرده نتيجة لكذبة أوديسيوس حول حقيقة اسمه. حرك العملاق الصخرة على مدخل الكهف وحاول الإمساك بالرجال أثناء هربهم ولكن أوديسيوس كان قد قيد على ظهر كل منهم خروف أو ماعز فلم تستطع يد العملاق تبين أيهم. وما إن وصل الرجال إلى سفينتهم «وبعد أن أخذوا مجالسهم في نظام، شرعوا يضربون البحر السنجابي بمجاذيفهم» (9. 471 - 472).

> فقلتُ ثانيةً بقلبٍ غاضب: «أيها الكوكلوب، إنْ سألك سائلٌ عمَّن سبَّب عمى عينَيك المخجل، فقل إنه أوديسيوس، مُخرِّب المدن، هو الذي أعماها».
>
> «ليتني كنتُ قادراً على أن أسلبكَ روحكَ وحياتك، وأن أُرسلك إلى بيت هاديس[1]، حيث من المحقَّق، أن مزلزل الأرض [بوسايدون] لن يستطيع شفاء عينك إطلاقاً». (9. 501- 504 و523 - 525)

لاحقاً سنقارن بين هذه القصة وقصة مرقس عن الرجل المسكون بلجئون من الشياطين، ولكن أولاً دعنا نرى القصة الهوميرية الأخرى التي استلهمها مرقس في الجزء الثاني من قصته.

(1) الإله هاديس ملك الموتى، ولذا فبيته أشبه بما نسميه الآن الجحيم.

في الفصل العاشر من الأوديسة يرسو أوديسيوس على شطئان جزيرة غامضة ويرسل فرقة للاستكشاف بقيادة يورولوخوس. فيتعثرون ببيت كيركي التي تظهر في الإنيادة (7. 10 - 20)[1] أما وفقاً لرواية هوميروس فـ «كان حول البيت كثيرٌ من الذئاب الجبلية والأُسود، كانت كيركي نفسها قد مسخَتْها» (10. 212 - 213). خرجت الساحرة للقاء الفرقة وأكرمت ضيافتهم وأعطتهم عقاراً سحرياً ليشربوه، فشربوا جميعهم إلا يورولوخوس الذي خاف واختبأ.

فلما قدَّمَت لهم الجرعة، وشربوها، أسرعَت فضربَتْهم بصولجانها، وحبسَتْهم في حظائر الخنازير. وكان لهم رءوسُ وصوتُ وشَعرُ وهيئة الخنازير البريَّة، أما عقولهم فقد ظلَّت كما كانت من قبلُ دون أن يطرأ عليها أي تغيُّر. (10. 237 - 240)

أما يورولوخوس فهرب وعاد لأوديسيوس وأخبره بما كان. فسأله أوديسيوس أن يقوده عائداً لمنزل كيركي ولكنه خاف ورفض ولذا كان على البطل إنقاذ رفقائه بمفرده. ولكن لحسن الحظ كان الإله هيرميس قد أعطاه نبتة سحرية تحميه من الوقوع أسيراً لسحر كيركي. ولهذا شرب أوديسيوس مما أعطته ولكنه لم يتحول خنزيراً، بل شهر سيفه وهدد بقتلها، وكما يروي فقد جاوبته:

«لا رَيْب أنك أوديسيوس، الحاضر الحيلة، خلِّ عنك، وضع سيفَكَ في غمده، وهيَّا بنا نصعد إلى فراشي، حتى إذا ما ضمَّنا الفراش معاً في عشق، استطاع كلٌّ منا أن يثق بالآخر».

(1) انظر لوقا وفرجيل، 174. يحاكي سفر أعمال أندراوس ومتياس قصة كيركي لتصوير القبض على متياس وتخديره بواسطة المرميدونيين آكلي لحوم البشر (1 - 3، 20 - 21؛ انظر الأناجيل وهوميروس، 360 - 62).

هكذا تكلَّمَت الربة، ولكني أجبتُها بقولي: «ما أنا بالشخص الذي يتوق بحقٍّ إلى الصعود إلى فراشك، إلا إذا وافقتِ أيتها الربة، على أن تُقسمي يميناً لا حِنث فيها، أنكِ لن تحيكي ضدي أي أذَى جديد ضارٌّ بي». (10. 330، 333 - 336، 342 - 345)

فيما بعد أعادت كيركي رجال أوديسيوس إلى هيئتهم البشرية السابقة.

ذكر مرقس لثلاث مرات أن الرجل الذي كان به روح نجس يسكن وسط الكهوف كعمالقة الكوكلوب. من ثم يتوسل هذا المتوحش إلى يسوع لئلا يؤذيه، تماماً كما تتوسل كيركي إلى أوديسيوس. ثم يتحول مرقس مرة أخرى لتتبع القصة الأولى وهذه المرة يخفي المتوحش حقيقة اسمه بالإشارة لعدد بدلاً من ذكر اسم علم. التستر على الاسم الحقيقي يعطي البطل نوعاً من القوة في القصتين: فإطلاق أوديسيوس على نفسه «لاأحد» يحرم بولوفيموس من نجدة العمالقة الآخرين، وبمعرفة اسم أو عدد الشياطين يتسلط يسوع عليهم.

يصف هوميروس أعداد الماشية والأغنام في جزيرة الكوكلوب بـ«غير المحصاة»، فيما يعدد مرقس قطيع الخنازير بألفي رأس وهو عدد ضخم لا يناسب قطعان الماشية في ذاك الزمن. أما تحديد جنس الماشية بالخنازير ففيه إشارة لكيركي. في قصة بولوفيموس يسرع العمالقة للكهف ليروا ما باله يصرخ، وفي قصة المتسلط عليه شيطان يسرع أهل كورة الجدريين ليروا ما حل بمواشيهم.

فقأ أوديسيوس عين بولوفيموس الذي اعتاد الفنانون القدامى رسمه عارياً فيما طرد يسوع لجنون الشياطين من الرجل وألبسه. ولا تنتهي المقابلات هنا. «وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ طَلَبَ إِلَيهِ الَّذِي كَانَ مَجْنُوناً أَنْ يَكونَ مَعهُ، فَلَمْ يَدَعْهُ يَسوعُ، بَلْ قَالَ لَهُ: «اذهَبْ إلى بَيتِكَ وَإلى أهلِكَ، وَأخبِرهُمْ كَمْ صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ»» (مر5: 18 - 19). صرخ بولوفيموس العملاق في أوديسيوس أن يرجع ولكن أوديسيوس

جاويه: «أيها الكوكلوب، إنْ سألك سائلٌ عمّن سبَّب عمى عينَيك المخجل، فقل إنه أوديسيوس، مُخرِّب المدن، هو الذي أعماها» (أو9. 502 - 504).

مزيج أوجه التشابه بين الحدثين الهوميريين والقصة المرقسية عن الرجل المتسلط عليه روح نجس كثيفة ودالة بحيث لا يمكن بحال أن تكون عرضية.

الفصلان التاسع والعاشر من الأوديسة	مر5: 1 - 20
أبحر أوديسيوس ورجاله إلى أرض الكوكلوب، وكذلك إلى جزيرة كيركي.	«وَجَاءُوا إِلَى عَبْرِ الْبَحْرِ إِلَى كُورَةِ الْجَدَرِيِّينَ.» (1)
كان هناك عدد لا يحصى من الماشية في أرض الكوكلوب.	«وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الْجِبَالِ قَطِيعٌ كَبِيرٌ مِنَ الْخَنَازِيرِ يَرْعَى- فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنْ عَلَى الْجُرْفِ إِلَى الْبَحْرِ. وَكَانَ نَحْوَ أَلْفَيْنِ.» (11 - 13)
رسا أوديسيوس ورجاله على الشاطئ.	«وَلَمَّا خَرَجَ مِنَ السَّفِينَةِ-» (2)
وجدوا في استقبالهم عملاقاً وحشياً يسكن الكهوف.	«وَلَمَّا خَرَجَ مِنَ السَّفِينَةِ لِلْوَقْتِ اسْتَقْبَلَهُ مِنَ الْقُبُورِ إِنْسَانٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ، كَانَ مَسْكَنُهُ فِي الْقُبُورِ.» (2) «وَكَانَ دَائِماً لَيْلاً وَنَهَاراً فِي الْجِبَالِ وَفِي الْقُبُورِ-» (5)
يُصور بولوفيموس عادة عارياً.	«فَنَظَرُوا الْمَجْنُونَ الَّذِي كَانَ فِيهِ اللَّجِئُونُ جَالِساً وَلاَبِساً وَعَاقِلاً-» (15)
أدركت كيركي هوية أوديسيوس وطلبت منه ألا يؤذيها. سأل العملاق أوديسيوس إن كان قد أتى ليؤذيه.	«مَا لِي وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللهِ الْعَلِيِّ؟ أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِي!» (7)

سأل العملاق أوديسيوس عن اسمه.	«وَسَأَلَهُ [يسوع]: «مَا اسْمُكَ؟»» (9)
أجاب أوديسيوس: «لاأحد.»	فَأَجَابَ قَائِلاً: «اسْمِي لَجِئُونُ، لأَنَّنَا كَثِيرُونَ.»» (9)
تغلب أوديسيوس على العملاق بالمكر والخديعة. وتغلبت كيركي على رجال أوديسيوس بتحويلهم إلى خنازير.	«فَطَلَبَ إِلَيْهِ كُلُّ الشَّيَاطِينِ قَائِلِينَ: «أَرْسِلْنَا إِلَى الْخَنَازِيرِ لِنَدْخُلَ فِيهَا». فَأَذِنَ لَهُمْ يَسُوعُ لِلْوَقْتِ. فَخَرَجَتِ الأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ، فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنْ عَلَى الْجُرْفِ إِلَى الْبَحْرِ- فَاخْتَنَقَ.» (12 - 13)
صاح العملاق راعي القطعان منادياً رفقاءه وجيرانه.	«وَأَمَّا رُعَاةُ الْخَنَازِيرِ فَهَرَبُوا وَأَخْبَرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَفِي الضِّيَاعِ.» (14)
جاء العمالقة إلى الكهف مستفهمين عما جرى لقطعان الماشية ودفعه للصراخ.	«فَخَرَجُوا [أهل المدينة] لِيَرَوْا مَا جَرَى» (14)
صعد أوديسيوس إلى سطح السفينة.	«وَلَمَّا دَخَلَ [يسوع] السَّفِينَةَ-» (18)
صاح العملاق في أوديسيوس ليرجع.	«طَلَبَ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ مَجْنُوناً أَنْ يَكُونَ مَعَهُ.» (18)
رفض أوديسيوس.	«طَلَبَ- فَلَمْ يَدَعْهُ يَسُوعُ.» (18)
قال أوديسيوس للعملاق أن ينشر خبر أن مَن أعماه هو أوديسيوس.	««اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى أَهْلِكَ، وَأَخْبِرْهُمْ كَمْ صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ».» (19)
أبحر أوديسيوس بعيداً.	«وَلَمَّا اجْتَازَ يَسُوعُ فِي السَّفِينَةِ أَيْضاً إِلَى الْعَبْرِ-» (مر5: 21) «وَعَبَرَ يَسُوعُ فِي الْقَارِبِ إِلَى الشَّاطِئِ الْمُقَابِلِ-» الترجمة العربية المشتركة

نام أوديسيوس واستيقظ على نوء العاصفة بعد هذا الحادث مباشرة.	نام يسوع واستيقظ على نوء العاصفة قبل هذا الحادث مباشرة (مر4: 35 - 41)

وقد فطن الشعراء البيزنطيين لهذا الكم من التشابه بين القصتين إذ اقتبسوا نص الأوديسة 9. 181 - 192 حرفياً تقريباً حينما أرادوا إعادة سرد القصة:

القنطونات الهوميرية 2. 782 - 793

(≅أو9. 181) ولما وصلوا إلى المنطقة المحيطة بالجدرين

(≅أو9. 182) كان هناك في لسان من الأرض كهف بجانب البحر

(≅أو9. 183) يتدلى حوله اللبلاب وكأنما يحيطه

(≅أو9. 184) به كانت الخنازير والماعز تأوي في الليل، وحوله كانت هناك مقبرة عالية

(≅أو9. 185) بُنيت بأحجار ضخمة غُرست في الأرض

(=أو9. 186) محاطة بالصنوبر العالي وأشجار البلوط المورقة

(≅أو9. 187) وفيها نام رجل متوحش، به شيطان

(≅أو9. 188) أبعده عن الناس جميعاً فلم يعد يختلط بأحد

(≅أو9. 189) بل عاش بمفرده ولم يألف سوى الفكر الشرير

(=أو9. 190) إذ كان وحشاً لا

(=أو9. 191) إنساناً يأكل الخبز بل كالذروة المشجرة

(=أو9. 192) العالية على قمم الجبال تقزّم كل ما حولها.

أراد مرقس لقرائه أن يعوا كم يفضُل يسوع الأبطال الهوميريين؛ فحيثما أعمى أوديسيوس وحشاً جعل يسوع من الإنسان المتوحش مبشراً عاقلاً، وحيثما حوّلت كيركي الرجال إلى خنازير واعية لتتغذى عليهم طرد يسوع جيش الشياطين إلى قطيع الخنازير ليعيد للرجل المعذب عقله. وهكذا نرى يسوع مرة أخرى كمخلص حنون.

في الفصل القادم يعيد مرقس رسم ذات الصورة بإقامة يسوع فتاة صغيرة من بين الأموات.



الشكل 5. 1: أوديسيوس وكيركي. 560 – 550 ق.ح.ع.

المصدر: سمح بالاستخدام من قبل متحف الفنون الجميلة ببوسطن (صندوق هنري ليلي بيرس، 99.518). تم التقاط الصورة في 2014 © جميع الحقوق محفوظة لمتحف الفنون الجميلة ببوسطن.

الفصل السادس

إقامة ابنة يايرس وشفاء نازفة الدم

وفقاً للبشارة بحسب مرقس فقد حضر رجل اسمه يايرس إلى يسوع ليسأله أن يشفي ابنته المريضة. وفي الطريق لبيت الرجل ليرى الفتاة حدث الآتي:

«وَامرَأَةٌ بِنَزفِ دَمٍ مُنذُ اثنَتَيْ عَشرَةَ سَنَةً، وَقَد تَأَلَّمَتْ كَثِيراً مِنْ أَطِبَّاءَ كَثِيرِينَ، وَأَنْفَقَتْ كُلَّ مَا عِندَهَا وَلَمْ تَنتَفِعْ شَيئاً، بَلْ صَارَت إلى حَالٍ أَرْدَأَ. لَمَّا سَمِعَتْ بِيَسوعَ، جَاءَتْ فِي الجَمعِ مِنْ وَرَاءٍ، وَمَسَّتْ ثَوبَهُ، لأَنَّهَا قَالَتْ: «إِنْ مَسَستُ وَلَو ثِيَابَه شُفِيتُ». فَلِلوَقتِ جَفَّ يَنبُوعُ دَمِهَا، وَعَلِمَتْ فِي جِسمِهَا أَنَّهَا قَد بَرِئَتْ مِنَ الدَّاءِ.

فَلِلوَقتِ اِلتَفَتَ يَسوعُ بَينَ الجَمعِ شَاعِراً فِي نَفسِهِ بِالقُوَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ، وَقَالَ: «مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي؟» فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «أَنتَ تَنْظُرُ الجَمعَ يَزحَمُكَ، وَتَقُولُ: مَنْ لَمَسَنِي؟» وَكَانَ يَنْظُرُ حَولَهُ لِيَرَى الَّتِي فَعَلَتْ هَذَا. وَأَمَّا المَرأَةُ فَجَاءَتْ وَهِي خَائِفَةٌ وَمُرتَعِدَةٌ، عَالِمَةً بِمَا حَصَلَ لَهَا، فَخَرَّتْ وَقَالَتْ لَهُ الحَقَّ كُلَّهُ.» (مر5: 25 – 33)

وبينما حدث ذلك أتى أناس من بيت يايرس حاملين له أنباء مؤسفة: «ابنَتُكَ مَاتَتْ» (مر5: 35). ولكن هذا لم يُثن عزيمة يسوع:

«فَجَاءَ إلى بَيتِ رَئِيسِ المَجمَعِ وَرَأى ضَجِيجاً. يَبكُون وَيُوَلولونَ كَثِيراً. فَدَخَلَ وَقَالَ لَهُم: «لِمَاذَا تَضِجُّونَ وَتَبكُونَ؟ لَمْ تَمُتِ الصَّبِيَّةُ وَلَكِنَّهَا نَائِمَةٌ». فَضَحِكوا عَلَيهِ. أمَّا هُوَ فَأَخرَجَ الجَمِيعَ، وَأخَذَ أبَا الصَّبِيَّةِ وَأُمَّهَا وَالَّذِينَ مَعهُ وَدَخَلَ حَيثُ كَانَتِ الصَّبِيَّةُ مُضطَجَعَةً، وَأمسَكَ بِيَدِ الصَّبِيَّةِ وَقَالَ لَهَا: «طَلِيثَا، قُومِي!» الَّذِي تَفسِيرُهُ: يَا صَبِيَّةُ، لَكِ أقُولُ: قُومِي! وَلِلوَقتِ قَامَتْ الصَّبِيَّةُ وَمَشَتْ، لأنَّهَا كَانَتِ ابنَةَ اثنَتَيْ عَشرَةَ سَنَةً. فَبُهِتُوا بَهَتاً عَظِيماً.» (مر5: 38 – 42)

وحتى هذه اللحظة في الرواية فالنموذج الأصلي للقصة موجود بأكمله في الأوديسة، ولكن لصياغة هذه القصة المعقدة استند مرقس في الغالب أيضاً إلى الفصل السادس عشر في الإلياذة حيث نقرأ عن أحد أبناء زوس ويدعى ساربيدون. فبينما كان ساربيدون على وشك أن يُقتل استنجد بصديقه غلاوكوس[1]، ولكن غلاوكوس كان قد أصيب بجرح غائر في ذراعه إثر إصابته بسهم (إل12. 387 – 389) وكان ينزف بشدة.

وفي مناجاته للإله أبولو رامي السهام يقول غلاوكوس:

«لتسمعني أيها الملك،

جرح غائر أصابني، وساعدي مهترئ في كل موضع

بوخزات ألم حادة، ولم يتوقف قط نزيف الدم

وألم الجرح رهيب، يعوق كتفي فلا أستطيع أن أمسك رمحي جيداً،

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 70 – 74، تعليقاً على إل16. 433 – 683.

وقد سقط رجلٌ من أشجع الرجال،

إنه ساربيدون بن زوس الإله، الذي لم يساعد ولده.

أيها المليك، امنحني الشفاء من هذا الجرح الأليم.»

ابتهل، وسمعه فويبوس أبولو،

وعلى الفور سكّن الإله آلامه، كما أوقف نزيف الدم الأسود

المتدفق من جرحه الأليم، ومنح روحه قوةً.

شعر غلاوكوس بما يحل في روحه، وكان فرحاً

إذ أدرك أن الإله القدير استجاب لدعائه في الحال. (16.`513 - 514، 517 - 519، 521 - 524، 527 - 531)

صمم الجنود الطرواديون ولا سيما إذ رُدت لغلاوكوس قوته أن ينقذوا جثمان ساربيدون من العدو. احتشد المحاربون من الطرفين المتقاتلين على الجثة كالذباب حتى أرسل زوس أبولو ليخلصها من أيديهم ويغسلها ويدهنها للدفن ومن ثم يسلمها «إلى هيبنوس [النوم] وثاناتوس [الموت] التوأمين» (إل16. 672، 682). وقد استعار فرجيل هذا النموذج في روايته عن شفاء فينوس لجرح آينياس (إن12. 385 - 429)[1]، حيث كما هو الحال في مرقس يتم التأكيد على أن طبيباً عجز عن إيقاف النزيف.

تنبع العديد من التفصيلات الفريدة عن محاكاة مؤلف إنجيل مرقس للقصة الهوميرية في الأصل. اسم يايرس رئيس المجمع يأتي من أصل عبري

(1) انظر لوقا وفرجيل، 189 - 90.

يعني: سيبرق أو سيلمع، واسم غلاوكوس قائد الليسيين مشتق عن اليونانية (غلاوكوس) والتي تعني اللامع. بالرغم من أن أحداً لم يستطع وقف نزيف غلاوكوس ولا المرأة ولكنهما وثقا من أن أبولو أو يسوع قادر على إبرائهما. وفقاً للملحمة الهوميرية «فللحال سكن الألم، ومن الجرح الموجع/ جف الدم الأسود، وبث العزيمة في قلبه./ وعلم غلاوكوس في أحشائه بما صنع به.» ووفقاً لمرقس «فللوقت جف ينبوع دمها، وعلمت في جسمها أنها قد برئت من الداء» (مر5: 29) وهذه هي المرة الوحيدة في كامل الإنجيل حيث نطلع على دواخل إنسان علم في نفسه أنه قد شفي. وحتماً كان هذا ما دفع الشعراء البيزنطيين ليربطوا بين الواقعتين في أشعارهم:

القنطونات الهوميرية 1. 1034 - 1035 و1044 - 1045

(=إل16. 528) وعلى الفور سكّن الإله آلامها، كما أوقف نزيف الدم الأسود

(=إل16. 529) المتدفق من جرحها الأليم، ومنح روحها قوةً.

(≅إل16. 530) شعرت بما يحل في روحها، وكانت فرحة

(≅إل16. 531) إذ أدركت أن الإله القدير استجاب لدعائها في الحال.

ليذهلنا كم التشابه بين نص الإلياذة وإنجيل مرقس:

الإلياذة الفصل السادس عشر	مر5: 21 - 43
رثى زوس موت ابنه الذي لم يساعده.	«وَلَمَّا رَآهُ خَرَّ عِندَ قَدَمَيهِ، وَطَلَبَ إليهِ كَثِيراً قَائِلاً: «ابنَتِي الصَّغيرَةُ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ. لَيتَكَ تَأتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيهَا لِتُشفَى فَتَحيَا!» فَمَضَى مَعَهُ.» (22 - 24) «فَقَالَ لَهَا: «يَا ابنَةُ، إيمَانُكِ قَد شَفَاكِ، اذهَبِي بِسَلاَمٍ وَكُونِي صَحِيحَةً مِنْ دَائِكِ». وَبَينَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ جَاءوا مِنْ دَارِ رَئِيسِ المَجمَعِ قَائِلِينَ: «ابنَتُكَ مَاتَتْ. لِمَاذَا تُتعِبُ المُعَلِّمَ بَعدُ؟» فَسَمِعَ يَسوعُ لِوَقتِهِ الكَلِمَةَ الَّتِي قِيلَتْ، فَقَالَ لِرَئِيسِ المَجمَعِ: «لا تَخَفْ! آمِنْ فَقَطْ».» (34 - 36)
صلى غلاوكوس (اللامع) لأبولو ليشفي جرحه النازف.	«لأَنَّهَا قَالَتْ: «إنْ مَسَستُ وَلَو ثِيَابَه شُفِيتُ».» (28)
جفف أبولو الدم الأسود.	«فَلِلوَقتِ جَفَّ يَنبُوعُ دَمِهَا.» (29)
«وعلم غلاوكوس في أحشائه بما صنع به وسعد.»	«وَعَلِمَتْ فِي جِسمِهَا أَنَّهَا قَد بَرِئَتْ مِنَ الدَّاءِ» (29)
تمكن غلاوكوس عندئذ من استرداد جثمان ساربيدون من الطرواديين. لاحقاً أعطى زوس الجسد لهيبنوس وثاناتوس ليدفناه ولكنه لم يعده إلى الحياة.	«فَدَخَلَ وَقَالَ لَهُم: «لِمَاذَا تَضجُّونَ وَتَبكُونَ؟ لَمْ تَمُتِ الصَّبِيَّةُ وَلَكِنَّهَا نَائِمَةٌ». فَضَحِكوا عَلَيهِ. أَمَّا هُوَ فَأَخرَجَ الجَمِيعَ، وَأَخَذَ أَبَا الصَّبِيَّةِ وَأُمَّهَا وَالَّذِينَ مَعهُ وَدَخَلَ حَيثُ كَانَتِ الصَّبِيَّةُ مُضطَجِعَةً، وَأَمسَكَ بِيَدِ الصَّبِيَّةِ وَقَالَ لَهَا: «طَلِيثَا، قُومِي!» الَّذِي تَفسِيرُهُ: يَا صَبِيَّةُ، لَكِ أَقُولُ: قُومِي!» (39 - 41)

غالباً ما أراد مرقس لقرائه أن يلاحظو حنو يسوع وترفقه بالمقارنة بزوس الذي رفض أن يعيد ابنه نفسه للحياة، بل اكتفى بإعطائه دفنة كريمة تليق بنبيل. أما يسوع فأعاد ابنة يايرس للحياة مرة أخرى فكان الموت في حضوره أشبه بالنوم.

في الفصل التالي نرى مرقس محاكياً الإلياذة في صياغة قصة أخرى.

الفصل السابع

السائر على الماء

«وَلِلوَقتِ أَلزَمَ تَلاَمِيذَهُ أَنْ يَدخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسبِقُوا إِلى العَبرِ، إلى بَيتِ صَيدَا، حَتَّى يَكُونَ قَد صَرَفَ الجَمعَ. وَبَعْدَمَا وَدَّعَهُمْ مَضَى إلى الجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَلَمَّا صَارَ المَسَاءُ كَانَتِ السَّفِينَةُ فِي وَسَطِ البَحرِ، وَهُوَ عَلَى البَرِّ وَحدَهُ. وَرَآهُمْ مُعَذَّبِينَ فِي الجَذفِ، لأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ ضِدَّهُمْ. وَنَحوَ الهَزِيعِ الرَّابِعِ مِنَ اللَّيلِ أَتَاهُمْ مَاشِياً عَلَى البَحرِ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَجَاوَزَهُمْ. فَلَمَّا رَأَوْهُ مَاشِياً عَلَى البَحرِ ظَنُّوهُ خَيَالاً، فَصَرَخُوا. لأَنَّ الجَمِيعَ رَأَوْهُ وَاضطَرَبُوا. فَلِلوَقتِ كَلَّمَهُمْ وَقَالَ لَهُم: «ثِقُوا! أَنَا هُوَ. لا تَخَافُوا». فَصَعِدَ إِلَيهِمْ إلى السَّفِينَةِ فَسَكَنَتِ الرِّيحُ.» (مر6: 45 - 51)

خطا الكثير من الآلهة بل والبشر على سطح الماء في الملاحم القديمة، ولكن هذه القصة تستحضر مثالاً بعينه للذهن.[1] وفقاً لآخر فصول الإلياذة وبعدما قتل أخيل هكتور البطل الطروادي فقد ربط جثمانه إلى عربته التي ظلت تجره خلفها. وكان هذا مروعاً بشكل خاص لبرياموس أبي هكتور. ولذا فتحت جنح الظلام

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 98 - 104، تعليقاً على إل24. 169 - 442.

ترك برياموس طروادة برفقة مناديه الملكي إيدايوس يحملان فدية عظيمة.

أما هما فبمجرد ظهورهما في الوادي فلم يغربا عن أعين زوس،

واسع الرؤية، وعندما رآهما أشفق بشدة على الشيخ الهرِم،

وفي الحال تحدث إلى هيرميس، ولده العزيز، قائلاً:

***

«أسرع إذن وقد بriاموس إلى سفن الآخيين المجوفة.»

***

وفي التو انتعل ذلك الصندل الذهبي

الجميل، الأمبروسي الخالد، والذي يطير به فوق البحار

وعبر الأراضي غير المحدودة مثل هبات الريح.

***

بهذه العصا في يده طار أرغيفونتيس القوي،

فبلغ طروادة وهيلليسبونطوس فوراً. (إل24. 331 - 333، 336 - 337، 340 - 342، 345 - 346)

كما كان الحال مع التلاميذ في رواية مرقس فبرياموس وإيدايوس خرجا في مهمة ليلية خطيرة، وكما رآهما زوس وتحنن وأرسل هيرميس لمساعدتهما فقد رأى يسوع تلاميذه وهب لمساعدتهم. ولا تنتهي التشابهات عند هذا الحد.

تنكر هيرميس في هيئة محارب شاب من جيش العدو واقترب منهما:

أوقفا البغال وأيضاً الخيول، حتى ترتوي

من النهر، حيث هبط الظلام على الأرض،

وهنا انتبه التابع إذ رأى الإله

هيرميس على مقربة منه، فصاح في برياموس قائلاً:

«انتبه، يا سليل داردانوس...

فأنا أرى رجلاً، ويبدو أننا سنصبح أشلاء بعد قليل.

ولكن هيا إذن، ولنهرب فوق العربة، أو لنتوسل إليه

متشبثين بركبتيه، فربما يرثي لحالنا».

قال ذلك، فاضطرب عقل الشيخ الأشيب، وتملكه خوف شديد،

وانتصب الشعر على مفاصله المرنة،

ووقف مذهولاً. (24. 360-350)

وبالمثل في مرقس: «فَلَمَّا رَأَوْهُ مَاشِياً عَلَى البَحرِ ظَنُّوهُ خَيَالاً، فَصَرَخُوا. لأَنَّ الجَمِيعَ رَأَوْهُ وَاضطَرَبُوا. فَلِلوَقتِ كَلَّمَهُمْ وَقَالَ لَهُم: «ثِقُوا! أَنَا هُوَ. لا تَخَافُوا». فَصَعِدَ إِلَيهِمْ إِلى السَّفِينَةِ فَسَكَنَتِ الرِّيحُ» (مر6: 51-49). أما في الإلياذة وبعد طمأنة هيرميس برياموس أنه لا يريد بهما سوءً «قفز الإله المستعان بسرعة فوق العربة/ خلف الخيول، وأمسك في يديه بالسوط والعنان،/ ثم أعطى للخيول والبغال دفعة قوية. (24. 440 - 442).

لم يوجد في العصور القديمة كتاب أكثر انتشاراً من الإلياذة، وكان الفصل الرابع والعشرين من أحب الفصول إلى المحاكين. تأتي أول هذه التجارب من مؤلف الأوديسة (والذي نعتقد أنه على الأرجح كان شاعراً مختلفاً)، والسائر على الماء هنا كانت الإلهة أثينا.

ربطَت في قدمَيها صندلَيها الجميلَين، الخالدين الذهبيَّين، الذين اعتادا أن يحملاها فوق مياه البحر، وفوق الأرض الشاسعة، في سرعة الريح.

وبعد ذلك، انقضَّت هابطةً من مرتفعات أوليمبوس واتخذت وقفتها في أرض إيثاكا. (أو1. 96 – 98 و102 – 103)

وكذا الحال في الإنيادة فقد حاكى فرجيل مشي هيرميس على الماء. وهيرميس في اللاتينية يقابل الإله ميركوريوس الذي يستعمل خفيه السحريين في الإنيادة لينقذ آينياس في قرطاجة.[1]

أولاً بأن ربط [ميركوريوس] في قدميه خفيه الذهبيين، الذين يحملانه بجناحيهما إلى الفضاء الأعلى، كالرياح السريعة، فوق البر والبحر على السواء.

وكالطائر الذي يطير بالقرب من سطح البحر، كان يطير بين الأرض والسماء. (إن4. 239 – 241 و253 – 254)

(1) انظر لوقا وفرجيل، 160 – 62.

وهناك أوجه التشابه بين الإصحاح السادس من مرقس والفصل الرابع والعشرين من الإلياذة:

الفصل الرابع والعشرون من الإلياذة	مر6: 45 - 52
رأى زوس وهو على جبل الأولمب بریاموس ذاهباً إلى أخيل وأشفق عليه.	«وَبَعْدَمَا وَدَّعَهُمْ مَضَى إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ- وَرَآهُمْ مُعَذَّبِينَ فِي الجَذفِ، لأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ ضِدَّهُمْ.» (47 - 48)
قاد بریاموس وإيدايوس المركبة والعربة في الظلام.	«وَنَحوَ الهَزِيعِ الرَّابعِ مِنَ اللَّيلِ-» (48)
مشى هيرميس على الماء متجهاً إليهما.	«أَتَاهُمْ مَاشِياً عَلَى البَحرِ-» (48)
ظن المنادي الملكي هيرميس عدواً وصرخ.	«لَمَّا رَأوْهُ مَاشِياً عَلَى البَحرِ ظَنُّوهُ خَيَالاً.» (49) «لَمَّا رَأوْهُ مَاشِياً عَلَى البَحرِ ظَنُّوهُ شَبَحاً.» الترجمة العربية المشتركة
ارتعد برياموس.	«فَصَرَخُوا. لأَنَّ الجَمِيعَ رَأوْهُ وَاضطَرَبُوا.» (49 - 50)
طمأن هيرميس بریاموس وعرّف عن نفسه: «أنا (إيغو) معاون أخيل- أنا (آيمي) ميرميدوني.» وقبلها كانت الإلهة إيروس قد طمأنت برياموس معرفة عن نفسها: «اطمئن (ثارسي) ولا تخف شيئاً، أنا (إيغو) حاملة رسالة زوس إليك.» (24. 171، 173)	«فكلمهم في الحال، قال: «اطمئنوا (ثارسيتي)، أنا هو (إيغو آيمي)، لا تخافوا»» (50) الترجمة العربية المشتركة
صعد هيرميس لمركبة برياموس وقاده ومناديه بسرعة إلى معسكر الآخيين.	«فَصَعِدَ إِلَيهِمْ إِلى السَّفِينَةِ فَسَكَنَتِ الرِّيحُ- فَلَمَّا عَبَرُوا جَاءوا إلى أرضِ جَنِّيسَارتَ.» (51 - 53)

المقابلات هنا عديدة وكثيفة فحوادث كعدم التعرف على شخص فالمشي على الماء فالخوف فالطمأنة متبوع باعتلاء مركبة أو سفينة لهي متتابعات نادرة. وهنا وبالرغم من اتحاد مهمة كلاً من هيرميس ويسوع إلا أن يسوع لا يكذب بشأن هويته.

في القرن الثالث الميلادي قرأ الفيلسوف الوثني فرفوريوس الصوري قصة الإنجيلي مرقس هذه وأعاب على مؤلف الإنجيل تضخيم البحيرة لبحر تعتوره الأمواج ليقابل الملاحم الهوميرية.

يفيد الخبراء الجغرافيون بأنه ما من بحر في محيط منطقة الجليل، بل بحيرة صغيرة يغذيها النهر عند سفح جبل الجليل بالقرب من مدينة طبرية- بحيرة صغيرة لا تحتمل الأمواج العاتية ولا العواصف الشديدة يمكن اجتيازها خلال ساعتين على الأكثر في قارب صغير. ولذا فمرقس يبالغ بشدة إذ يخبرنا عن رحلة بحرية تدوم تسع ساعات يقابلون بعدها يسوع ماشياً على الماء في الساعة العاشرة (الهزيع الرابع من الليل). ثم أنه يسمى تلك البحيرة بحراً، وليس أي بحر بل بحر تكتنفه العواصف والريح الجامح والأمواج العاتية حتى يخرج لنا بمسرح مثالي ليسوع ليهدئ عاصفة عنيفة ومخيفة كادت تودي بحياة تلاميذه.[1]

اشتبه فرفوريوس بالفعل في أن مرقس يقدم أبعاداً ملحمية بمبالغاته. وهذا جلي من تصوير مرقس ليسوع لا كبطل ملحمي خارق فحسب بل كمن له سلطان على قوى الطبيعة لم يمنحه هوميروس ولا فرجيل إلا للآلهة.

(1) مقاريوس ماغنس، الدفاع 3. 6 (=فرفوريوس ضد المسيحيين القطعة 55).



الشكل 7. 1: هيرميس بخفيه المجنحين جارياً على الأمواج. حوالي 500 ق.ح.ع.

المصدر: سمح بالاستخدام من قبل © أمناء المتحف البريطاني (1883، 1208. 1أن 277 343).

الفصل الثامن

أرض الموتى

يخبرنا يسوع في إنجيل لوقا بهذه القصة البديعة: «كَانَ إِنسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلبَسُ الأرجُوَانَ وَالبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَومٍ مُتَرَفِّهاً. وَكَانَ مِسكِينٌ اِسمُهُ لِعَازَرُ، الَّذِي طُرِحَ عِندَ بَابِهِ مَضرُوباً بِالقُرُوحِ، وَيَشتَهِي أنْ يَشبَعَ مِنَ الفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الغَنِيِّ، بَل كَانَتِ الكِلاَبُ تَأتِي وَتَلحَسُ قُرُوحَهُ» (لو16: 19 – 21). كان الأدب القديم يصور أن الجثث ما لم تدفن تتحول إلى طعام الطيور الرمية والكلاب كما تخبرنا الأبيات الافتتاحية من الإلياذة:

غَنِّ لي ياربة الشعر عن غضبة أخيل بن بيليوس المدمرة،

التي ألحقت بالآخيين مآسي تفوق الحصر، ودفعت إلى العالم

الآخر (هاديس) بأرواح الكثيرين من المقاتلين البواسل، بينما

جعلت من أجسادهم لقمة سائغة للكلاب وكل أنواع الجوارح. (إل1. 1 – 4)

فالكلاب التي كانت تلعق قروح لعازر كانت في انتظار موته لتظفر بوجبتها ولكن الملائكة حرمتها من ذلك: «فَمَاتَ المِسكِينُ وَحَمَلَتهُ المَلاَئِكَةُ إِلى حِضنِ

إبرَاهِيمَ. وَمَاتَ الغَنِيُّ أيضاً وَدُفِنَ، فَرَفَعَ عَينَيهِ فِي الجَحِيمِ وَهُوَ فِي العَذَابِ، وَرَأى إبرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضنِهِ.» (لو16: 23-22). وإبراهيم هو السلف الأكبر للشعب اليهودي، أما حضنه فغالباً ما يشير لاتكاء لعازر على صدره جالساً في المقام الأول على وليمة عشاء سماوية فخمة بلا ريب. وقد عذب هذا المنظر الرجل الغني الذي كان يعاني الظمأ الشديد.

فَنَادَى وَقَالَ: يَا أبِي إبرَاهِيمَ، اِرحَمنِي، وَأرسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إصبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي، لأنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللَّهِيبِ. فَقَالَ إبرَاهِيمُ: يَا اِبنِي، اُذكُرْ أنَّكَ اِستَوفَيتَ خَيرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذَلِكَ لِعَازَرُ البَلايَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأنتَ تَتَعَذَّبُ. وَفَوقَ هَذَا كُلِّهُ، بَينَنَا وَبَينَكُمْ هوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَد أُثبِتَتْ، حَتَّى إنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ العُبُورَ مِنْ هَهُنَا إلَيكُمْ لا يَقدِرُونَ، وَلا الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجتَازُونَ إلَينَا. فَقَالَ: أسألُكَ إذَاً، يَا أبَتِ، أنْ تُرسِلَهُ إلى بَيتِ أبِي، لأنَّ لِي خَمسَةَ إخوَةٍ، حَتَّى يَشهَدَ لَهُم لِكَيلاَ يَأتُوا هُم أيضاً إلى مَوضِعِ العَذَابِ هَذَا. قَالَ لَهُ إبرَاهِيمُ: عِندَهُمْ مُوسَى وَالأنبِيَاءُ، لِيَسمَعُوا مِنهُمْ. فَقَالَ: لا، يَا أبِي إبرَاهِيمُ، بَل إذَا مَضَى إليهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الأموَاتِ يَتُوبُونَ. فَقَالَ لَهُ: إنْ كَانُوا لا يَسمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأنبِيَاءِ، وَلا إنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأموَاتِ يُصَدِّقُونَ.» (لو16: 24 - 31)

يكتظ الأدب القديم بالقصص عن أرض الموتى وإحدى أشهرها تظهر في الفصل الحادي عشر من الأوديسة وتتشارك العديد من القواسم المشتركة مع القصة التي يرويها لوقا.[1] في ذاك الفصل تبحر سفينة أوديسيوس من جزيرة كيركي إلى أوقيانوس المسطح المائي الذي يحيط الأرض بالظلمة وتتفرع عنه أنهر المتقد ناراً والعويل والضغينة والعناء. وهناك يحفر أوديسيوس حفرة وأراق فيها

(1) الأناجيل وهوميروس، 243 - 47، تعليقاً على أو11. 465 - 590.

دم كبش ونعجة، وانتظر أرواح الأموات لتصل حتى تشرب من الدم المتجلط. كانت كيركي قد أخبرته أن سبيله الوحيد للعودة لموطنه يقتضي أن يتلقى تعليمات دقيقة من راءٍ أعمى ميت يدعى تايريسياس. وكما سنرى في الفصول القادمة فلقد صاغ كل من مرقس ولوقا شخصية مقابلة لهذه الشخصية. ولكن ما يعنينا الآن هما شخصين يقابلهما أوديسيوس في هاديس: أخيل وتانتالوس.

أحد الأرواح التي شربت من الدم كان أخيل أعظم المحاربين الإغريق في الحرب مع طروادة. قال له أوديسيوس:

«إنه لم يكن هناك في سابق الأيام من هو أكثرُ بركةً منك، يا أخيل، ولن يأتي فيما بعدُ أبداً؛ فعندما كنتَ حيّاً فيما مضى، بجّلناك، نحن معشر الأرجوسيين، كالآلهة تماماً، والآن وأنتَ هنا، تحكُم بشدة بين الموتى؛ وعلى ذلك لا تحزن بحالٍ ما، على موتك، يا أخيل». (أو11. 482 - 491)

بعدما قابل أرواح آخرين من رفقائه ممن ماتوا في الحرب أو في طريق العودة للوطن، شاهد أوديسيوس عذابات رجل غني.

كما رأيتُ تانتالوس، يعاني أمَرَّ العذاب وأمَضَّه، واقفاً في مستنقع والمياه تبلُغ الزُّبى. وكان بالرغم من ذلك يشكو، ولا يستطيع أن يتناول من الماء القريب من فمه ويشرب؛ فكلما انحنَى ذلك الرجل العجوز، متلهفاً إلى إطفاء ظمئته، انحسر الماء واختفى، وظهرت الأرض السوداء عند قدمَيه؛ إذ كان أحدُ الآلهة يجعل كل شيءٍ جافّاً، كما كانت الأشجار الباسقة المونقة دانية القطوف فوق رأسه، أشجار الكمّثرى والرمان والتفاح، بثمارها اليانعة اللامعة، وتينها الحلو، وزيتونها الغزير، ولكن ذلك الكهل المسن،

كلما هم بالوصول إليها ليُمسِكها بيدَيه، هبَّت عليها الرياح ودفعَتْها إلى السحب الظليلة. (11. 582 - 592)

في الإنيادة يحاكي فرجيل الفصل الحادي عشر من الأوديسة إلى حد كبير فيرسل بآينياس إلى أرض الموتى ليتشاور مع روح أبيه أنخيزس. وبينما هو في أرض الموتى فإذا به يقابل تانتالوس نفسه (إن6. 603 - 611).(1)

ولأن أمثال تلك القصص عن تعذيب الموتى كانت منتشرة بشكل كبير في العصر القديم فيصعب تقدير ما إذا كان لوقا قد أراد لقارئه أن يرى وجه تشابه بين رجله الغني وتانتالوس، ولكن أوجه الشبه التالي إدراجها تقترح بالفعل أن هذا هو ما اتجهت إليه نيته.(2)

تانتالوس	الرجل الغني (لو16: 19 - 31)
كان تانتالوس غنياً خبيثاً خلال حياته على الأرض.	«كَانَ إِنسَانٌ غَنِيٌّ- وَكَانَ مِسكِينٌ اِسمُهُ لِعَازَرُ، الَّذِي طُرِحَ عِندَ بَابِهِ مَضرُوبًا بِالقُرُوحِ، وَيَشتَهِي أَنْ يَشبَعَ مِنَ الفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الغَنِيِّ.» (19 - 21)
في الملاحم الهوميرية عادة ما رافق هيرميس الملاك (أنجيلوس اليونانية تعني الرسول) أرواح الموتى إلى هاديس.	«فَمَاتَ المِسكِينُ وَحَمَلَتهُ المَلاَئِكَةُ.» (22)

(1) انظر لوقا وفرجيل، 171 - 72. السفر المسمى بـ«هبوط المسيح» كان يشكل الجزء الثاني من «آلام وقيامة يسوع» لكاتبه آينياس. وكان على ما يبدو يمثل جولة في هاديس على نحو ما ورد في أو11. انظر الأناجيل وهوميروس، 367 - 72.

(2) انظر مايكل ج. غيلمور، «ملامح هوميروس في لوقا 16: 19 - 31» مجلة ديدسكاليا 10 (1999): 23 - 33، وبالأخص ماثيو ريان هاوجي، الجولة الكتابية في الجحيم (مكتبة دراسات العهد الجديد 485؛ لندن: ت&ت كلارك، 2013).

ذهب تانتالوس بموته إلى تارتاروس أرض العذاب والنهر المتقد ناراً.	«فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ (هاديس) وَهُوَ فِي الْعَذَابِ- لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللَّهِيبِ.» (23 - 24)
بالرغم من تانتالوس كان واقفاً وسط المياه إلا أنه عانى الظمأ ولم يستطع أن يشرب.	«ارْحَمْنِي، وَأَرسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي.» (24)

ذهب أوديسيوس إلى أرض الموتى كما أسبقنا ليتشاور مع رجل أعمى. في الفصل القادم نرى كيف حاكى مرقس هذه الشخصية كأحد العميان الذين يشفيهم يسوع في إنجيله.

الفصل التاسع

الرائي الأعمى

وهذه قصة مرقس عن الرجل الأعمى البصير:

وَجَاءوا إِلى أَرِيحَا. وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنْ أَرِيحَا مَع تَلاَمِيذِهِ وَجَمعٍ غَفِيرٍ، كَانَ بَارتِيمَاوُسُ الأعمَى إبنُ تِيمَاوُسَ جَالِساً عَلَى الطَّرِيقِ يَستَعطِي. فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ يَسوعُ النَّاصِرِيُّ، إبتَدَأ يَصرُخُ وَيَقُولُ: «يَا يَسوعُ إبنَ دَاوُدَ، ارحَمنِي!» فَانتَهَرَهُ كَثِيرُونَ لِيسكُتَ، فَصَرَخَ أكثَرَ كَثِيراً: «يَا إبنَ دَاوُدَ، إرحَمنِي!» فَوَقَفَ يَسوعُ وَأَمَرَ أنْ يُنَادِى. فَنَادَوا الأعمَى قَائِلِينَ لَهُ: «ثِقْ! قُمْ! هُوذَا يُنَادِيكَ.» فَطَرَحَ رِدَاءَهُ وَقَامَ وَجَاءَ إلى يَسوعَ. فَأَجَابَ يَسوعُ وَقَالَ لَهُ: «مَاذَا تُرِيدُ أنْ أفعَلَ بِكَ؟» فَقَالَ لَهُ الأعمَى: «يَا سَيِّدِي، أنْ أُبصِرَ!» فَقَالَ لَهُ يَسوعُ: «اِذهَبْ. إيمَانُكَ قَد شَفَاكَ» فَلِلوَقتِ أبصَرَ، وَتَبِعَ يَسوعَ فِي الطَّرِيقِ. (مر10. 46 – 52)

بالرغم أن ما قيل للأعمى نصاً هو أن يسوع الناصري قد أتى إلا أنه ميز يسوع كابن داود أي كوارث شرعي لعرش داود. وعلى هذا يقارنه مرقس بالتلاميذ

الذين يتصرفون كعميان وإن كانوا جميعهم مبصرين. ولطالما تعجب الباحثون حول ذكر مرقس لطرح بارتيماوس رداءه- وهي تفصيلة يحذفها مؤلفو الأناجيل اللاحقة.

غالباً ما عمد المؤلف القديم إلى إظهار التضاد بين ضعف بصيرة الشخصية المبصرة وعمق تبصر الأعمى.[1] في المسرحيات التراجيدية يسهل تمييز تايريسياس على المسرح إذ أنه الملتحي الوحيد في ملابس امرأة بل وأحياناً ما يكون هناك ما يغطي رأسه كالحجاب. كما كان الرائي الأعمى أحد أشهر الشخصيات ثنائية الجنس أو الخنثوية في أساطير العالم القديم.

وفقاً لإحدى نسخ الخرافة القديمة كان تايريسياس مبصراً حين ولِد، ولكنه في شبابه رأى ثعبانين يتزاوجان فأصابهما بالعصا فقتل أحدهما وكانت الأنثى فتحول لتوه إلى امرأة. وعاشت تايريسياس كامرأة لسنوات تزوجت خلالها وأنجبت، وذات يوم رأت ثعبانين في حال الجماع فأصابتهما بالعصا فقتلت الذكر وللحال رُدت إلى الصورة الأولى وعادت رجلاً. وأما عن فقده لبصره فذلك يرجع إلى تلك الازدواجية؛ ذلك أنه ذات يوم تشاجر زوس وهيرا واختلفا حول أي النوعين يستمتع بالمطارحة الغرامية أكثر. ولأن تايريسياس عاش كرجل وكامرأة سألاه، فقال إن متعة المرأة تفوق متعة الرجل، فضربته هيرا بالعمى لأنها رأت غير ذلك. وليعوضه زوس منحه هبة النبوءة. فصار تايريسياس الرائي الأعمى.

(1) لطالما أسهمت قوى تايريسياس التنبؤية في مسار حبكة المسرح الأثيني؛ فيظهر في «سبعة ضد طيبة» لـ«إسخيلوس» كما في «الباخوسيات» لـ«يوربيديس» وفي «أوديب ملكاً» وفي «أوديب في كولونوس»لـ«سوفوكليس». أما في الإنيادة فلا يظهر، إنما تلعب روح أنخيزس أبو آينياس دور الرائي الذي يزود ابنه بالإرشادات والنبوات عن التاريخ الروماني وأبطاله (6. 679 - 901). انظر لوقا وفرجيل، 172 - 73.

ويظهر تايريسياس في الأوديسة حيث تخبر كيركي أوديسيوس في الفصل العاشر منها أن عليه استشارة عراف أعمى ميت ليتبين طريق عودته إلى إيثاكا. ولهذا أبحر إلى حافة العالم وصنع حفرة وأراق فيها الدم أضحية للأرواح:

> بعدئذٍ جاءت روح تايريسياس الطيبي، وهو يحمل صولجانه الذهبي في يدَيه، فعرفَني وخاطَبني بقوله: «يا ابن لايرتيس، أيها المنحدر من زوس، أي أوديسيوس الكثير الحيل، ما خطبُك الآن، أيها الرجل التعيس؟ لماذا تركتَ ضوء الشمس وقدِمتَ إلى هنا، لترى الموتى، ومنطقة لا مرح فيها؟ لا تقف هكذا، ابتعد عن الدم، وأَدِرْ سيفَكَ الحادَّ إلى الوراء، حتى أشرب من الدم وأُخبرك بالحقيقة». (أو11. 90 - 96)

أخبر العراف أوديسيوس أن طاقمه سيهلك بأكمله في البحر ولكنه سيصل أخيراً إلى إيثاكا موطنه حيث سيقضي على مغازلي بينيلوبي، وحين يحين أجله فسوف يموت بسلام. «ما إن أفضى الأمير تايريسياس، إليَّ بذلك الحديث، حتى عادت روحه إلى بيت هاديس» (11. 150 - 151).

ويماثل تايريسياس بارتيماوس في الرواية المرقسية الذي كان متبصراً أكثر من تلاميذ يسوع. فكما علق أحد القراء القدامى فإنه وحتى قبل أن يشرب تايريسياس من الدم عرف أوديسيوس «بعقله لا بعينيه إذ كان أعمى.» ويعلق آخر «معرفته العقلية عوضته غياب عينيه.» والمقارنة التالية تقترح وجود صلة محاكية.[1]

(1) . انظر الأناجيل وهوميروس، 229 - 34، تعليقاً على أو11. 1 - 151. سبق أن شفى يسوع وفق الرواية المرقية أعمى آخر (8: 22 - 26)، وهذه الشخصية تحاكي بالأكثر المغني الضرير ديمودوكوس الفياكي (الأناجيل وهوميروس، 88 - 90، تعليقاً على أو8. 454 - 555). ويظهر في سفر أعمال أندراوس علامة آخر في محاكاة خاصة لتايريسياس الهوميري (غريغورس، المثل، 2؛ انظر الأناجيل وهوميروس، 365 - 66)

الفصل الحادي عشر من الأوديسة	مر10. 46 - 52
عرف الرائي الأعمى هوية أوديسيوس ونَسَبه.	«(يَا يَسوعُ ابِنَ دَاوُدَ، ارحَمني!»- «يَا ابِنَ دَاوُدَ، ارحَمِني!») (47 - 48)
تقدم الرائي إلى أوديسيوس بطلب «ابتعد عن الدم، وأدِرْ سيفَكَ الحادَّ إلى الوراء».	«(يَا سَيِّدِي، أنْ أُبصِرَ!») (51)
يصور تايريسياس مرتدياً شملة رداء.	«فطَرَحَ رِدَاءَهُ وَقَامَ وَجَاءَ إلى يَسوعَ.» (50)
أجاب أوديسيوس الرائي إلى طلبه.	«فَقَالَ لَهُ يَسوعُ: «اِذهَبْ. إيمَانُكَ قد شَفَاكَ» فَلِلوَقتِ أبصَرَ.» (52)
تنبأ الرائي عن موت أوديسيوس ولكن روحه بقيت في بيت هاديس.	ترك بارتيماوس أريحا وارتحل مع يسوع إلى أورشليم حيث سيُقتل يسوع. «وَجَاءوا إلى أرِيحَا- فَلِلوَقتِ أبصَرَ، وَتَبِعَ يَسوعَ فِي الطَّرِيقِ..» (مر10: 52) «وَلَمَّا قَرُبوا مِنْ أورُشَلِيمَ-» (مر11: 1)

وأهم ما يفرق القصتين هنا هو أن أوديسيوس ترك تايريسياس في هاديس ضريراً، أما يسوع فأعاد لبارتيماوس النظر وأخذه معه إلى أورشليم. في الفصل سنرى معاً أي قدر من الشجاعة اقتضى دخول يسوع إلى المدينة المقدسة.



الشكل9. 1: تايريسياس الضرير في ملابس امرأة يقوده شاب يافع، والشخص الآخر إما كريون أو أوديب. جرة نبيذ حوالي 340 - 333 ق.ح.ع.

المصدر: متحف بازل للفنون القديمة ومجموعة لودفيج - سويسرا/ اندرياس ف. فوغلين

الفصل العاشر

الأكل مع الأعداء

يتنبأ يسوع بموته في ثلاث مناسبات مختلفة في إنجيل مرقس مشيراً إلى نفسه بابن الإنسان بالرغم من إدراك القارئ أنه على العكس ابن إله. لاحقاً سنوى لمَ كان يخبأ هويته الحقيقية، ولكن الآن فلنتابع يسوع متنبئاً بموته وقيامته:

«وَابتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أنَّ اِبنَ الإنسَانِ يَنبَغِي أنْ يَتألَّمَ كَثِيراً، وَيُرفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَالكَتَبَةِ، وَيُقتَلَ، وَبَعدَ ثَلاثَةِ أيّامٍ يَقُومُ. وَقَالَ القَولَ عَلانِيَةً» (مر8: 31 – 32).

«وَخَرَجُوا مِنْ هُنَاكَ وَاجتَازُوا الجَلِيلَ، وَلَمْ يُرِدْ أنْ يَعلَمَ أحَدٌ، لأنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ تَلامِيذَهُ وَيَقُولُ لَهُم: «إنَّ اِبنَ الإنسَانِ يُسَلَّمُ إلى أيدِي النَّاسِ فَيَقتُلُونَهُ. وَبَعدَ أنْ يُقتَلَ يَقُومُ فِي اليَومِ الثَّالِثِ».» (مر9: 30 – 31).

«وَكَانُوا فِي الطَّرِيقِ صَاعِدِينَ إلى أورُشَلِيمَ وَيَتَقَدَّمُهُمْ يَسوعُ، وَكَانُوا يَتَحَيَّرُونَ. وَفِيمَا هُم يَتبَعُونَ كَانوا يَخافُونَ. فَأخَذَ الاِثنَيْ عَشَرَ أيضاً وَابتَدَأَ يَقُولُ لَهُم عَمَّا سَيَحدُثُ لَهُ: «هَا نَحنُ صَاعِدُونَ إلى أورُشَلِيمَ، وَابنُ الإنسَانِ

يُسَلَّمُ إِلى رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَالكَتَبَةِ، فَيَحكُمُونَ عَلَيهِ بِالمَوتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلى الأُمَمِ، فَيَهزَأُونَ بِهِ وَيَجلِدُونَهُ وَيَتفَلُونَ عَلَيهِ وَيَقتُلُونَهُ، وَفِي اليَومِ الثَّالِثِ يَقُومُ».» (مر10: 32 - 34).

وقد كانت البسالة في مواجهة الموت سمة العديد من الأبطال القدامى وبالأخص أخيل في الإلياذة:

لقد أخبرتني أمي ثيتيس، فضية القدمين أن مصيري

الذي يحمل لي الموت في النهاية مقسم بين أمرين:

فإذا ما اخترت البقاء في مدينة طروادة لأحارب

فلن تتاح لي العودة، وإن كنت سأنال شهرة لا تزول.

أما إذا عدت إلى أرض وطني الحبيب

فسأفقد سمعتي الطيبة، وإن كانت حياتي ستمتد طويلا،

إذ لن ألقى الموت سريعاً. (إل9. 410 - 416)

وبالنسبة لأخيل لم تكن هنالك مقارنة تذكر؛ إذ رحب بالموت إن كان يموت ميتة بطل مجد.

وفي الفصل الثامن عشر من الإلياذة تحذره أمه الإلهة مرة أخرى أن في بقائه ومقاومته الطرواديين موته (18. 95 - 96)، فتكون هذه إجابته:

فأهلاً بالمصير المحتوم،

تلك هي إرادة زوس وباقي الآلهة الخالدين.

فالموت لن يتفاداه أحدٌ وإن كان هرقل القوي
رغم أنه كان الأحب لدى زوس بن كرونوس،
لكن هزمه القدر وغضب هيرا القاسي.
إنني مثله، إذا كان القدر هكذا قد رسم لي
سأرقد عندما أموت، حينئذ ربما أفوز بمجد خالد. (18. 115 - 121)

وفي الفصل التاسع عشر يتنبأ جواد أخيل بموته فيجيبه:

أي كسانثوس، لماذا تتنبأ بموتي؟ لا يلزمك هذا! أنا نفسي
أعرف حق المعرفة أنه مقدر لي الموت هنا، بعيداً عن أبي الحبيب
وأمي. ومع ذلك فلن أتوقف حتى أتخم الطرواديين قتالاً. (19. 420 - 423)

واختيار أخيل للموت المبكر في مقابل المجد والشهرة لدليل على شجاعته.[1]

ويبدو أن مرقس كان الكاتب المسيحي الأول الذي يؤكد على شجاعة يسوع من خلال تصويره متنبئاً بموته في أورشليم. يعيد لوقا صياغة المناسبات الثلاثة بل ويبالغ في إظهار إقدام يسوع في نقطتين على الأقل.[2] في أولهما نقرأ: «وَحِينَ تَمَّتِ الأَيَّامُ لِارْتِفَاعِهِ ثَبَّتَ وَجهَهُ لِيَنطَلِقَ إلى أورُشَلِيمَ» (لو9: 51) حيث يزمع أن يموت. وفي الثانية يحذره البعض ألا يدخل إلى المدينة:

---

(1) انظر أيضاً إل1. 352، 18. 328 - 332، 21. 106 - 113، 277 - 278. وكثيراً ما يؤكد هوميروس على بسالة أخيل بجعل غيره من شخصيات تتنبأ بموته ميتة بشعة في ريعان شبابه (مثلاً: إل1. 413 - 418، 22. 365 - 366، 24. 131 - 132، راجع 1. 505 - 506، 18. 440 - 441).

(2) قارن مر8: 31 ولو9: 22، مر9: 30 - 32 ولو9: 43 - 44، مر10: 32 - 34 ولو18: 31 - 32.

«وَفِي ذَلِكَ اليَومِ تَقَدَّمَ بَعضُ الفَرِّيسِيينَ قَائِلِينَ لَهُ: «اُخرُجْ وَاذهَبْ مِنْ هَهُنَا، لأنَّ هِيرُودُسَ يُرِيدُ أنْ يَقتُلَكَ». فَقَالَ لَهُمْ: «اِمضُوا وَقُولُوا لِهَذَا الثَّعلَبِ: هَا أنَا أُخرِجُ شَيَاطِينَ، وَأشفِي اليَومَ وَغَداً، وَفِي اليَومِ الثَّالِثِ أُكَمَّلُ. بَل يَنبَغِي أنْ أسِيرَ اليَومَ وَغَداً وَمَا يَلِيهِ، لأنَّهُ لا يُمكِنُ أنْ يَهلِكَ نَبِيٌّ خَارِجاً عَن أورُشَلِيمَ!»» (لو13: 31 - 33)

وبالرغم من الشجاعة البادية عليه، إلا أن يسوع يختلف عن أخيل. فأخيل يموت في طروادة صارعاً الكثيرين من أعدائه بعكس يسوع الذي لا يؤذي أحداً.[1]

وأوديسيوس كذلك كان يُعترف له بالشجاعة ولكنه على العكس من أخيل لم يكن ثائراً طائشاً[2] بل كان ذكياً رابط الجأش حتى عند اختلاطه بأعدائه متنكراً في هيئة شحاذ. يأكل يسوع مع أعدائه لثلاث مرات في إنجيل لوقا وحده. وفي كل مناسبة يذهب للوليمة بمفرده دون تلاميذه إلى بيت فريسي حيث بشجاعة يهين مضيفه وضيوفه الآخرين. في أولى هذه المرات الثلاثة:

«وَإذَا امرَأةٌ فِي المَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً، إذْ عَلِمَتْ أنَّهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيتِ الفَرِّيسِي، جَاءَتْ بِقَارُورَةِ طِيبٍ، وَوَقَفَتْ عِندَ قَدَمَيهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِيَةً، وَابتَدَأتْ تَبُلُّ قَدَمَيهِ بِالدُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمسَحُهُمَا بِشَعرِ رَأسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيهِ وَتَدهَنُهُمَا بِالطِيبِ. فَلَمَّا رَأى الفَرِّيسِي الَّذِي دَعَاهُ ذَلِكَ، تَكَلَّمَ فِي نَفسِهِ قَائِلاً: «لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيّاً، لَعَلِمَ مَن هَذِهِ الامرَأةُ الَّتِي تَلمِسُهُ وَمَا هِيَ! إنَّهَا خَاطِئَةٌ»... ثُمَّ

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 74 - 77، تعليقاً على إل18. 95 - 121.

(2) «تسير أحداث الإلياذة في اتجاه أوحد هو موت بطلها [أخيل] تماماً كما يفعل لوقا مُذكِراً القارئ طيلة الوقت بأن أورشليم هي قاتلة الأنبياء» (جون تايلور، الكلاسيكيات والكتاب المقدس: الضيافة والاعتراف [لندن: دكوورث، 2007]، 123).

اِلْتَفَتَ إلى المَرأةِ وَقَالَ لِسِمعَانَ: «أتَنظُرُ هَذِهِ المَرأةَ؟ إنِّي دَخَلتُ بَيتَكَ، وَمَاءً لأجلِ رِجْلَيَّ لَمْ تُعطِ. وَأمَّا هِيَ فَقَد غَسَلَتْ رِجْلَيَّ بِالدُّمُوعِ وَمَسَحَتهُمَا بِشَعرِ رَأسِهَا. قُبْلَةً لَمْ تُقَبِّلْنِي، وَأمَّا هِيَ فَمُنذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ. بِزَيتٍ لَمْ تَدْهَنْ رَأسِي، وَأمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَيَّ» (لو7: 37 – 45).

ولدي مرقس نسخته الخاصة من هذه القصة (مر14: 2 – 9) ولكنه لا يذكر أن تلك المرأة كانت خاطئة بالمرة، كما أنه ما من غسيل أو نحيب أو استعمال لشعر الرأس أو تقبيل في تلك القصة. أما النموذج الأصلي لقصة لوقا فيحتمل أنه هذه القصة عن فتاة صغيرة نقابلها في الفصول المبكرة للأوديسة:[1]

تقدَّمت بولوكاستي الفاتنة، صغرى بنات نسطور بن نيليوس، وغسلَت تيليماخوس ودهنَت جسمه بزيت الزيتون، وألبسَتْه عباءةً جميلة ومعطفاً، وفي الحال خرج من الحمام في صورةٍ أشبه بالخالدين. (أو3. 464 – 468)

وكان القراء القدامى يعتقدون لهذا أن هنالك ما جرى خلوة بين الشابين.[2]

وأما المناسبة الثانية (لو11: 37 – 54) ففيها يوبخ يسوع الفريسيين والكتبة إذ باشتراطاتهم الدينية العسيرة الاتباع يثقلون على الشعب، كما أنه حملهم مسئولية مقتل الأنبياء وتنبأ أن الله سيعاقبهم. وكما هو متفهم فقد زادت الإهانات من

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 57–155، تعليقاً على أو3. 464 - 468.

(2) يخبرنا أحد المعلقين القدامى أنه من غير المتصور ألا يكون في المشهد إشارة لعلاقة جسدية ذلك أنه «من غير المتصور أن يكون غسل غريب ودهنه بالزيت عملاً لعذراء» (شرح على أو6. 221). أما التقليد التالي لتلك الفترة فيحمل القصص عن زواج بولوكاستي وتيليماخوس ويشاع أن الإمبراطور هادريان علم بنبوة أنهما كانا والدي هوميروس نفسه (مجموعة بالتين 14. 102). يحاكي سفر أعمال أندراوس قصة نسطور وبولوكاستي في غريغوري، المثل، 5؛ انظر الأناجيل وهوميروس، 343 - 44.

حدة العداء: «وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ بِهذَا، ابْتَدَأَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيونَ يَحْنَقُونَ جِدّاً، وَيُصَادِرُونَهُ عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَهُمْ يُرَاقِبُونَهُ طَالِبِينَ أَنْ يَصطَادُوا شَيْئاً مِنْ فَمِهِ لِكَي يَشتَكُوا عَلَيهِ» (لو11: 53 – 54).[1]

وأما المناسبة الثالثة وهي الأطول فنقرأ عنها: «وَإِذْ جَاءَ إِلى بَيتِ أَحَدِ رُؤَسَاءِ الفَرِّيسِيينَ فِي السَّبتِ لِيَأكُلَ خُبْزاً، كَانوا يُرَاقِبُونَهُ. وَإِذَا إِنْسَانٌ مُستَسقٍ كَانَ قُدَّامَهُ» (لو14: 1 – 2). وعلى الرغم من إدراك يسوع أن أعداءه يتصيدون الفرصة لينتقدوه للشفاء في يوم السبت إلا أنه شفى الحَزِب.

والوذمة أو الخزب (يعرف اليوم بالاستسقاء) مرض يتسبب في انتفاخ الجسد بالسوائل ويُشعر المريض بالعطش المستمر. ولهذا كان الكُتاب القدامى يكنّون البخيل بالخزب إذ يكتنز الكثير من المال ومع ذلك لا يكف عن طلب المزيد. وقد استخدم هذا التشبيه الفيلسوف ديوجين.[2] في الآيات التالية يوبخ يسوع ضيفه وضيوفه الآخرين لجشعهم، كما يوبخ مضيفه على دعوته أقاربه وأصدقائه الأغنياء غير المحتاجين.

«وَقَالَ أيضاً لِلَّذِي دَعَاهُ: «إِذَا صَنَعتَ غَدَاءً أو عَشَاءً فَلاَ تَدْعُ أَصدِقَاءَكَ وَلا إخوَتَكَ وَلا أقرِبَاءَكَ وَلا الجِيرَانَ الأغنِيَاءَ، لِئَلاَّ يَدعُوكَ هُمْ أَيضاً، فَتَكُونَ لَكَ مُكَافَاةٌ. بَل إذَا صَنَعتَ ضِيَافَةً فَادعُ: المَسَاكِينَ، الجُدعَ، العُرجَ، العُميَ، فَيَكُونَ لَكَ الطُّوبَى إذْ لَيسَ لَهُم حَتَّى يُكَافُوكَ، لأنَّكَ تُكَافَى فِي قِيَامَةِ الأبرَارِ» (لو14: 12 – 14)

(1) يناقش الأناجيل وهوميروس كون مثل الكرامين الوارد في مرقس يُظهر السلطات اليهودية بنفس الشكل الذي يُظهر عليه هوميروس مغازلي بينيلوبي الذين يقترح أحدهم قتل تيليماخوس خارج المدينة (276 – 81، تعليقاً على أو16. 363 – 417).

(2) استوبايوس، مختارات، 3. 10. 45.

وينتهي الإصحاح بمَثَل الوليمة العظيمة حيث يدعو رجل أصدقاءه الثلاثة ليأكلوا معه ولكن كل منهم يتذرع بحجة؛ ولذا يدعو الغني بدلاً عنهم: «المَسَاكِينَ، الجُدعَ، العُرجَ، العُميَ» (لو14: 21). والتفسير جلي: فمضيف يسوع والمدعوون الآخرون كانوا هم المدعوين الأصليين لملكوت الله ولكنهم نهاية يتركون أماكنهم لآخرين. «لأَنِّي أَقُولُ لَكُم: إِنَّهُ لَيسَ وَاحِداً مِنْ أولئِكَ الرِّجَالِ المَدعُوِّينَ يَذُوقُ عَشَائِي» (لو14: 24).

وهذه الولائم الثلاثة جميعها نرى فيهم يسوع منفرداً دون تلاميذه في منزل عدو محتمل، ولكنه مع ذلك لا يخشى التفوه بتوبيخ المضيف ومدعويه. وكما كان الحال في قصص أخرى أوردها لوقا فقد كان النموذج الذي احتذى به هو أوديسيوس.

كان أوديسيوس شجاعاً كأخيل تماماً ولكن بشكل مختلف؛ فقد كان أخيل ليقتحم البيت عائداً من حربه وأسفاره ليقتل كل مغازلي ومطاردي زوجته بينيلوبي المئة والثمانية. ولكن أوديسيوس كان أذكى من ذلك. ولتحميه من اكتشاف أعدائه لهويته مسخته الإلهة أثينا لهيئة متسول:[1]

ما إن أتمّت أثينا حديثها ذاك حتى لمسَتْه بصولجانها، فأذْوَت جلده الناعم فوق أطرافه اللدنة، وأتت على الشَعر الكتَّاني فوق رأسه، ووضعَت جلد رجلٍ عجوز حول جميع أطرافه، وعتَمت عينَيه اللتَين كانتا رائعتَي الجمال من قبلُ، وألبَسَتْه عباءةً وجلباباً مُهلهلَين قذرَين، أسمالاً باليةً وسخة، يُجلِّلها الدخانُ القَذِر. (أو13. 429 - 435)

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 259 - 61، تعليقاً على أو13. 306 - 406.

ودخل البطل أوديسيوس لمنزله للمرة الأولى منذ عشرين عاماً في الفصل السابع عشر من الأوديسة. وما إن رآه أحد العُشّاق برفقة يومايوس راعي خنازيره مقاداً إلى وليمة حتى عيَّره قائلاً: «يا راعي الخنازير يا سيء السمعة، لماذا بربك أحضرتَ هذا الرجل إلى المدينة؟» (17. 374 - 376). فأجاب يومايوس:

«من ذا بربك يحاول من تلقاء نفسه ألا يُرحِّب بغريبٍ قادم من بلدٍ آخر، إلا إذا كان الغريب من السادة ذوي المهن العامة، كأن يكون نبياً، أو طبيباً يداوي الأمراض، أو بنّاء، نعم أو منشداً مقدساً، يُدخل السرور على النفوس بغنائه؟ لأن مثل هؤلاء الرجال يُرحَّب بهم في جميع أنحاء الأرض الفسيحة. ومع ذلك فما من أحد يعتبر الشحّاذ عبئاً عليه». (17. 382 - 387)

بل وقد كان هذا العداء الذي وصل حد الاعتداء بالضرب مبالغاً فيه حتى بالنسبة لأحد العُشّاق أنفسهم

«لم تُحسن صنعاً بضربك ابن السبيل البائس، يا أنتينوس. ملعونٌ أنت بين الرجال، ماذا لو تصادف أن كان هذا ربًّا ما، هبط من السماء! نعم، فالآلهة يتخذون صوراً شتى، في زي الأغراب، ويزورون المدن ليطّلعوا على قَسوة البشر وعَدلهم». (17. 483 - 487)

وأوجه الشبه بين توبيخ يسوع للفريسي وخطبة راعي الخنازير في الفصل السابع عشر لا تخفى على أحد.[1] في الحالتين يرتب المحدّث أولئك الذين يتلقون الدعوات في العادة، فيرتب يومايوس خمس فئات من الناس: «نبياً، أو طبيباً يداوي الأمراض، أو بنّاء، أو منشداً مقدساً» ويرتب يسوع فئات أربعة: «أصدقاءك

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 284 - 87، تعليقاً على أو17. 374 - 387.

وإخوتك وأقرباءك والجيران الأغنياء». القائمة الأولى في الأوديسة تتضمن أولئك القادرين على منح شيء في المقابل، أما القائمة الثانية في إنجيل لوقا فتتضمن أولئك الموسرين المالكين لسبل رد المعروف بدعوة مضيفهم للعشاء. يلوم يومايوس العُشَّاق على عدم دعوة مسكين فقير قد يثقل عليهم، ويقدم يسوع نفس الخطاب بشأن دعوة من ليس لهم أن يردوا المعروف «المساكين، الجدع، العرج، العمي».

وبالعودة إلى هوميروس نجد أن أحد عبيد أوديسيوس كاد يتعرف عليه، فيما أوشك آخر على فضح أمره. وهكذا يبدأ الفصل الثامن عشر:

> والآن جاء شحَّاذ معروف اعتاد الاستجداء في نواحي مدينة إيثاكا، وكان مشهوراً بالبطن الجشِع، يلتهم الطعام والشراب بغير حد. ولم يكن على شيءٍ من القوة أو العافية، أما في ضخامة الجسم فكان طريراً للناظرين. ذلك هو أرنايوس، فهذا هو الاسم الذي منحته إياه أمه المبجلة عند مولده؛ بيد أن جميع الشبان كانوا يُطلِقون عليه اسم إيروس، إذ كان من عادته أن يقوم ببعض المهام، التي يُكلِّفه بها غيره. (18. 1 - 7)[1]

أمر إيروس أوديسيوس أن يترك المائدة على الفور إذ لا تكفي المائدة اجتماع متسولين معاً. فلما رفض البطل قام النزاع بينهما.

> حار أوديسيوس في عقله، هل يضربه حتى تهجُره الحياة وهو يسقط هناك، أو يكيل له ضربةً خفيفة فيطرحه أرضاً. وبينما هو متحير، رأى أن من الأفضل أن يُنزِل به ضربةً خفيفة فيُلقيه على الأرض، كيلا يجذب أفكار الآخيين إليه. (18. 90 - 94)

(1) لُقب أرنايوس بإيروس إهانة له بتشبيهه بإيريس رسولة الآلهة على جبل أوليمبوس.

ولذا

> أما أوديسيوس فضربه على عنقه أسفل أذنه وحطَّم العظام. وفي الحال تدفَّق الدم القاني من فيه، وسقَط يتخبَّط في التراب ويئن، واصطكَّت أسنانه، وركَل الأرض بقدمَيه. وعندئذٍ رفع السادة المغازلون أيديهم، وكادوا يموتون من كثرة الضحك. (18. 96 - 100)

إيروس السمين والمتضور الظمِئ باستمرار يبدو ولكأنه مصاب بالخزب. وقد قام أوديسيوس في وليمة وفي حضور أعدائه بسحق فكه، أما يسوع ففي وليمة وفي حضور أعدائه فقد قام بشفاء مستسق. خاطر كلا البطلين بأن يتم اكتشاف أمرهما قبل الأوان: خاطر أوديسيوس بأن يُكتشف أمره كصاحب المنزل إذا ما فاز في القتال وخاطر يسوع بأن يُكتشف أمره كابن الله إذا ما شفى المريض.[1]

نستعرض المتوازيات:

أو17 - 18	لو14: 1 - 24
انضم أوديسيوس متخفياً كمتسول إلى العُشَّاق في وليمتهم.	انضم يسوع والذي هو في الحقيقة ابن الله (لو3: 22) إلى الفريسيين في وليمتهم (لو14: 1).
شل أوديسيوس حركة متسول بدين بضربة واحدة.	«هَل يَحِلُّ الإبرَاءُ فِي السَّبتِ؟»- فَأمسَكَهُ وَأبرَأَهُ وَأطلَقَهُ.» (3 - 4)

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 293 - 98، تعليقاً على أو18. 1 - 123. يقترح هذا المقطع أيضاً كون إيروس النموذج الذي استلهم عنه مرقس شخصية باراباس (ابن الآب) الذي يفضله اليهود على يسوع ابن الله (15: 7 - 20). انظر المناقشة في الفصل العشرين.

ويخ يومايوس العُشّاق على عدم دعوة المسكين لموائدهم بالرغم من أن الطعام لم يكن لهم من الأساس.	«وَقَالَ أيضاً لِلَّذِي دَعَاهُ: «إذَا صَنَعتَ غَدَاءً أو عَشَاءً فَلاَ تَدْعُ أصدِقَاءَكَ وَلا إخوَتَكَ وَلا أقرِبَاءَكَ وَلا الجيرَانَ الأغنيَاءَ، لِئَلاَّ يَدعُوكَ هُمْ أيضاً، فَتَكُونَ لَكَ مُكَافَاةٌ. بَل إذَا صَنَعتَ ضِيَافَةً فَادعُ: المَسَاكِينَ، الجُدعَ، العُرجَ، العُميَ- إذ لَيسَ لَهُم حَتَّى يُكَافُوكَ».» (12 - 14)

ومضاهاة لوقا واضحة هنا: فبينما طرد أوديسيوس إيروس من منزله بعدما تخلص منه بضربة واحدة، شفى يسوع البطل الرحيم المريض بعد أن دعاه ليولم في ملكوت الله.

والأهم من ذلك أن أوديسيوس ويسوع كذلك كانا شجاعين وذكيين استطاعا مشاركة أعدائهما الطعام بل ومصارحتهم بجرائمهم دون الكشف عن هويتيهما الحقيقية. في الفصل القادم نرى أوديسيوس ويسوع حيث يكشف كلاهما عن هويته الحقيقية للأشخاص الأقرب إليه.

الفصل الحادي عشر

التجلي

أعلم مرقس القارئ في مشهد معمودية يسوع أنه ابن الله ولكنه حرص على التوكيد عن إخفاء الأمر لئلا يصل إلى علم أعدائه فيقتلونه. فبعدما شفى يسوع ابنة يايرس على سبيل المثال «أوصَاهُمْ كَثِيراً أنْ لا يَعلَمَ أحَدٌ بِذَلِكَ» (مر5: 43).[1]

في تجلي يسوع (أو تحوله) أعلن لثلاثة من تلاميذه عن هويته الحقيقية التي أُعلِم بشأنها حين عمده يوحنا: أنه ابن إله.

«وَبَعدَ سِتَّةِ أيَّامٍ أَخَذَ يَسوعُ بُطرُسَ وَيَعقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَصَعِدَ بِهِمْ إلى جَبَلٍ عَالٍ مُنفَرِدِينَ وَحدَهُمْ. وَتَغَيَّرَتْ هَيئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلمَعُ بَيضَاءَ جِدّاً كَالثَّلجِ، لا يَقدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الأرضِ أنْ يُبَيِّضَ مِثلَ ذَلِكَ. وَظَهَرَ لَهُم إيلِيَّا مَع مُوسَى، وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ مَع يَسوعَ. فَجَعَلَ بُطرُسُ يَقُولُ لِيَسوعَ: «يَا سَيِّدِي، جَيِّدٌ أنْ نَكُونَ هَهُنَا. فَلنَصنَعْ ثَلاثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى

(1) انظر أيضاً مر1: 25، 44، 7: 36، 8: 26.

وَاحِدَةً، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةً». لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعلَمُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ إِذْ كَانوا مُرتَعِبِينَ. وَكَانَتْ سِحَابَةٌ تُظَلِّلُهُمْ. فَجَاءَ صَوتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: «هَذَا هُوَ اِبنِي الحَبِيبُ. لَهُ اِسمَعُوا». فَنَظَرُوا حَولَهُمْ بَغتَةً وَلَمْ يَرُوا أَحَداً غَيرَ يَسوعَ وَحدَهُ مَعهُمْ. وَفِيمَا هُم نَازِلُونَ مِنْ الجَبَلِ، أوصَاهُمْ أَنْ لا يُحَدِّثُوا أَحَداً بِمَا أَبصَرُوا، إِلَّا مَتَى قَامَ اِبنُ الإِنسَانِ مِنَ الأَمواتِ» (مر9: 2 – 9).

وتشبه هذه القصة كثيراً قصة وردت في الأوديسة.[1] كما رأينا من قبل فقد حولت أثينا أوديسيوس لهيئة متسول عجوز لئلا يتعرف عليه أحد من رواد منزله وساكنيه، وفي القصة التالية تُرجعه إلى صورته الأولى كيما يميزه ابنه تيليماخوس:

بهذا لمسَتْه أثينا بصولجانها الذهبي، وألقت حول صدره، أولاً عباءةً وجلباباً مغسولين حديثاً، زادت في حجمه وفي نضرة شبابه، ومن جديدٍ اسمَرَّ لونه، وامتلأت أوداجه، ونمت اللحية السوداء حول ذَقنه. وبعد أن قامت بهذا العمل، انصرفَت فدخل أوديسيوس الكوخ، فذُهل ابنه العزيز وإذ استولى عليه الذعر، أدار عينَيه جانباً، خشية أن يكون ذلك إلهاً، ثم تحدَّث إليه، وخاطبه بكلماتٍ حماسية، قائلاً: «أيها الغريب، إنك لتبدو لي الآن من لون آخر، غير الذي كنتَ عليه منذ لحظة، وكذلك الملابس التي عليك غير الأولى، وما عاد لونك كما كان من قبلُ. حقّاً إنك إله، أحد أولئك الذين يحتلُّون السماء الفسيحة. إذن رحماك، حتى نُقدِّم لك ذبائحَ مقبولة وهدايا ذهبية، بديعة الصنع، حتى يتسنَّى لك أن تعفو عنا».

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 263 – 69، تعليقاً على أو16. 172 – 303.

عندئذٍ أجابه أوديسيوس العظيم الكثير التحمل بقوله: «ثق بأنني لستُ إلهاً، لماذا تُشبِّهني بالخالدين؟ إنني أبوك.

«ويجب أن تعرف أن هذا من عمل أثينا التي تسوق الغنائم، والتي تمنحني كما تشتهي -لأن لها القدرة- فتجعلني الآن شحَّاذاً، ومرةً أخرى شاباً يافعاً، وشخصاً جميل الهندام». (أو16. 172 - 188 و207 - 210)

وبالرغم من علم تيليماخوس يقيناً أن المتنكر بهيئة المتسول هو في حقيقة الأمر أبوه إلا أنه من الخطير أن يعرف غيره بهذا، ولذا يوصيه أوديسيوس: ««إن كنتَ حقًّاً ابني ومن دمي، فلا تجعلن أحداً يسمع بأن أوديسيوس في المنزل، ولا تدَعن لايرتيس يعلم ذلك ولا راعي الخنازير، ولا أي فردٍ من خدَم المنزل، ولا بينيلوبي نفسها»» (16. 301 - 303).

تقترح أوجه الشبه في التحولين اقتراض مرقس من النص الأوديسي، كما فعل فرجيل (إن1. 588 - 613).[1]

أو16. 167 - 307	مر9: 2 - 10
كان أوديسيوس لرفقة تيليماخوس وحدهما.	«أخَذَ يَسوعُ بُطرُسَ وَيَعقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَصَعِدَ بِهِمْ إلى جَبَلٍ عَالٍ مُنفَرِدِينَ وَحدَهُمْ.» (2)

(1) انظر لوقا وفرجيل، 147 - 48. يُرجح أن سفر طوبيا يحاكي في تصويره لتجلي الملاك روفائيل في هيئته الملائكية الحقيقية الأوديسة (انظر الأناجيل وهوميروس، 376). وفي المقابل يحاكي تجلي يسوع كما ورد في إنجيل مرقس بالأكثر تحوُّل مظهر موسى على جبل سيناء حين تلقى الوصايا العشر (بالأخص خر24، 34).

حولت أثينا من هيئة أوديسيوس وكسته في ملابس «مغسولة بعناية».	«وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيْضَاءَ جِدًّا كَالثَّلْجِ، لا يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الأرضِ أنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذَلِكَ.» (2 - 3)(1)
ارتعب تيليماخوس لأنه ظن أوديسيوس إلهاً متنكراً كما أنه عرض تقديم الهدايا.	«فَجَعَلَ بُطرُسُ يَقُولُ لِيَسوعَ: «يَا سَيِّدِي، جَيِّدٌ أنْ نَكُونَ هَهُنَا. فَلْنَصنَعْ ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى وَاحِدَةً، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةً»- إذْ كَانوا مُرتَعِبِينَ.» (5 - 6)
رفض أوديسيوس عرضه فهو لم يكن إلهاً بل أباه.	ويخ صوت سماوي بطرس وأعلن يسوع ابن الله. «وَكَانَتْ سِحَابَةٌ تُظَلِّلُهُمْ. فَجَاءَ صَوتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: «هَذَا هُوَ ابنِي الحَبِيبُ. لَهُ اسمَعُوا!».» (7)
أمر أوديسيوس تيليماخوس بأن يبقى أمر هويته سراً.	«وَفِيمَا هُم نَازِلُونَ مِنَ الجَبَلِ، أوصَاهُمْ أنْ لا يُحَدِّثُوا أحَدًا بِمَا أبصَرُوا، إلّا مَتَى قَامَ ابنُ الإنسَانِ مِنَ الأمواتِ.» (9)

الفارق الأكبر بين السرديتين هنا هو أنه على عكس أوديسيوس الذي تحدث إلى ولده تحدث يسوع إلى ميتين، ومع ذلك فلقد رأينا أوديسيوس في الفصل الحادي عشر من الأوديسة يتباحث مع الكثيرين من الموتى.

في الفصل القادم نقارن بين ما جرى مع يسوع بعد تجليه وما جرى مع أوديسيوس بعدما تحدث إلى أموات هاديس.

(1) علق بروس لودن كذلك على كون «التركيز على تغيير الملبس أمر جوهري في التجلي- كما أن ذِكر مرقس لتبييض ثوب يسوع على يد مبيض (مر9: 3) شبيه بتأكيد الأوديسة على وضع أثينا عباءة مغسولة جيداً [يوبيلنيس] حول أوديسيوس» (أوديسة هوميروس والشرق الأدنى [كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2011]، 265).

الفصل الثاني عشر

شفاء غلام به روح نجس

نقرأ هذه القصة في مرقس مباشرة بعد حادثة التجلي:

وَلَمَّا جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ رَأَى جَمْعاً كَثِيراً حَوْلَهُمْ وَكَتَبَةً يُحَاوِرُونَهُمْ. وَلِلْوَقْتِ كُلُّ الْجَمْعِ لَمَّا رَأَوْهُ تَحَيَّرُوا، وَرَكَضُوا وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ. فَسَأَلَ الْكَتَبَةَ: «بِمَاذَا تُحَاوِرُونَهُمْ؟» فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ وَقَالَ: «يَا مُعَلِّمُ، قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ ابْنِي بِهِ رُوحٌ أَخْرَسُ، وَحَيْثُمَا أَدْرَكَهُ يُمَزِّقْهُ فَيُزْبِدُ وَيَصِرُّ بِأَسْنَانِهِ وَيَيْبَسُ. فَقُلْتُ لِتَلاَمِيذِكَ أَنْ يُخْرِجُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا»...

فَقَدَّمُوهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا رَآهُ لِلْوَقْتِ صَرَعَهُ الرُّوحُ، فَوَقَعَ عَلَى الأَرْضِ يَتَمَرَّغُ وَيُزْبِدُ. فَسَأَلَ أَبَاهُ: «كَمْ مِنَ الزَّمَانِ مُنْذُ أَصَابَهُ هذَا؟». فَقَالَ: «مُنْذُ صِبَاهُ. وَكَثِيراً مَا أَلْقَاهُ فِي النَّارِ وَفِي الْمَاءِ لِيُهْلِكَهُ. لكِنْ إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ شَيْئاً فَتَحَنَّنْ عَلَيْنَا وَأَعِنَّا»...

فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ الْجَمْعَ يَتَرَاكَضُونَ، انْتَهَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ قَائِلاً لَهُ: «أَيُّهَا الرُّوحُ الأَخْرَسُ الأَصَمُّ، أَنَا آمُرُكَ: اخْرُجْ مِنْهُ وَلاَ تَدْخُلْهُ أَيْضاً!». فَصَرَخَ وَصَرَعَهُ كَثِيراً وَخَرَجَ. فَصَارَ كَمَيْتٍ، حَتَّى قَالَ كَثِيرُونَ: «إِنَّهُ مَاتَ!».

فَأَمسَكَهُ يَسوعُ بِيَدِهِ وَأَقَامَهُ، فَقَامَ» (مر9: 14 - 28).

والنموذج الذي استقى منه مرقس هذه القصة لا يأتي كما هي العادة من أعمال هوميروس بل من مأساة إغريقية ليوربيدس تدعى 'جنون هرقل' أحد أشهر أبناء زوس.[1] يبدأ هذا العمل المسرحي بأبي هرقل الأرضي وامرأته ميغارا وأبنائه الثلاثة خارج منزلهم فيما كان هرقل نفسه غائباً عن بيته في آخر مهمة من مهماته المضنية، وهي أي يعيد لهاديس الكلب ذا الثلاث رؤوس سيربيروس. وخلال غيبته في أرض الموتى أراد ملك طيبة ليكوس أن يقتل أسرة هرقل ليزيد من سطوته. في الأبيات الافتتاحية يقول والد هرقل متأسفاً: «وأما أصدقاؤنا فأرى أن بعضهم غير وفيٍّ بطريقة واضحة، والبعض الآخر أراه صادق الوفاء، ولكنه عاجز عن مساعدتنا» (55 - 56 راجع 312 - 314). فإن كان هرقل قد بقى في منزله ما كان لأي من هذا أن يحدث (434 - 435).

> في طريق ليكوس إلى منزل عدوه كان أهل المنزل يلبسون أكفان الموت بالفعل (327 - 331)، وقبل أن يهم بذبحهم عاد هرقل من هاديس، فجرى إليه أبناؤه الثلاثة (520 - 522) فيما أخبرته ميغارا بخطة ليكوس للتخلص منهم: «تخلى عنا الأصدقاء، وقيل لنا إنك ترقد مع الموتى للأبد» (550). أخذهم هرقل لداخل المنزل بانتظار وصول ليكوس ورجاله الذين تم التخلص منهم بكل سهولة في مشهد تالٍ.

كما رأينا من قبل كان يسوع قد تحدث إلى الموتى (موسى وإيليا) في الإصحاح التاسع، وفي غيابه كان تلاميذه الآخرون عاجزين عن إخراج

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 269 - 75. يحتوي سفر أعمال أندراوس على محاكاتين لـ«هرقل مجنوناً» لـ«يوربيديس» (غريغوري، المثل، 29؛ آلام، 3 - 5). انظر الأناجيل وهوميروس، 384 - 86.

شيطان. وبمجرد عودته «وَلِلوَقتِ كُلُّ الجَمعِ لَمَّا رَأَوهُ... رَكَضُوا وَسَلَّمُوا عَلَيهِ» (مر9: 15) تماماً كما جرى أولاد هرقل لاستقباله بمجرد عودته من هاديس. ولدى سؤاله عما يجري يكتشف يسوع أن تلاميذه «لَم يَقدِرُوا» (مر9: 18) على إخراج الشيطان.

وما إن يفرغ هرقل من التعامل مع ليكوس وجنوده حتى تحل مشكلة أخرى. فهيرا زوجة زوس الغيور والتي طالما حاولت قتل هرقل أرسلت له الإلهة ليسا (أي الجنون) لتخبل عقله حتى يقتل امرأته وأولاده. وفي منزله وإذا بهرقل فجأة:

وقف ابن ألكميني صامتاً، وعندما توقف بعض الوقت

نظر الأولاد إليه، فإذا به لم يعد نفس الشخص الذي كان، بل تغير تماماً:

فوقف شارد الذهن، تقفز مقلتاه بسرعة هنا وهناك

وجحظت عيناه من رأسه حمراوين كالدم

بينما سال الزبد الأبيض على لحيته الشعثاء. (930 - 934)

ولا تنتهي نوبة جنون هرقل حتى يقتل أولاده وامرأته جميعهم. ومن ثم فأثينا «قذفت صخرة نحو صدر هرقل، فأوقفته عن جنون القتل، وألقته على الأرض في سبات عميق» (1004 - 1006). يجري والده إليه ليرى إن كانت ضربة أثينا قد قتلته. «صمتاً دعوني أنصت إلى تنفسه، لأنحني فوق جسده» (1060).

وسرعان ما يفيق هرقل ويدرك أن ما ألم به كان من صنيع هيرا: «عندما كنتُ لا أزال رضيعاً، دست زوجة زوس سراً ثعابين ذوي عيون جورجونية إلى مهدي، كي تقتلني» (1266 - 1268).

من الممكن اختصار أوجه الشبه بين عملي يوربيدس ومرقس فيما يلي:

جنون هرقل	مر9: 14 - 27
كان هرقل غائباً في مهمة إلى هاديس.	كان يسوع غائباً للتجلي حيث تحدث إلى الموتى (مر9: 2 - 9).
أثناء غيابه هدد ليكوس بقتل عائلته.	أثناء غيابه كان الكتبة يجادلون التلاميذ «وَلَمَّا جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ رَأَى جَمْعاً كَثِيراً حَوْلَهُمْ وَكَتَبَةً يُحَاوِرُونَهُمْ» (14)
عجز أهل طيبة عن المساعدة فيما ما كانت المشكلة لتحدث لو كان هرقل حاضراً من الأساس.	««فَقُلْتُ لِتَلاَمِيذِكَ أَنْ يُخْرِجُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا». فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ، إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟»» (18 - 19)
ما إن رآه أولاده حتى فرحوا وركضوا إليه.	«وَلِلْوَقْتِ كُلُّ الْجَمْعِ لَمَّا رَأَوْهُ- رَكَضُوا وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ» (15)
عندها علم هرقل بالمشكلة التي تتربص بهم.	«فَسَأَلَ الْكَتَبَةَ: «بِمَاذَا تُحَاوِرُونَهُمْ؟» فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ وَقَالَ: «يَا مُعَلِّمُ، قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ ابْنِي بِهِ رُوحٌ-»» (16 - 17)
أرسلت هيرا ليسا لتصعق هرقل فكان صامتاً واستدارت عيناه في المحجرين وأرغى فمه وقتل امرأته وأولادهما الثلاثة.	««يَا مُعَلِّمُ، قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ ابْنِي بِهِ رُوحٌ أَخْرَسُ، وَحَيْثُمَا أَدْرَكَهُ يُمَزِّقْهُ فَيُزْبِدُ وَيَصِرُّ بِأَسْنَانِهِ وَيَيْبَسُ» (17 - 18)
رمته أثينا بحجر حتى ظن والده أنه قد مات.	«فَصَرَخَ وَصَرَعَهُ كَثِيراً وَخَرَجَ. فَصَارَ كَمَيْتٍ، حَتَّى قَالَ كَثِيرُونَ: «إِنَّهُ مَاتَ!»» (26)
لما أفاق هرقل فطن لأن ما حدث كان من صنع هيرا التي طالما أرادت أن تهلكه منذ ولادته.	«فَسَأَلَ أَبَاهُ: «كَمْ مِنَ الزَّمَانِ مُنْذُ أَصَابَهُ هذَا؟». فَقَالَ: «مُنْذُ صِبَاهُ. وَكَثِيراً مَا أَلْقَاهُ فِي النَّارِ وَفِي الْمَاءِ لِيُهْلِكَهُ»» (21 - 22)

وهكذا ظهر يسوع كبطل أعظم من هرقل نفسه. ففي المأساة الإغريقية تسببت هيرا في إصابة هرقل بالجنون حتى قتل أسرته، وفي إنجيل مرقس يرد يسوع للغلام -الذي يمثل هرقل- عقله.

الفصل الثالث عشر

دخول المدينة متنكراً

وفقاً للإنجيل بحسب مرقس هكذا تكون زيارة يسوع الأولى لأورشليم:

«وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أورُشَلِيمَ إِلَى بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عنيَا، عِندَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، أرسَلَ اثنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَقَالَ لَهُمَا: «اِذهَبَا إِلَى القَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلوَقتِ وَأَنتُمَا دَاخِلاَنِ إِلَيهَا تَجِدَانِ جحشاً مَربُوطاً لَمْ يَجلِسْ عَلَيهِ أحَدٌ مِنَ النَّاسِ. فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ. وَإنْ قَالَ لَكُمَا أحَدٌ: لِمَاذَا تفعَلاَنِ هَذَا؟ فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحتَاجٌ إلَيهِ. فَلِلوَقتِ يُرسِلُهُ إِلَى هُنَا». فَمَضَيَا وَوَجَدَا الجَحشَ مَربُوطاً عِندَ البَابِ خَارِجاً عَلَى الطَّرِيقِ، فَحَلاَّهُ. فَقَالَ لَهُمَا قَومٌ مِنَ القِيَامِ هُنَاكَ: «مَاذَا تَفعَلاَنِ، تَحُلاَّنِ الجَحشَ؟». فَقَالا لَهُم كَمَا أوصَى يَسوعُ. فَتَرَكُوهُمَا. فَأتَيَا بِالجَحشِ إِلَى يَسوعَ، وَألقَيَا عَلَيهِ ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيهِ. وَكَثِيرُونَ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَآخَرُونَ قَطَعُوا أغصَاناً مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ. وَالَّذِينَ تَقَدَّمُوا، وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانوا يَصرُخونَ قَائِلِينَ: «أوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسمِ الرَّبِّ! مُبَارَكَةٌ مَملَكَةُ أبِينَا دَاوُدَ الآتِيَةُ بِاسمِ الرَّبِّ! أوصَنَّا فِي الأعَالِي!»» (مر11: 1 – 10).

والنموذج الذي احتذى به مرقس هنا يعود في الغالب لدخول أوديسيوس لأرض الفياكيين أعظم بحارة العالم.[1] وقد استعان فرجيل بهذا النموذج في تصوير دخول آينياس لمدينة قرطاجة (إن1. 305 - 497).[2] بعد تحطم سفينة أوديسيوس في نهاية الفصل الخامس من الأوديسة تخبر أثينا أميرة المدينة ناوسيكا بأن تطلب من أبيها أن يزودها ببغال وعربة. ولهذا تخاطب أباها ألكينوس:

«أبتاه العزيز، ألا يمكن أن تُعِد لي عربة، متينة، عالية العجلات، لأذهب إلى النهر كي أغسل ثوبي المُلقَى هنا قذراً؟»

[ألكينوس:] «ليست البغال بعزيزة عليك، يا طفلتي، ولا أي شيءٍ آخر. دونكِ وما أزمعتِ القيام به، فسيُعِد لك الخدم عربة، متينة العجلات عاليتها».

ما إن قال الملك هذا، حتى نادى الخدَم، فلبُّوا النداء، وهُرعوا إلى خارج القصر يُعِدُّون عربةً تجرُّها بغالٌ سريعة الجري، وجاءوا بالبغال فربطوها إلى العربة، وأحضَرت الفتاة ثوبها المتأنق من حجرتها. (أو6. 57 - 59، 68 - 69، 72 - 75)

(1) . انظر الأناجيل وهوميروس، 178 - 85، تعليقاً على أو6. 251 - 7. 328.

(2) . انظر لوقا وفرجيل، 141 - 47. يحاكي يوسيفوس مقابلة أوديسيوس وناوسيكا ليعيد قص مقابلة عبد إبراهيم إليعازر برفقة (عاديات اليهود 1. 246 - 248) وكذا في إعادة قص اكتشاف الطفل من قبل ابنة فرعون (2. 224). انظر الأناجيل وهوميروس، 352 - 55. كذلك حاكى المؤرخ اليهودي وصف هوميروس لحديقة ألكانيوس ليصف حديقة جليلية (حرب اليهود 3. 516 - 519؛ انظر الأناجيل وهوميروس، 355 - 56). أما شعراء القنطونات الهوميرية فقاموا بمحاكاة مقابلة ناوسيكا وأوديسيوس في إعادة قصهم لقصة المرأة الكنعانية (1. 1066 - 1126؛ انظر الأناجيل وهوميروس، 357 - 59).

عند الشاطئ وجدت ناوسيكا البطل عارياً وجائعاً، ولكن ما إن اغتسل وأضفت عليه أثينا جمال المحيا حتى ظنت الفتاة أنه إله.

> لم يأتِ هذا الرجل، إلى الفياكيين الشبيهي الآلهة، دون إرادة الأرباب الساكنين أوليمبوس؛ فقد كان يبدو لي أوَّل ما رأيتُه، صعلوكاً، أما الآن فإنه يشبه الآلهة، الذين يحتلُّون السماء الفسيحة. ليت رجلاً مثله يتزوَّجني، ويسكُن هنا، ويسُره البقاء في بلادنا. (6. 240 – 244)

في بداية الفصل الخامس كان زوس قد أخبر هيرميس أنه «سيُبدي هؤلاء [الفياكيون] له كل تبجيل كما لو كان إلهاً. وسوف يبعثون به في سفينة إلى وطنه العزيز» (أو5. 36 – 37). ومراراً حاول أوديسيوس أن يزيل عن عيون الفياكيين غشاوة كونه إلهاً (مثال: 6. 238 – 243، 280 – 281، 7. 199 – 210). وعلى كل ألبسته الأميرة ثياب أخيها وقادته للمدينة فمشى خلف عربة الملابس المغسولة التي تجرها البغال.

وكما هو الحال مع أوديسيوس، وصل يسوع إلى مكان غير مألوف ودخل المدينة في استعراض شُطَّاري تضمن تحميل الدواب حاملة الملابس. وفيما اعتقدت ناوسيكا والفياكيين خطأ أن الغريب إله، اعتقد سكان أورشليم خطأ أن يسوع الملك المسيا المنتظر.

وقد فطِن الشعراء البيزنطيون إلى هذه الصلة الوثيقة بين ما يعرف بالدخول الانتصاري ودخول أوديسيوس إلى مدينة الفياكيين، وتعكس القنطونات الهوميرية تغييرهم على استحياء لكلمات هوميروس في الفصلين السادس والسابع من الأوديسة في إعادة قصِّهم للقصة الواردة في مرقس:

القنطونات الهوميرية 2. 1228، 1234 - 1237، 1239 - 1261

(=أو7. 18 في إشارة لمدينة الفياكيين) ولكن لما هم بدخول المدينة الخلابة...

(≅أو8. 170) لكن الله توج كلماته بالجمال، والناس

(≅أو8. 171) يسرون إذ يرونه، وهو يتكلم غير متقلقل

(≅أو8. 173) تتعلق أنظارهم به وهو يخط المدينة ماشياً كإله

(≅أو7. 14) ومن ثم قام يسوع ليدخل المدينة، ومعه تلاميذه

(≅أو7. 82) ذهب إلى بيت أبيه الشهير، وقلبه

(≅أو7. 83) تفكر بالكثير بينما وقف هنالك قبل أن يتخطى العتبة

(≅أو7. 84) إذ كان هناك شعاع نور كما لو كان من الشمس أو القمر

(≅أو7. 85) فوق بيت إله السماء مرتفع الأسقف

(=أو7. 86) وكانت الجدران برونزية، تمتد في كل اتجاه

(=أو7. 87) من العتبة الخارجية إلى المركز، إفريز سماوي مغلق

(=أو7. 88) وداخل البيت المحكم البناء كانت الأبواب الذهبية

(≅أو7. 89) وأعمدة فضية على العتبات البرونزية

(=أو7. 90) والأُسكُفة فضية كذلك، والمقابض ذهبية

(≅أو7. 91) وعلى كل جانب كان الشاروبيم المصبوب ذهباً

(≅أو7. 92) صنعته مهارة بشرية باستعمال القوالب

(=أو7. 94) [ملائكة] خالدون وأبديون كل أيامهم

(≅أو7. 93) ليحموا بيت إله السماء الشهير

(≅أو6. 308) وعرش الآب بجانبها

(=أو7. 95) وبالداخل كانت العروش في كل اتجاه

(≅أو7. 98) حيث كان رؤساء العبرانيين يجلسون

(=أو7. 96) ومن العتب إلى الوسط دون فرجة كانت

(=أو7. 97) متناثرة أثواباً منسَّجة صنع النساء

(=أو7. 112) خارج الساحة كان، بالقرب من الأبواب، شاسع

(=أو7. 113) البساتين أربعة أفدنة وسياج يحيط به من كل اتجاه

(≅أو7. 114) وهنا على صفوف طويلة كانت مجالس الصيارفة

(≅أو7. 100) وعلى الركائز الحجرية جيدة البناء الشباب

(≅أو7. 101) وقفوا حاملين الطيور والحمام في أيديهم.

كما وفرت مقابلة ناوسيكا الأولى مع أوديسيوس مادة جيدة للاقتباس في إعادة صياغة دخول يسوع الهيكل:

القنطونات الهوميرية 2. 1263 - 1266، 1268، 1282 - 1283

(=أو6. 164) من ثم ذهب إلى هناك، وتبعه جمهور كبير

(=أو6. 130) مضى كأسد غذاه الجبل واثقاً بقوته

(≅أو6. 131) أسد صارع المطر والرياح، عيناه

(=أو6. 132) متقدتان ناراً. هكذا مضى في طريقه ملاحقاً الماشية والأغنام

(=أو6. 148) وللتو كان خطابه لطيفاً وحكيماً

(≅أو6. 137 رد فعل الخدم لرؤية أوديسيوس عارياً) وبدا لهم وهيباً مشوه الوجه

(=أو6. 138) فهربوا من أمامه على طول الساحل

وتستمر المتوازيات بين الأوديسة ومرقس حتى ما بعد الدخول المظفر:

«وَفِي الغَدِّ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيتِ عنيَا جَاعَ، فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيئاً. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيها لَمْ يَجِدْ إلا وَرَقَاً، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقتَ التِّينِ. فَأَجَابَ يَسوعُ وَقَالَ لَهَا: «لا يَأكُلْ أحَدٌ مِنكِ ثَمَرَاً بَعدُ إلى الأَبَدِ!». وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ يَسمَعُونَ» (مر11: 12 – 14).

وفيما بعد يدخل يسوع الهيكل مجدداً ويلاحظ تلاميذه أن التينة قد يبست من الأصول (مر11: 20).

ولطالما حار المفسرون في فعل يسوع ولعنه التينة غير المثمرة في غير وقت التين. وحل المعضلة يكمن في المقارنة بعجب أوديسيوس من بستان ألكينوس الشهير حيث يثمر شجر التين طوال العام.

وخارج البهو، بقرب باب القصر مزرعة كرومٍ هائلة تبلغ مساحتها أربع مقطوعيات ويُحيط بها مرتفعٌ تنمو فيه أشجارٌ فاخرة باسقة، أشجار الكمّثرى والرمان والتفاح، قطوفها دانية تتلألأ، وأشجار التين الحلو، والزيتون الجيد. ولم تكن ثمار هذه الأشجار لتنقطع أبداً، سواء في الشتاء أو في الصيف، بل كانت دائمة الإثمار طَوال العام. وتُساعد الريح الغربية بهبوبها الدائم على سرعة نضج الثمار، فتنضج الكمثرى واحدةً بعد الأخرى، والتفاحة إثر التفاحة، وعنقود العنب بعد

العنقود، والتينة وراء الأخرى.

وقف أوديسيوس العظيم، الكثير الاحتيال، مدهوشاً أمام هذه العجائب، وبعد أن نال كل شيء إعجاب قلبه، مَرَّ مسرعاً من العتبة إلى داخل القصر. (7.114 - 121)

وبالمثل نرى يسوع إذ أتى إلى أورشليم أُعجب بعمارة الهيكل ولكن لم يعجبه التين؛ إذ لا يضاهي ثمار حديقة ألكينوس ملك الفياكيين.

وأوجه الشبه هنا بين الحدثين لعجيبة:

أو6 - 7	مر11: 1 - 14
وصل أوديسيوس إلى جزيرة الفياكيين عارياً جائعاً.	وصل يسوع إلى أورشليم من دون مال ولا مضيف.
قالت أثينا لناوسيكا أن تطلب من أبيها أن يزودها بعربة وبغال تجرها.	«قَالَ لَهُمَا: «اِذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ وَأَنْتُمَا دَاخِلاَنِ إِلَيْهَا تَجِدَانِ جَحْشاً مَرْبُوطاً لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ».» (2)
أخبرت ناوسيكا أباها أنها تحتاج العربة لتهتم بغسل ملابسها.	«وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ: لِمَاذَا تَفْعَلاَنِ هذَا؟ فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُ إِلَى هُنَا».» (3)
سمح لها أبوها بأن تأخذ العربة.	«فَقَالَ لَهُمَا قَوْمٌ مِنَ الْقِيَامِ هُنَاكَ: «مَاذَا تَفْعَلاَنِ، تَحُلاَّنِ الْجَحْشَ؟». فَقَالاَ لَهُمْ كَمَا أَوْصَى يَسُوعُ. فَتَرَكُوهُمَا.» (5)
ذهبت ناوسيكا إلى الشاطئ وهناك وجدت أوديسيوس «طوت بعض ملابسها ووضعتها على العربة الجميلة/ من ثم وثقت البغال قوية الحوافر واعتلت.»	«فَأَتَيَا بِالْجَحْشِ إِلَى يَسُوعَ، وَأَلْقَيَا عَلَيْهِ ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَثِيرُونَ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ.» (7 - 8)

ارتحل أوديسيوس عبر الحقول.	«وَآخَرُونَ قَطَعُوا أغصَانَاً مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ.» (8) «وَقَطَعَ آخَرُونَ أغصَانَاً مِنَ الحُقُولِ» (مر 11: 8 الترجمة العربية المشتركة)
بالرغم من أن أوديسيوس كان ملكاً في أرضه إلا أنه دخل المدينة مرتدياً ثياب غيره وخلف عربة تحمل الملابس المغسولة.	بالرغم من أن يسوع ابن الله إلا أنه دخل المدينة في اتضاع راكباً دابة مملوكة لغيره ملجمة بالثياب لا بسرج.
دخل أوديسيوس المدينة في وقت متأخر من النهار.	«إذْ كَانَ الوَقتُ قَد أمسَى» (11)
«وقف أوديسيوس هناك يحملق/ فلما حدق في كل شيء بإعجاب-»	«فَدَخَلَ يَسوعُ أورُشليمَ وَالهَيكَلَ، وَلَمَّا نَظَرَ حَولَهُ إلَى كُلِّ شَيءٍ- خَرَجَ إلَى بَيتِ عنيَا» (11)
شملت عجائب المدينة حديقة ألكينوس بأشجار التين التي تطرح في حينها وفي غيره.	«فَلَمَّا جَاءَ إلَيها لَم يَجِدْ إلا وَرَقَاً، لأنَّهُ لَم يَكُنْ وَقتَ التِّينِ. فَأجَابَ يَسوعُ وَقَالَ لَهَا: «لا يَأكُلْ أحَدٌ مِنكِ ثَمَراً بَعدُ إلى الأبَدِ!»» (13 - 14)

وفي هذه القصة كسابقاتها استعار مرقس من هوميروس لرواية ما أراد عن يسوع. ولكن على غير العادة لم يقم يسوع هنا بأي فعل معجزي أو خارق للطبيعة بل إن كل ما فعله هو دخول مدينة على حمار. والنموذج الذي يأخذ عنه مرقس ما يرويه لاحقاً لما فعل يسوع بعد دخول أورشليم مأخوذ عن الفصل الثاني والعشرين من الأوديسة بعد رجوع أوديسيوس إلى موطنه إيثاكا، وفيه تتبدى بطولة يسوع كما لم يسبق لها كما سنرى معاً.

الفصل الرابع عشر

تطهير البيت من اللصوص

في العادة يظهر يسوع في الأناجيل بالمسالم غير المؤيد لاستخدام العنف، ولكن تنقلب الآية في القصة التالية من مرقس إذ يطهر يسوع «بيته» من اللصوص:

«وَجَاءوا إِلَى أورُشَليمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسوعُ الهَيكَلَ ابتَدَأَ يُخرِجُ الَّذِينَ كَانوا يَبِيعُونَ وَيَشتَرونَ فِي الهَيكَلِ، وَقَلَّبَ مَوائِدَ الصَيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الحَمَامِ. وَلَم يَدَعْ أَحَداً يَجتَازُ الهَيكَلَ بِمَتَاعٍ. وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلاً لَهُم: «أَلَيسَ مَكتُوباً: بَيتِي بَيتَ صَلاةٍ يُدعَى لِجَمِيعِ الأُمَمِ؟ وَأَنتُم جَعَلتُموهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ». وَسَمِعَ الكَتَبَةُ وَرُؤسَاءُ الكَهَنَةِ فَطَلَبوا كَيفَ يُهلِكُونَهُ، لأَنَّهُمْ خَافُوهُ، إِذْ بُهِتَ الجَمعُ كُلُّهُ مِنْ تَعلِيمِهِ.» (مر 11: 15 – 18)

وقد فطن يسوع إلى حقيقة أن ذلك الجيشان العاطفي مؤداه مميت لا محالة فحكى القصة التالية في توقع للمحصلة. في مثل الكرامين يحدثنا يسوع عن كرّام مالك لحقل من الكروم يمثّل الله وعبيده هم أنبياء اليهود وابنه هو يسوع أما القتلة فيمثلون السلطات الدينية اليهودية.

«وَابتَدَأَ يَقُولُ لَهُم بِأَمثَالٍ: «إِنسَانٌ غَرَسَ كَرمًا أَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ، وَحَفَرَ حَوضَ مَعصَرَةٍ، وَبَنَى بُرجًا، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ. ثُمَّ أَرسَلَ إِلَى الكَرَّامِينَ فِي الوَقتِ عَبدًا لِيَأخُذَ مِنَ الكَرَّامِينَ مِنْ ثَمَرِ الكَرمِ، فَأَخَذُوهُ وَجَلَدُوهُ وَأَرسَلُوهُ فَارِغًا. ثُمَّ أَرسَلَ إِلَيهِمْ أَيضًا عَبدًا آخَرَ، فَرَجَمُوهُ وَشَجُّوهُ وَأَرسَلُوهُ مُهَانًا. ثُمَّ أَرسَلَ أَيضًا آخَرَ فَقَتَلُوهُ. ثُمَّ آخَرِينَ كَثِيرِينَ، فَجَلَدوا مِنهُمْ بَعضًا وَقَتَلوا بَعضًا. فَإِذ كَانَ لَهُ أَيضًا ابنٌ وَاحِدٌ حَبِيبٌ إِلَيهِ، أَرسَلَهُ أَيضًا إِلَيهِمْ أَخِيرًا، قَائِلاً: إِنَّهُم يَهَابُونَ ابنِي! وَلكِنَّ أُولَئِكَ الكَرَّامِينَ قَالوا فِيمَا بَينَهُمْ: هَذَا هُوَ الوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقتُلهُ فَيَكُونَ لَنَا المِيرَاثُ! فَأَخَذُوهُ وَقَتَلُوهُ وَأَخرَجُوهُ خَارِجَ الكَرمِ. فَمَاذَا يَفعَلُ صَاحِبُ الكَرمِ؟ يَأتِي وَيُهلِكُ الكَرَّامِينَ، وَيُعطِي الكَرمَ إِلَى آخَرِينَ».» (مر12: 1 – 9)

وفي نفس الإصحاح يحذر يسوع الجموع من أعدائه: ««تَحَرَّزوا مِنَ الكَتَبَةِ، الَّذِينَ يَرغَبُونَ المَشيَ بِالطَّيَالِسَةِ، وَالتَّحِياتِ فِي الأَسوَاقِ، وَالمَجَالِسَ الأولَى فِي المَجَامِعِ، وَالمُتَّكَآتِ الأولَى فِي الوَلاَئِمِ. الَّذِينَ يَأكُلونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ، وَلِعِلَّةٍ يُطِيلُونَ الصَّلَوَاتِ. هَؤلاَءِ يَأخُذُونَ دَينُونَةً أَعظَمَ».» (مر12: 38 – 40)

في المشهد التالي مباشرة يرى يسوع الأغنياء يلقون العطايا في خزانة المجمع، فيما تأتي أرملة فقيرة فتلقي فلسات قليلة. «فدعا يسوع تلاميذه وقال لهم: «الحَقَّ أَقُولُ لَكُم: إِنَّ هَذِهِ الأَرمَلَةَ الفَقِيرَةَ قَد أَلقَتْ أَكثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ أَلقَوْا فِي الخِزَانَةِ، لأَنَّ الجَمِيعَ مِنْ فَضلَتِهِمْ أَلقَوْا، وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ أَعوَازِهَا أَلقَتْ كُلَّ مَا عِندَهَا، كُلَّ مَعِيشَتِهَا».» (مر12: 43 – 44)

يجد العنفوان الذي يظهره يسوع في الهيكل وغضبه على آكلي أموال الأرامل مقابله في الأوديسة[1]؛ فقد اعتقد مغازلي و عشاق بينيلوبي أن أوديسيوس قد قضى نحبه مما يجعلها أرملة ومع ذلك فقد تثاقلوا عليها والتهموا قوت بيتها بلا رحمة. وهكذا يشتكي تيليماخوس أن العُشّاق «يُغازِلون جميعاً والدتي ويعيثون فساداً بمنزلي. بل هم يُبدِّدون أموالي بالولائم، وعما قريب سيجُرُّونني أيضاً إلى الخراب» (أو16. 125، 127 - 128).

في الفصل السادس عشر من الأوديسة يتجادل العُشّاق فيما يجب فعله بتيليماخوس ليستحوذوا على مال بيته[2]، فيقترح أنتينوس أن يقتلوه:

«فلا يسعنا إذن، إلا أن نُدبِّر له ميتةً شنيعة، ولا نَدعَه يُفلتُ من أيدينا؛ إذ حسب اعتقادي لن ننجح في عملنا هذا طالما هو على قيد الحياة.

هلموا بنا، إلى العمل أولاً، لنقبض عليه في الحقول بعيداً عن المدينة، أو في الطريق. ولنحتفظ نحن أنفسنا بأمواله، وكذا ثروته» (16. 371 - 373، 383 - 384)

اقترح آخر من العُشّاق حلاً أقل عنفاً فأنقذ في الواقع حياة تيليماخوس.

(1) . انظر الأناجيل وهوميروس، 311 - 15، تعليقاً على أو22. 1 - 86. حاكى يوسيفوس مقتل المغازلين لتحسين إعادة قص القصة الكتابية الخاصة بقتل داود لعماليق (عاديات اليهود 6. 362 - 363؛ انظر الأناجيل وهوميروس، 382). وتكررت المحاكاة كذلك في سفر أعمال أندراوس (آلام 13 - 14؛ انظر الأناجيل وهوميروس، 382 - 84).

(2) «الشبه بين الكرامين والمغازلين هو أكبر من طفيف؛ إذ في تآمرهم لقتل تيليماخوس تآمر لقتل الابن» (لودن، أوديسة هوميروس، 272).

يحسم الموقف أوديسيوس أخيراً في الفصل الثاني والعشرين من الأوديسة: «خلع أوديسيوس الكثير الحيل عنه أسماله البالية وقفز إلى عتبة الباب العظيمة ومعه القوس والجعبة مملوءة بالسهام، ونثَر السهام السريعة أمام أقدامه» (22. 1 – 3) فكان أنتينوس أول من سقط قتيلاً:

ولكن أوديسيوس سدَّد إصابته، وضربه بسهمٍ في حَلْقه، وإذا بطرف السهم ينفُذ خلال العنق الرقيق تماماً، فترنَّح إلى جانب، وسقطَت الكأس من يده عندما أصابه السهم. وفي الحال تصاعدَت إلى مِنخرَيه كتلٌ سميكة من الدم البشري، ولِتوِّه أبعد المائدة عنه بركلةٍ من قدمه، فانتثر كل الطعام فوق الأرض. (22. 15، 17 – 20)

وتدافع العُشَّاق ليتمنعوا بدروعهم ورماحهم التي كان تيليماخوس قد أخفاها، فما عاد لهم من أسلحة سوى سيوفهم، وما من دروع سوى الطاولات: بعدئذٍ قطَّب أوديسيوس الكثير الحيل حاجبَيه وبنظرةٍ غاضبة ردَّ عليهم، بقوله:

«أيها الكلاب، لقد حسبتم أنني لن أعود أبداً من بلاد طروادة إلى منزلي؛ لأنني أراكم قد خرَّبتُم بيتي، دون خوفٍ من الآلهة الذين يحتلُّون السماء الفسيحة، أو احترامٍ للبشر، الآتيين إلى هنا من بعد. والآن، قد ثُبِّتَت عليكم جميعاً حبال الهلاك».

ما إن قال هذا، حتى استولى عليهم جميعاً الخوف الشاحب. (22. 34 – 36، 39 – 42)

استحث يوريماخوس رفاقه قائلاً: «استلُّوا سيوفكم، وضَعوا الموائد أمامكم وقايةً لكم من السهام التي تجلب الموت السريع» (22. 74) ولكن سرعان ما

«ترك يوروماخوس السيف يسقط من يده على الأرض، وإذ انحنى فوق المائدة مال وسقط، وأوقع على الأرض الطعامَ والكأسَ ذات المقبضَين» (22. 84 – 86).

في كلا الروايتين يظهر سيد المنزل سلطته عليه بطرد المتسكعين.[1] في قضاء أوديسيوس على العُشَّاق تتطاير الكراسي والموائد والأطباق والأطعمة في الأرجاء، وفي القصة المرقسية «قلّب [يسوع] موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام» وألقى بالسلع والقطع النقدية على الأرض «ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع.»

في كلا الروايتين يستنكر البطل فعلة الدخلاء الذين يخشونه: العُشَّاق إذ يسهل أن يفتك بهم أوديسيوس ورؤساء الكهنة والكتبة إذ كانت الجموع تحبه. يستجيب العُشَّاق بتسليح أنفسهم ليقضوا على أوديسيوس وتيليماخوس، أما الكتبة ورؤساء الكهنة «فَطَلَبوا كَيفَ يُهلِكُونَهُ».

وبالتالي نرى أن الشعراء البيزنطيين عندما أرادوا إعادة قص الرواية استعاروا العديد من الأبيات من مشهد ذبح العُشَّاق.

القنطونات الهوميرية 2. 1276 – 1279

(=أو22. 42، رد فعل العُشَّاق إذ أعلن أوديسيوس عن نفسه) ما إن قال هذا،
حتى استولى عليهم جميعاً الخوف الشاحب
(=أو22. 43) فأخذ كل رجلٍ يتطأّع حوالَيه علَّه يجد مهرباً من الهلاك الشامل
(≅أو22. 34) عندئذٍ قطَّب يسوع الكثير الحيل حاجبَيه وبنظرةٍ غاضبة ردَّ عليهم، بقوله:

(1) . لودن: «ولعل جوهر تصوير الأناجيل للفساد البالي لأعداء المسيح، فيما يشبه تصوير الأوديسة لجشع المغازلين ورغبتهم في حيازة ما للغير، يكمن في تطهير الهيكل» (أوديسة هوميروس، 268).

(=أو22. 35) «أيها الكلاب، لقد حسبتم أنني لن أعود أبداً إلى منزلي.»

وهاك مقارنة بين القصتين المرويتين من قبل هوميروس ومرقس:

أو22	مر11 - 12
طهر أوديسيوس بيته وتخلص من العُشّاق بقتلهم.	طهر يسوع بيته وتخلص من الباعة بطردهم.
خطط العُشّاق لمقتل تيليماخوس.	«وَسَمِعَ الْكَتَبَةُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يُهْلِكُونَهُ.» (مر11: 18)
«فلا يسعنا إذن، إلا أن نُدبِّر له ميتةً شنيعة، ولا ندعَه يُفلتُ من أيدينا؛ إذ حسب اعتقادي لن ننجح في عملنا هذا طالما هو على قيد الحياة. هلموا بنا، إلى العمل أولاً، لنقبض عليه في الحقول بعيداً عن المدينة، أو في الطريق. ولنحتفظ نحن أنفسنا بأمواله، وكذا ثروته» (16. 371 - 373، 383 - 384)	«وَلكِنَّ أُولئِكَ الْكَرَّامِينَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ فَيَكُونَ لَنَا الْمِيرَاثُ! فَأَخَذُوهُ وَقَتَلُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ.» (مر12: 7 - 8)
قتل أوديسيوس العُشّاق.	«فَمَاذَا يَفْعَلُ صَاحِبُ الْكَرْمِ؟ يَأْتِي وَيُهْلِكُ الْكَرَّامِينَ، وَيُعْطِي الْكَرْمَ إِلَى آخَرِينَ» (مر12: 9)
بدد العُشّاق أموال بينيلوبي الأرملة التي لا حول لها ولا قوة.	«تَحَرَّزُوا مِنَ الْكَتَبَةِ- الَّذِينَ يَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ» (مر12: 38 - 40) كالأرملة صاحبة الفلسين (مر12: 41 - 44)

وفي الأحداث التالية تتوالى المحاكاة بين الأحداث الملحمية والمرقسية حيث يتنبأ يسوع بالعودة لإنقاذ من يبقون على إخلاصهم له.

النموذج الأولي المستقى من الملاحم لمقابلة السلطات اليهودية في مرقس ولوقا يتمثل في خطاب بينيلوبي. وعلى الرغم من المقابلة الناجحة أدبياً إلا أن تعميق هذا التصور أدى للعداء المسيحي لليهود لألفي عام. يصور الشاعر الأوديسي أولئك العُشّاق باتساق وعلى مدى العمل بأكمله كتلة جشعة متعجرفة غير مضيافة بل وعنيفة، فلا ينجو من أذاهم ولا حتى بينيلوبي ولا تيليماخوس- الأرملة واليتيم. بل وحتى في تلك اللحظات القليلة التي يصورهم فيها هوميروس بشكل إيجابي فإنه لا يؤكد إلا على استثنائية مثل تلك المواقف وندرتها. لننصف كُتاب الأناجيل قد نجيز القول بأن الإنجيل المفقود قد بشّع الفريسيين بالفعل قبل كتابة أيهم، إلا أنه لم يقدم ذلك على صورة روائية. ولهذا فإن المُلام الأول على هذا التحول التاريخي المدمر هو مرقس، كما أن لكتاب الأناجيل التالين له قدراً من اللوم.

الفصل الخامس عشر

النبي الممسوح من امرأة

نقرأ في مرقس مباشرة بعد امتداح يسوع للمرأة ذات الفلسين:

«وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنَ الهَيكَلِ، قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: «يَا مُعَلِّمُ، أُنظُرْ! مَا هَذِهِ الحِجَارَةُ! وَهَذِهِ الأبنِيَةُ!»[1]. فَأجَابَ يَسوعُ وَقَالَ لَهُ: «أتَنظُرُ هَذِهِ الأبنِيَةَ العَظِيمَةَ؟ لا يُترَكُ حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لا يُنقَضُ». وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيتُونِ، تُجَاهَ الهَيكَلِ، سَألَهُ بُطرُسُ وَيَعقُوبُ وَيُوحَنَّا وَأندَرَاوُسُ عَلَى انفِرَادٍ: «قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا؟ وَمَا هِيَ العَلاَمَةُ عِندَمَا يَتِمُّ جَمِيعُ هَذَا؟»» (مر13: 1-4)

وللإجابة على هذا السؤال يلقي يسوع خطبة طويلة عريضة يتنبأ فيها بأحداث ما قبل وأثناء الثورة اليهودية الكبرى - التي كانت قد انتهت منذ سنوات قليلة مضت وقت كتابة مرقس لإنجيله. ومن ثم يتنبأ يسوع بمجيئه الثاني كما لو كان يتحدث عن عودة آخر.

(1) يماثل هذا المقطع انبهار تيليماخوس من السناء الذي أسقطته أثينا على حوائط وجدران بيت أوديسيوس أو19. 35 - 43.

«وَفِي تِلكَ الأيَّامِ بَعدَ زَمَنِ الضِّيقِ، تُظلِمُ الشَّمسُ وَلا يُضِيءُ القَمَرُ. وَتَتَساقَطُ النُّجُومُ مِنَ السَّماءِ وَتَتَزَعزَعُ قُوّاتُ السَّماءِ. وَفِي ذَلِكَ الحِينِ يَرَى النَّاسُ ابنَ الإنسانِ آتِياً فِي السَّحابِ بِكُلِّ عِزَّةٍ وَجَلالٍ. فَيُرسِلُ مَلائِكَتَهُ إلَى الرِّياحِ الأربَعِ لِيَجمَعُوا مُختارِيهِ مِنْ أقصَى الأرضِ إلَى أقصَى السَّماءِ. خُذُوا مِنْ شَجَرَةِ التِّينِ عِبرَةً: إذا لانَت أغصانُها وَأورَقَتْ، عَرَفتُم أنَّ الصَّيفَ قَرِيبٌ. وَكَذلِكَ إذا رَأيتُم هَذا كُلَّهُ يَحدُثُ، فاعلَمُوا أنَّ الوَقتَ قَرِيبٌ عَلَى الأبوابِ. الحَقَّ أقُولُ لَكُم: لَنْ يَنقَضِيَ هَذا الجِيلُ حَتَّى يَتِمَّ هَذا كُلُّهُ...

فكُونوا عَلَى حَذَرٍ وَاسهَرُوا، لأنَّكُم لا تَعرِفُونَ مَتَى يَجِيءُ الوَقتُ. وَذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ سافَرَ وَتَرَكَ بَيتَهُ وَسَلَّمَهُ إلَى خَدَمِهِ، كُلٌّ وَاحِدٍ وَعَمَلُهُ، وَأوصَى البَوّابَ بِالسَّهَرِ. فَاسهَرُوا، لأنَّكُم لا تَعرِفُونَ مَتَى يَجِيءُ رَبُّ البَيتِ، أفِي المَساءِ أم فِي مُنتَصَفِ اللَّيلِ أم عِندَ صِياحِ الدِّيكِ أم فِي الصَّباحِ. لِئلاَّ يَجِيءَ فَجأةً فَيَجِدَكُم نِياماً. وَما قُلتُهُ لَكُم أقُولُهُ لِجَمِيعِ النَّاسِ: اسهَرُوا!» (مر13: 24 – 37 الترجمة العربية المشتركة)

تشبيه يسوع عودته بعودة رجل مسافر تغرب عن بيته في رحلة طويلة يمثل لُب حبكة الأوديسة حيث يتغرب أوديسيوس عن إيثاكا لمدة عشرين عاماً فيما يأمل أفراد أسرته وخدمه المخلصون عودته بصبر.

نرى الكثير من أوجه التشابه كذلك بين الملحمة والنص المرقسي في تنبؤات يسوع.[1] في الفصل التاسع عشر من الأوديسة وإذ كان أوديسيوس لا يزال متنكراً في هيئة المتسول، أراد أن يبث الطمأنينة في زوجته ولذا تنبأ عن عودته سالماً إلى بيته كما لو كان يتحدث عن عودة آخر سواه.

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 298 – 301، تعليقاً على أو19. 35 – 271.

بعد ذلك جلس أوديسيوس العظيم البالغ التحمُّل، وبدأته بينيلوبي الحكيمة بالكلام، فقالت:

«سأُلقي عليك هذا السؤال أولاً، أيها الغريب، من أنت من بين البشر، ومن أين، وأين مدينتك، وأين والداك؟» (أو19. 102 - 105)

لم يكن «المتسول» على استعداد لكي يفصح عن هويته الحقيقية بعد؛ فأخبرها بإحدى أشهر كذباته مدعياً أنه التقى أوديسيوس على جزيرة كريت (19. 165 - 202). فلما سمعت بينيلوبي اسم زوجها بكت وسألت الغريب عن علامات في زوجها لتتعرف إن كان يصدقها القول: ««خبِّرني عن نوع الملبس الذي كان يرتديه فوق جسمه»» (19. 218). فأخبرها بما كان يرتدي وبصحبة من سافر. «هكذا قال، فتحركَت في قلبها الرغبة في البكاء أكثر من ذي قبل، عندما لاحظَت العلامات الأكيدة التي ذكرها لها أوديسيوس» (19. 250).

قرأنا تواً في إنجيل مرقس كيف سأله أربعة من تلاميذه على انفراد (مر13: 3) «مَتَى يَكُونُ هَذَا؟ وَمَا هِيَ العَلاَمَةُ عِندَمَا يَتِمُّ جَمِيعُ هَذَا؟» (مر13: 4). فأعطاهم يسوع علامات لمراحل النزاع والحرب القادمة بالإضافة لعلامات أخر تسبق مجيئه مباشرة: «وَفِي تِلكَ الأيَّامِ بَعدَ زَمَنِ الضِّيقِ، تُظلِمُ الشَّمسُ وَلا يُضِيءُ القَمَرُ. وَتَتَساقَطُ النُّجُومُ مِنَ السَّمَاءِ وَتَتَزعزَعُ قُوَّاتُ السَّمَاءِ» (مر13: 24 - 25). ولذا فعليهم أخذ العبرة من شجرة التين متى أخضرّ عودها عُلم بأن الصيف قد صار قريباً. فإذا ما تمت تلك العلامات وجب أن يُعرف أن مجيء ابن الإنسان قد صار قريباً. «الحَقَّ أقُولُ لَكُم لَنْ يَنقَضِيَ هَذَا الجِيلُ حَتَّى يَتِمَّ هَذَا كُلُّهُ» (مر13: 30).

أما عن التمثيل بشجرة التين فغالباً ما يرجع هذا الحديث أوديسيوس مع بينيلوبي السابق الإشارة إليه حيث أراد أن يطمئنها إلى قرب زوجها منها (19. 270 - 271). بل إنه في الحقيقة قد ترامى إلى علمه أن أوديسيوس:

ولكن أوديسيوس، هكذا قال الملك، ذهب إلى دودونا ليستمع إلى إرادة زوس من شجرة البلُّوط الشامخة التي للرب هناك، فيعرف كيف يمكنه أن يعود إلى وطنه بعد ذلك الغياب الطويل، وهل يعود سرًّاً أو جهراً.

وعلى ذلك، إنه، كما أُخبركِ، سالم، وسيأتي حالاً؛ إنه قريب جداً، ولن يمضي وقتٌ طويل وهو بعيد عن أهله وعن وطنه. وزيادةً على ذلك، فسأُقسِم لكِ قسَماً. ليكن زوس شاهدي الأول ذلك أن الرب الذي هو أرفع وأحسن الآلهة، وموقد أوديسيوس النبيل الذي أجيء إليه، أن هذه الأمور التي سأُخبرك بها سوف، وايم الحق، تتم كما أُخبرك. في خلال هذا الشهر بالذات سيكون أوديسيوس هنا، بمجرد أن يأفُل القمر القديم ويظهر القمر الجديد. (19. 296 - 302، 305 - 307)

ويسوع كذلك ربط بين عودته وإظلام القمر (مر13: 24 - 25).

في المشهد التالي مباشرة نجد يسوع يتعشى في منزل شخص أبرص فتأتي امرأة حاملة قارورة عطر غالي الثمن وتسكبها على رأسه. يتذمر بعض الحضور من فعلة المرأة لأن العطر الغالي كان يمكن أن يُباع ويُنفق ثمنه على المحتاجين (مر14: 5)، ولكن يسوع يدافع عنها وعما فعلته قائلاً:

«اترُكُوهَا! لِمَاذَا تُزعِجُونَهَا؟ قَد عَمِلَتْ بِي عَمَلاً حَسَنَاً! لأنَّ الفُقَرَاءَ مَعكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَمَتَى أَرَدتُمْ تَقدِرُونَ أن تَعمَلُوا بِهِمْ خَيرَاً. وَأَمَّا أنَا فَلَستُ مَعكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. عَمِلَتْ مَا عِندَهَا. قَد سَبَقَتْ وَدَهَنَتْ بِالطِّيبِ جَسَدِي لِلتَّكفِينِ. الحَقَّ أقُولُ لَكُم: حَيثُمَا يُكرَزْ بِهَذَا الإنجِيلِ فِي كُلِّ العَالَمِ، يُخبَرْ أيضَاً بِمَا فَعَلَتهُ هَذِهِ، تذكَارَاً لَهَا» (مر14: 6 - 9)

من ثم مضى يهوذا أحد الاثني عشر «إِلَى رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ لِيُسَلِّمَهُ إِلَيهِمْ» (مر14: 10)

ترجع العديد من التفصيلات هنا لمشاهد بعينها من الأوديسة. فأولاً كان مضيف يسوع في هذه القصة شخصاً منبوذاً اجتماعياً: سمعان الأبرص، كذلك الحال مع مضيف أوديسيوس الذي استقبله أولاً: يومايوس راعي الخنازير. وثانياً فمن يؤنبون المرأة على سكب الطيب على رأس يسوع يشبهون خادمة بينيلوبي الشريرة ميلانثو التي أنبتها على إكرامها للمتسول:

بيد أن ميلانثو بدأت مرةً ثانية تسخر من أوديسيوس، فقالت: «كلا، اخرج، أيها الوضيع، واكتفِ بعَشائك، وإلا ضُربتَ في الحال بمشعل، وعندئذٍ تخرج».

قطَّب أوديسيوس الكثير الحيل ما بين حاجبَيه، ونظر إليها بغضب، وقال: «أيتها السيدة الطيبة، لِمَ، بربك، تهاجمينني هكذا بقلبٍ حانق؟ لأنني قَذِرٌ وأرتدي ملابسَ مُهلهلَةً على جسمي، وأستجدي في طرقات المدينة؟ هذا لأن الحاجة تَضطَرني إلى ذلك، فهكذا هم الشحَّاذون وأبناء السبيل» (19. 65، 68 – 74)

حكى لهم المتسول عن كرمه في شبابه مع المعوزين إذ كان غنياً، ومع ذلك لم يقيه زوس حامي الغرباء شر فقد ثروته:

قال هذا، وسمعَتْه بينيلوبي الحكيمة، فنَهرت الخادمة، وخاطبَتْها، بقولها:

«ثقي أيتها الجريئة العديمة الحياء،أن عملك الطائش ذاك ليس خافياً عني بأية حالٍ من الأحوال.» (19. 89 – 92)

وكما وبخت بينيلوبي خادمتها وبخ يسوع من أنّبوه على مسح المرأة له. وبينما قامت خادمة أوديسيوس بـ «عمل شرير» بإهانتها لشحاذ مسكين عملت المرأة غير المسماة في مرقس «قَدْ عَمِلَتْ بِي عَمَلاً حَسَناً! لأنَّ الفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَمَتَى أَرَدتُمْ تَقدِرُونَ أن تعملُوا بِهِمْ خَيراً. وَأمَّا أنَا فَلَستُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ» (مر14: 6 – 7).

وثالثاً فهذه المرأة التي مسحت يسوع تستحضر للذهن يوروكليا التي غسلت رجليّ أوديسيوس.[1] فبينيلوبي وإن كانت لم تصدق نبوءات الغريب بعودة زوجها سالماً إلا أنها مع ذلك أرادت إظهار امتنانها بجعل إحدى خادماتها تغسل رجلي الغريب.

«وفي الصباح الباكر يغسلنه ويدهنه.

أما إذا كان المرء خالياً من اللوم وذا قلبٍ لا غُبار عليه، حمل الأغرابُ صيتَه بعيداً بين جميع الناس، وقال عنه الكثيرون إنه رجلٌ حقيقي.» (19. 320، 332 – 334)

أما عن أوديسيوس فقد خشي أن تكتشف أمره الخادمات الأصغر سناً فيفضحنه، بعكس العجوز يوروكليا. فطلب من بينيلوبي:

«نعم، وكذلك حماماتُ الأقدام لا تُدخل السرور إلى قلبي، ولن تلمس أي فتاةٍ قدمي من جميع خادماتك اللواتي في ساحتك، إلا إذا كان هناك سيدةٌ عجوز، مخلصة قاست محناً كثيرة كالتي قاسيتُها؛ إذن فلن أمنعَ مثل هذه السيدة من أن تمَس قدَمي.»

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 303 – 311، تعليقاً على أو19. 320 – 505.

فأجابته ثانيةً بينيلوبي الحكيمة، وقالت: «أيها الغريب العزيز، لم يحدُث قَط أن رجلاً حازماً مثلك، من أولئك الغرباء القادمين من بلادٍ نائية، قد جاء إلى منزلي كضيفٍ مُرحَّب به أكثر من غيره، وكانت كلماتُه جميعها حكيمةً وحصيفة ككلماتك. عندي سيدةٌ عجوز ذات قلب مدرك في صدرها، قامت بتربية زوجي المسكين بكل محبة، وحملَته في ذراعَيها يوم ولَدتْه أمه. هذه ستغسل قدمَيك، رغم أن السن قد أضعفها. تعالي الآن، يا يوروكليا الحكيمة، انهضي واغسلي قدمَي رجل من نفس عمر سيدك. وللمصادفة، أقدامه تشبه أقدام أوديسيوس، وكذا يداه؛ إذ سرعان ما يشيخ الرجال من جرَّاء الحظ الشرِّير.» (19. 343 - 360)

وإذ بدأت المرأة العجوز في عملها لاحظت كَم التشابه

«إن غرباء كثيرين مثقَلين بالمحن قد جاءوا إلى هنا، ولكني أعلن أنني لم أرَ قَط رجلاً من قبلُ يشبه غيره مثلما تشبه أنت أوديسيوس، شكلاً وصوتاً، وأقداماً.»

تناولَت السيدة العجوز القِدْر اللامعة بالماء الذي ستغسل منه قدمَيه، فسَكبتْ كميةً وافرة من الماء البارد، وأضافت إليه ماءً دافئاً، ولكن أوديسيوس جلس بعيداً عن الموقد.

عندئذٍ اقتَربتْ منه وبدأت تغسل قدمَي سيدها، ولكنها في الحال عرفَت الجرح الذي من زمنٍ بعيد أصابه به خنزيرٌ بري بنابه الأبيض.

وقعت الساق في الطست، فرن الوعاء البرونزي، ومال على الأرض، وانسكب الماء فوق الأرض. وبعد ذلك شمل رُوحَها السرورُ والحزن

في لحظةٍ واحدة، واغرورقَت عيناها بالدموع وانحبس صوتها. ولكنها أمسكتْ ذَقن أوديسيوس، وقالت:

«حقّاً إنك أوديسيوس، أيها الطفل العزيز، ولم أعرفكَ، إلا بعد أن تحسَّستُ بدَن سيدي كله.» (19. 379 – 381، 386 – 389، 392 – 393، 470 – 475)

ولما أرادت إخبار بينيلوبي بعودته فإذا بأوديسيوس يمنعها جاذباً إياها من رقبتها، قائلاً:

«أماه، لماذا ترغبين في تحطيمي؟ لقد ربيتِني بنفسك على صدرك هذا، والآن بعد أن كابدتُ متاعبَ محزنة جمة. قد جئتُ في السنة العشرين إلى وطني. وطالما أنكِ قد عثَرتِ علي، ووضع إلهٌ هذا في قلبك، فسكاتٌ لئلا يعلم بذلك أي شخصٍ آخر في الساحات.» (19. 482 – 486)

وافقت على الحفاظ على سره بل وأقسمت على مساعدته بفصل الخدم المخلصين له عن المشكوك في ولاءاتهم. وأعادت ملأ الطست ومن ثم «غَسلتْه، ودهنَتْه جيداً بالزيت.» (19. 505)

لم تدهن المرأة المذكورة في مرقس قدمي يسوع وإنما سكبت قارورة من الطيب على رأسه في فعل فسره يسوع على أنه تكفين مبكر. وعلى هذا فقد فهمت المرأة شيئاً خفي على التلاميذ وهو كونه مزمعاً أن يموت. ويوروكليا كذلك رثت آلام سيدها. يؤكد مرقس على غلو فعل المرأة بجعلها تكسر القارورة لينسكب عنها الدُهن، فيما نجد أن يوروكليا في لهفتها قد أسقطت الطست النحاسي فانسكب عنه الماء ما إن تعرَّف على هوية أوديسيوس.

في كلا النصين تمسح امرأة رجلاً غريباً عنها بالدهن فيما يحل ضيفاً في منزل آخر مضيف. فيما تقارن الملحمة بين حسن ضيافة يوروكليا وعداء الخُطاب، يقارن إنجيل مرقس بين حسن ضيافة المرأة وبخل التلاميذ الذين عارضوا ذلك الكرم غير مسبوق النظير. في كلا الحدثين تدهن امرأة ملكاً بالدهن مباشرة قبل وصول الأحداث إلى ذروتها. لا يدهن يسوع نبياً كما كان يفترض وفقاً لروايات العهد القديم، بل امرأة كما هو الحال في ملحمة أوديسيوس.[1]

وهاك جدول المقارنة بين أوجه الشبه التي عرضنا إليها في هذا الفصل والفصل السابق:

الفصل التاسع عشر من الأوديسة	مر13: 1 - 4، 28 - 37، 14: 1 - 11
ذُهل تيليماخوس للنور الذي أشرق على حوائط منزله.	«وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنَ الْهَيْكَلِ، قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: «يَا مُعَلِّمُ، انْظُرْ! مَا هذِهِ الْحِجَارَةُ! وَهذِهِ الأَبْنِيَةُ!»» (1)
ذهب أوديسيوس إلى بينيلوبي وجلس.	«وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ-» (3)
استجوبت بينيلوبي زوجها المتنكر بمعزل من الناس.	«سَأَلَهُ بُطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا وَأَنْدَرَاوُسُ عَلَى انْفِرَادٍ: «قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا؟ وَمَا هِيَ الْعَلاَمَةُ عِنْدَمَا يَتِمُّ جَمِيعُ هذَا؟»» (3 - 4)
أجاب أوديسيوس بإعطائها علامات كأدلة على أنه رأى زوجها وعلى أنه سيرجع قريباً.	أجاب يسوع وأعطى تلاميذه علامات نهاية الزمان (5 - 29) ووعدهم أنه قريب: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَتِمَّ هذَا كُلُّهُ.» (30)

(1) لودن، أوديسة هوميروس، 269 - 270. يبدو أن تمييز يوروكليا لهوية أوديسيوس الحقيقية وإسكاته لها كان أنموذج مرقس لتصوير تمييز بطرس ليسوع كالمسيا المنتظر وإصرار يسوع على ألا يخبر أي من تلاميذه أحداً (انظر الأناجيل وهوميروس، 303 - 311، تعليقاً على أو19. 320 - 505).

استشار أوديسيوس شجرة البلوط المكرسة لزوس في دودونا.	أشار يسوع على التلاميذ باستشارة شجرة التين: «خُذُوا مِنْ شَجَرَةِ التِّينِ عِبرَةً-» (28)
«إنه قريب»	«فاعلَمُوا أنَّ الوَقتَ قَرِيبٌ عَلَى الأبوَابِ» (29)
«وسيحدث كل ما قلته»	«الحَقَّ أَقُولُ لَكُم لَنْ يَنقَضِيَ هَذَا الجِيلُ حَتَّى يَتِمَّ هَذَا كُلُّهُ» (30)
لم يعلم إنسان في إيثاكا إن كان أوديسيوس سيعود أو متى يحين موعد عودته	«وَذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ سَافَرَ وَتَرَكَ بَيتَهُ- فَاسهَرُوا، لأنَّكُم لا تَعرِفُونَ مَتَى يَجِيءُ رُبُّ البَيتِ، أفِي المَسَاءِ أم فِي مُنتَصَفِ اللَّيلِ أم عِندَ صِيَاحِ الدِّيكِ أم فِي الصَّباحِ.» (34 - 35)
رتب العُشّاق لمقتل تيليماخوس وأوديسيوس.	«وَكَانَ رُؤَسَاءُ الكَهَنَةِ وَالكَتَبَةِ يَطلُبُونَ كَيفَ يُمسِكُونَهُ بِمَكرٍ وَيَقتُلُونَهُ.» (14: 1)
ولكنهم خشوا من تدخل أهل إيثاكا.	«وَلَكِنَّهُمْ قَالوا: «لَيسَ فِي العِيدِ، لِئَلاَّ يَكونَ شَغَبٌ فِي الشَّعبِ».» (2)
بعدما تنبأ أوديسيوس بعودته لبينيلوبي متنكراً في هيئة المتسول جلس وحده.	بعدما تنبأ يسوع بعلامات نهاية الزمان ومجيئه الثاني اتكأ في بيت سمعان الأبرص (3).
جاءت يوروكليا بالماء وغسلت رجليه، ومن ثم «دهنته بالكثير من الدهن»	«جَاءَتِ امرَأةٌ مَعهَا قَارُورَةُ طِيبِ نَاردِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ. فَكَسَرَتِ القَارُورَةَ وَسَكَبَتهُ عَلَى رَأسِهِ.» (3)
ما إن عرفته حتى أسقطت قدمه فدفعت الطست وانسكب الماء.	كسرت المرأة القارورة فانسكب الطيب على رأس يسوع.
لم يتعرف أحد على الملك سواها.	لم يتعرف أحد على ما ينتظر يسوع من آلام سواها. «عَمِلَتْ مَا عِندَهَا. قَد سَبَقَتْ وَدَهَنَتْ بِالطِّيبِ جَسَدِي لِلتَّكفِينِ.» (8)

عارضت ميلانثو إبداء بينيلوبي كل ذاك الكرم لشحاذ متسول.	«وكان قوم مغتاظين في أنفسهم، فقالوا: «لِمَاذَا كَانَ تَلَفُ الطِّيبِ هَذَا؟ لأَنَّهُ كَانَ يُمكِنُ أَنْ يُبَاعَ بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثِمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعطَى لِلْفُقَرَاءِ».» (4)
ناقش أوديسيوس ويوروكليا عدم ولاء بعض العبيد.	«ثُمَّ إِنَّ يَهُوذَا الإِسخَرْيُوطِيَّ، وَاحِداً مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، مَضَى إِلَى رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ لِيُسَلِّمَهُ إِلَيهِمْ.» (10)

كنت قد أجّلت المقابلة الأكثر لفتاً للانتباه حتى الآن وهي كالتالي. امتدح يسوع المرأة قائلاً: «حَيثُمَا يُكرَزْ بِهَذَا الإِنجِيلِ فِي كُلِّ العَالَمِ، يُخبَرْ أَيضاً بِمَا فَعَلَتهُ هَذِهِ، تذكَاراً لَهَا» (مر14: 9). أي أن هذه المرأة ستصير ذائعة الصيت والشهرة، باليونانية ستصير يوروكليا. لم تغب أهمية الاسم عن القارئ القديم لنص الإنجيلي: «يوروكليا: ذائعة (يوري) الصيت والشهرة (كليوس).»[1]

إن في وعد المرأة بالشهرة الأبدية لإشارة واضحة ليوروكليا الشخصية الملحمية. كما في تكلم يسوع عن نفسه بصيغة الغائب ومسحه من قبل امرأة لإشارة واضحة على العلاقة المحاكية بين النصين وقد فطن القارئ البيزنطي لذلك. ولذا فقد استعار الشاعر البيزنطي نص الفصل التاسع عشر من الأوديسة إذ أراد إعادة رواية القصة الإنجيلية، مؤكداً على التلاعب بالألفاظ في اسم يوروكليا: حيث ما فعلته المرأة في إنجيل مرقس قد ضمن لها «شهرة واسعة».[2]

(1) شرح على أو1. 429.

(2) يحاكي سفر «عهد إبراهيم» تعرُّف يوروكليا على أوديسيوس في تصوير تعرُّف إبراهيم على رئيس الملائكة ميخائيل أثناء غسل رجليه بينما كان متنكراً في هيئة جندي شاب. انظر الأناجيل وهوميروس، 377 - 79.

القنطونات الهوميرية 1. 1321 - 1326

(≅أو19. 348) لن أمنعَ مثل هذه السيدة من أن تلمس قدَمي

(=أو19. 107) أيتها المرأة، ما من إنسان على وجه الأرض

(=أو19. 108) سيوبخك؛ إذ صيتك (كليوس) يتسع لأقاصي (يورين) السماء،

(=أو19. 109) كما لملك بار يتقي الله

(=أو19. 110) أن يحكم كثيرين من الشجعان

(=أو19. 111) مقيماً العدل فتجود الأرض السوداء بخيرها...

في الرواية المرقسية يتفوق يسوع بل والمرأة على السوابق الهوميرية. ففيما يتنبأ يسوع بعودته حياً بعد مماته، لا تتخطى نبوءة أوديسيوس الأمر الواقع بالفعل حيث أنه قد عاد إلى منزله وقريباً ما سينتقم من أعدائه. أما المرأة في الرواية المرقسية فقد فطنت بشكل ما إلى أن يسوع سيموت قريباً، بخلاف يوروكليا التي لم يتعدَ فعلها تمييز أوديسيوس من خلال التعرف على أثر جرح قديم برجله.

في الفصل القادم يفوق يسوع أوديسيوس مرة أخرى في حدة الإدراك والاستبصار وهي قدرة مفيدة لبطل خارق.

الفصل السادس عشر

اتباع حامل جرة الماء

كانت ليسوع خطة غير مألوفة لإيجاد محل لعشائه الأخير مع تلاميذه.

«وَفِي اليَوم الأَوَّلِ مِنَ الفَطِيرِ. حِينَ كَانوا يَذبَحُونَ الفِصحَ، قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «أينَ تُرِيدُ أنْ نَمضِي وَنُعِدَّ لِتَأكُلَ الفِصحَ؟» فَأرسَلَ اِثنَينِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمَا: «اذهَبَا إلَى المَدِينَةِ، فَيُلاَقِيكُمَا إنسَانٌ حَامِلٌ جَرَّةَ مَاءٍ. اِتبَعَاهُ. وَحَيثُمَا يَدخُلْ فَقُولاَ لِرَبِّ البَيتِ: إنَّ المُعَلِّمَ يَقُولُ: أينَ المَنزِلُ حَيثُ آكُلُ الفِصحَ مَعَ تَلاَمِيذِي؟ فَهُوَ يُرِيكُمَا عِلِّيَّةً كَبِيرَةً مَفرُوشَةً مُعَدَّةً. هُنَاكَ أعِدَّا لَنَا». فَخَرَجَ تِلمِيذَاهُ وَأتَيَا إلَى المَدِينَةِ، وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا. فَأعَدَّا الفِصحَ.» (مر14: 12 – 16)

وخلال تناول العشاء تحدث يسوع عن أكل تلاميذه لجسده بشكل رمزي.

«وَفِيمَا هُم يَأكُلونَ، أخَذَ يَسوعُ خُبزاً وَبَارَكَ وَكَسَّرَ، وَأعطَاهُمْ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا، هَذَا هُوَ جَسَدِي». ثُمَّ أخَذَ الكَأسَ وَشَكَرَ وَأعطَاهُمْ، فَشَرِبُوا مِنهَا كُلُّهُمْ. وَقَالَ لَهُم: «هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلعَهدِ الجَدِيدِ، الَّذِي يُسفَكُ مِنْ أجْلِ كَثِيرِينَ. الحَقَّ أقُولُ لَكُم: إنِّي لا أشرَبُ بَعدُ مِنْ نِتَاجِ الكَرمَةِ إلَى

ذَلِكَ اليَومِ حِينَمَا أشرَبُهُ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ اللهِ». (مر14: 22 - 25)

ووفقاً لما يرويه هوميروس فقد كانت لأوديسيوس خطة شديدة الشبه لاستكشاف جزر لم تطأها قدمه قبلاً.[1] وهاك روايته للملك ألكينوس:

عندئذٍ أرسلتُ بعض رفاقي، ليذهبوا ويستطلعوا من هم أولئك القوم الذين يَحيَون فوق تلك الأرض - منتخباً رجلَين، وأرسلتُ معهما ثالثاً كرسول - فلما انطلقوا في طريقهم بمحاذاة الساحل، ساروا في طريقٍ ممهَّدة، اعتادت العربات أن تسير فيها، حاملة الأخشاب من الجبال الشاهقة إلى المدينة. وقبل بلوغهم المدينة التَقوا بفتاةٍ تستقي الماء، هي ابنة أنتيفاتيس اللايستروجوني الطيبة. وكانت قد ذهبَت إلى نبع أرتاكيا الجميل التدفُّق، الذي اعتادت الفتيات أن يستقين منه الماء ويَحمِلْنه إلى المدينة، فلما التَقوا بها، تحدَّثوا إليها يسألونها عن ملك ذلك الشعب، ومن هم رعيَّته، فأشارت لهم في الحال إلى بيت أبيها المرتفع السقف، فلما دخلوا البيت المجيد، ألفَوا هناك زوجةً بدينة، كأنها قمة جبل، فبُهتوا لمرآها، فاستدعت من تَوِّها زوجها أنتيفاتيس المجيد، وكان بمكان الاجتماع، فدبَّر لهم هلاكاً فظيعاً فأسرع ممسكاً بأحد الرجال وأعدَّ منه طعامه، وعندئذٍ أطلق الرجلان الآخران العِنان لأقدامهما، وعادا هاربين إلى السفن. بعد ذلك أطلق الملك صيحةً مُدوِّية خلال المدينة، فلما سمعها اللايستروجونيون الأشدَّاء، جاءوا في جموعٍ غفيرة من كل حَدبٍ وصوب، وكانوا جمعاً لا عداد له، ليسوا أشبه بالرجال، بل بالعمالقة، فأخذوا يقذفوننا بقِطعٍ ضخمة من الصخور، من الجبال، بقَدْر ما يستطيع الإنسان أن يحمل، فارتفع في الحال،

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 208 - 12، تعليقاً على أو10. 76 - 136.

من السفن في كل مكان، طنينٌ مخيف، كأنه صادر من رجالٍ يموتون ومن سفن تتحطم. وأخذوا يطعنون الرجال بالرماح ويصيدونهم كما تُصاد الأسماك، وحملوهم إلى مدينتهم، طعاماً تعافه النفس. (أو10. 100 - 124)

وأوجه التشابه بين القصتين جديرة بالملاحظة، وإن كان مرقس قد بدّل نوع حامل جرة الماء ليظهر استبصار يسوع ببواطن الأمور؛ إذ كان حمل جرار الماء في العادة من عمل النساء.

أو10. 102 - 116	مر14: 12 - 17
وصل أوديسيوس إلى شاطئ مجهول.	وصل يسوع لأورشليم للمرة الأولى (مر11: 1)
أرسل أوديسيوس رجلين لاستكشاف الجزيرة وثالثاً ليعود له بالأخبار.	«فَأَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ-» (13)
«وقبل بلوغهم المدينة التقوا بفتاةٍ تستقي الماء.»	«فَيُلاَقِيكُمَا إِنسَانٌ حَامِلٌ جَرَّةَ مَاءٍ.» (13)
«فأشارت لهم في الحال إلى بيت أبيها المرتفع السقف.»	«فَهُوَ يُرِيكُمَا عِلِّيَّةً كَبِيرَةً.» (15) «فَيُرِيكُمَا فِي أَعلَى البَيْتِ غُرفَةً وَاسِعَةً» (الترجمة العربية المشتركة)
«فلما دخلوا البيت المجيد-»	«فَخَرَجَ تِلمِيذَاهُ وَأَتَيَا إِلَى المَدِينَةِ، وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا.» (16)
أعدّ الملك عشاءه من اللحم البشري، وأما أتباعه فإذ صرعوا أتباع أوديسيوس «حملوهم إلى مدينتهم، طعاماً تعافه النفس.»	فأعد التلميذان الفصح (16) حيث قال يسوع: «خُذُوا كُلُوا، هَذَا هُوَ جَسَدِي- هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلعَهدِ الجَدِيدِ، الَّذِي يُسفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ.» (مر14: 22 - 24)

حوَّل مرقس وليمة اللايسترونيين آكلي لحم البشر إلى العشاء السري، الوليمة الرمزية التي نأكل فيها جسد يسوع ونشرب دمه. وفيما كان أصدقاء أوديسيوس ضحايا فُقدت حياتهم عنوة، كان يسوع بطلاً جسوراً بذل حياته بإرادته عن كثيرين. وفيما أفلت أوديسيوس بحياته، ضحى يسوع بحياته أي جسده ودمه.

تدور أحداث المشهد التالي في بستان جثسيماني، وهي دليل آخر على محاكاة مرقس للفصل العاشر من الأوديسة.

الفصل السابع عشر

الاستعداد للموت فيما ينام الأصدقاء

وبعد العشاء مع الاثني عشر:

«وَجَاءوا إِلَى ضَيعَةٍ إِسمُهَا جَثسَيمَانِي، فَقَالَ تَلاَمِيذُهُ: «اِجلِسُوا هَهُنَا حَتَّى أُصَلِّيَ. ثُمَّ أَخَذَ مَعهُ بُطرُسَ وَيَعقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَابتَدَأَ يَدهَشُ وَيَكتَئِبُ. فَقَالَ لَهُم: «نَفسِي حَزِينَةٌ جِدّاً حَتَّى المَوتِ! امكُثوا هُنَا وَاسهَرُوا». ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى الأرضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعبُرَ عَنهُ السَّاعَةُ إنْ أمكَنَ. وَقَالَ: «يَا أَبَا الآبُ، كُلُّ شَيءٍ مُستَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هَذِهِ الكَأسَ. وَلكِنْ لِيَكُنْ لا مَا أُرِيدُ أَنَا، بَل مَا تُرِيدُ أنتَ».» (مر14: 32 - 36)

يصلي يسوع هذه الصلاة لثلاث مرات. وبالرغم من توصية التلاميذ بالسهر بل وبالرغم من رغبتهم في السهر إلا أنه يعود كل مرة فيجدهم نياماً.

ثم جاء ثالثة وقال لهم: «أَنِيَامٌ بَعدُ وَمُستَرِيحُونَ؟ يَكفِي! جَاءَتِ السَّاعَةُ. هَا هُوَ ابنُ الإنسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أيدِي الخَاطِئينَ. قوموا ننصرف! اِقتَرَبَ الَّذِي يُسَلِّمَنِي!» (مر14: 41 - 42 الترجمة العربية المشتركة)

في الفصل السابق رأينا كيف تحاكي قصة إرسال يسوع تلميذيه لإيجاد محل للعشاء الأخير قصة وردت في بداية الفصل العاشر من الأوديسة ألا وهي قصة إرسال أوديسيوس لفرقة لاستكشاف جزيرة مجهولة علهم يجدون فيها طعاماً. أما قصة آلام يسوع في جثسيماني فلعلها وردت في محاكاة لآلام أوديسيوس إذ علم بأن عليه أن يقصد أرض الموتى في نهاية الفصل العاشر من الأوديسة.(1) حكى البطل الهوميري الملك ألكينوس بما جرى منذ ترك جزيرة كيركي.

> وبقينا اليوم بطوله، حتى غروب الشمس، جالسين إلى موائدَ زاخرة باللحم الكثير والخمر اللذيذة، فلمّا اختفَت الشمس وراء الأفق، وجاءت الظلمة، رقَدوا في الساحات الظليلة لينعموا بالنوم، بينما صَعِدتُ أنا إلى فراش كيركي الوثير، وتوسَّلتُ إليها، جاثياً عند ركبتَيها.
>
> «هيا كيركي، حَقِّقي لي الوعد الذي قَطعتِه على نفسك، بأن تبعثي بي إلى الوطن.» (أو10. 476 – 481، 483 – 484)

وافقت كيركي على الوفاء بقسمها ولكنها أصرت على أنه ما من سبيل له للعودة لمنزله قبل الذهاب لبيت هاديس ليستشير تايريسياس الرائي الكفيف.

هكذا قالت الربة، فتداعت روحي داخل صدري، وشرعتُ أبكي وأنا أجلس فوق الفراش، ولم يعُد لقلبي أية رغبةٍ في الحياة ورؤية ضوء الشمس، وبعد أن بكيتُ ما شئتُ أن أبكي وأُولوِل، أجبتُ كيركي، متحدثاً إليها بقولي:

> «أي كيركي، مَن ذلك الذي سيقودنا في هذه الرحلة؟ فلم يسبق لبشرٍ أن ذهب قَط إلى هاديس في سفينةٍ سوداء.» (10. 496 – 502)

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 23-221، تعليقاً على أو10. 466 – 550.

أخبرته الساحرة عن الطريق الذي يتخذه وعن الكيفية التي بها يستحضر روح تايريسياس وغيره من الأموات. وهذا ما كان أول فجر اليوم التالي:

فسِرتُ عَبْر الساحات، وأيقظتُ رجالي برقيق الألفاظ، متجهاً نحو كل رجلٍ بدوره أقول لهم:

«لا تناموا بعد الآن، ولا تستغرقوا في الكرى اللذيذ، بل هلُموا بنا ننطلق؛ فلِلعجَب، أن كيركي الجليلة قد أفضَت إليّ بكل شيء!» (10. 546 - 549)

الحدث التالي مباشرة هو موت إلبينور الذي عرضناه في المقدمة حيث قارنا بينه وبين الشاب العاري الذي هرب عند القبض على يسوع ثم ظهر مكسواً بالملابس في قبره.

وأوجه المقابلة بين ليلة أوديسيوس الأخيرة في بيت كيركي وقصة مرقس عما جرى ببستان جثسيماني لا تخفى. في كلا القصتين بينما ينام أصدقاء البطل بعد وجبة دسمة يصلي هو طلباً للمعونة. وفي كلا القصتين يعلم البطل بحقيقة أنه ميت لا محالة ما يجعله ويا للعجب يائساً من الحياة وراغباً في الموت. ومن ثم يعود البطل لرفقائه ويوقظهم لخوض المغامرة التالية.

وإليك مقارنة مختصرة بين القصتين:

أو10. 476 - 549	مر14: 17 - 52
أولم أوديسيوس ورفاقه في بيت كيركي لمرة أخيرة قبل رحيله إلى هاديس.	أولم يسوع وتلاميذه الفصح عشاءً أخيراً قبل موته (مر14: 12 - 26).
نام الطاقم بعد تناول الطعام.	«ثُمَّ جَاءَ وَوَجَدَهُم نِيَاماً-» (37)
قضى أوديسيوس الليل برفقة كيركي راجياً إياها لترسله في طريقه.	«وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعبُرَ عَنهُ السَّاعَةُ إنْ أمكَنَ. وَقَالَ: «يَا أبَا الآبُ-»» (35 - 36)

علم أوديسيوس أن عليه الذهاب لهاديس فبكى ويئس من الحياة، ومع ذلك استسلم لمصيره.	«نَفسِي حَزِينَةٌ جِداً حَتَّى المَوتِ!» (34) «وَلكِن لِيَكُنْ لا مَا أُرِيدُ أنَا، بَل مَا تُرِيدُ أنتَ» (36)
عاد أوديسيوس لطاقمه وقال: «لا تناموا بعد الآن، ولا تستغرقوا في الكرى اللذيذ، بل هلُمّوا بنا ننطلق.»	«أَنِيَامٌ بَعدُ وَمُستَرِيحُونَ؟ يَكفِي! جَاءَتِ السَّاعَةُ- قوموا ننصرف!» (41)
سقط إلبينور ميتاً وذهبت روحه لهاديس.	«فَتَرَكَهُ الجَمِيعُ وهَرَبُوا. وَتَبِعَهُ شَابٌ لابِساً إزَاراً عَلَى عُريِهِ، فَأَمسَكَهُ الشُّبَّانُ، فَتَرَكَ الإزَارَ وهَرَبَ مِنهُمْ عُريَاناً» (50 - 52)
في الفصل الثاني عشر من الأوديسة يدفن أوديسيوس جثمان إلبينور عند الفجر.	«وَبَاكِراً جِداً إذ طَلَعَتِ الشَّمسُ- وَلَمَّا دَخَلنَ القَبرَ رَأَينَ شَابّاً جَالِساً عَنِ اليَمِينِ لابِساً حُلَّةً بَيضَاءَ- قَد قَامَ! لَيسَ هُوَ هَهُنَا.» (مر16: 1 - 6)

فيما احتاج أوديسيوس لكيركي لتخبره بما سيحدث، علم يسوع بموته من تلقاء نفسه. وفيما أبحر أوديسيوس لهاديس برفقة جمع من الأصدقاء، مضى يسوع لموته وحيداً. ولكن يجتمع البطلان في أن كليهما كان أشجع ممن حولهما من رجال.

في المشهد التالي من إنجيل مرقس نرى خيانة يهوذا والقبض على يسوع. وغالباً ما كان النموذج الذي اعتمده مرقس هنا هو عبد أوديسيوس الشرير الذي فضَّل أعداءه عليه.

الفصل الثامن عشر

في وسطنا خائن

نقرأ في البشارة بحسب مرقس: «ثُمَّ إنَّ يَهوذَا الإسخَريوطِيَّ، وَاحِداً مِنَ الاثنَيْ عَشَرَ، مَضَى إلَى رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ لِيُسَلِّمَهُ إلَيهِمْ. وَلَمَّا سَمِعُوا فَرِحُوا، وَوَعَدُوهُ أنْ يُعطُوهُ فِضَّةً. وَكَانَ يَطلُبُ كَيفَ يُسَلِّمُهُ فِي فُرصَةٍ مُوَافِقَةٍ» (مر14: 10 – 11). ويظهر الخائن مرة أخرى حيث يتنبأ يسوع بعقوبته: «إنَّ ابنَ الإنسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكتُوبٌ عَنهُ، وَلَكِنْ وَيلٌ لِذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابنُ الإنسَانِ. كَانَ خَيراً لِذَلِكَ الرَّجُلِ لَو لَمْ يُولَدْ!» (14: 21) ويفعل يهوذا فعلته في نهاية مشهد بستان جثسيماني: «وَلِلوَقتِ فِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ أقبَلَ يَهوذَا، وَاحِدٌ مِنَ الاثنَيْ عَشَرَ، وَمَعَهُ جَمعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِندِ رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ وَالكَتَبَةِ وَالشُّيوخِ. وَكَانَ مُسَلِّمُهُ قَد أعطَاهُم عَلاَمَةً قَائِلاً: «الَّذِي أُقَبِّلُهُ هُوَ هُوَ. أمسِكُوهُ، وَامضُوا بِهِ بِحِرصٍ». فَجَاءَ لِلوَقتِ وَتَقَدَّمَ إلَيهِ قَائِلاً: «يَا سَيِّدِي، يَا سَيِّدِي!» وَقَبَّلَهُ. فَألقَوْا أيدِيَهُمْ علَيهِ وَأمسَكوهُ. فَاستَلَّ وَاحِدٌ مِنَ الحَاضِرِينَ السَّيفَ، وَضَرَبَ عَبدَ رَئيسِ الكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذنَهُ.» (14: 43 – 47)

لم يُنعَت في العالم القديم بالإسخريوطي سوى اثنين: يهوذا موضوع الطرح ووالده سمعان (بحسب إنجيل يوحنا). ويبدو أن مرقس قد ركّب هذا اللقب من الكلمة اليونانية (ايس) التي تعني إلى أو لداخل، والكلمة الآرامية (خريئا) أي المدينة، فيعني اللقب بالكامل لداخل المدينة.[1] وفي إطار القصة المرقسية فاللقب إشارة للقارئ لأمر استثنائي يحدث داخل مدينة أورشليم.

يستحضر اللقب كذلك اسم الشخصية الهوميرية ميلانثيوس بن دوليوس (أسود ابن مُخادع)، عبد أوديسيوس الذي كان ليخونه لو علم بعودته لبيته.[2] تظهر هذه الشخصية للمرة الأولى إذ يكون ميلانثيوس بصدد العبور من الحقول الزراعية إلى المدينة (أو17. 182 - 213) .

كان أوديسيوس وراعي الخنازير الطيب يُسرِعان ليذهبا من الحقل إلى المدينة.

بعد أن مشى الاثنان بحذاء الطريق الوَعْر، اقتربا من المدينة.

فقابلهما هناك ميلانثوس بن دوليوس، بينما كان يسوق نعاجه، خير نعاجٍ كانت في سائر القطعان، ليُعِد منها المغازلون ولائمهم. (17. 182 - 183، 204 - 205، 212 - 214)

وبخ ميلانثيوس يومايوس على إحضار متسول «بائس قَذِر» لوليمة العُشّاق، وحذره من أنه لا ينتظره إلا العذاب على أيديهم لفعلته (17. 217 - 232). وبعدها ركل أوديسيوس وهدد بأن يبيعه كعبد لآخر «لأنال عنه ثروةً طائلة» (17. 250). ولكن كان لحسن حظ أوديسيوس أنه لم يتعرف عليه.

(1) للدليل الإتيمولوجي انظر الأناجيل وهوميروس، 11 - 12.

(2) انظر الأناجيل وهوميروس، 281 - 82، تعليقاً على أو17. 1 - 260.

ودخل [ميلانثيوس] من فوره وجلس وسط المغازلين في قبالة يوروماخوس؛ إذ كان يميل إليه أكثر من سائر الباقين. وإلى جواره وضَع أولئك الذين كانوا يخدمون قطعةً من اللحم، وأحضَرت ربة البيت الصارمة خبزاً وضعَتْه أمامه لكي يأكل.

فنهض عندئذٍ ميلانثيوس، راعي المعيز وسطهم، وقال: «استمعوا إليَّ، يا مغازلي الملكة المجيدة، فيما يختص بهذا الشحَّاذ؛ لأنني رأيتُه حقّاً من قبل. إن راعي الخنازير هو الذي قاده حقّاً إلى هنا، أما الرجل نفسه فلستُ أعلم على وجه التحقيق من أي مكانٍ يعلن مولده.»

(17. 256 – 258، 369 – 373)

ويظهر ميلانثيوس في ضوء سلبي كذلك في الفصلين العشرين والحادي والعشرين، مزوداً العُشَّاق باللحوم وساكباً الخمر على ولائمهم ومهيناً أوديسيوس المتسول كلما أتيحت له الفرصة. وهكذا تحول ميلانثيوس لعبد للخطاب، لا لسيد البيت الحقيقي.

يكشف أوديسيوس عن هويته الحقيقية في بداية الفصل الثاني والعشرين من الأوديسة، وهنا يسرع ميلانثوس ليجلب الأسلحة للخطاب.

ولكن تعالَ، دَعْني أُحضِر لك من حجرة الخزين أسلحةً ترتديها.

ما إن قال هذا، حتى صعد ميلانثيوس، راعي المعيز، درجات سُلَّم الساحة إلى مخازن أوديسيوس، فأخذ منها اثنَى عشر ترساً، وعدداً كبيراً من الرماح، وأكبر عددٍ ممكن من الخوذات البرونزية ذات الرياش السميكة من شَعر الخيول، وعاد في طريقه، وأسرع فأحضرها وأعطاها للمغازلين.

(22. 139، 142 – 146)

فلما عاد للمخازن حيث تدور المعركة تلقفه يومايوس وعبد مخلص آخر «وما كاد ميلانثيوس، راعي المعيز، يجتاز عتبة الباب، حاملاً في إحدى يدَيه خوذةً طيبة، وفي الأخرى ترساً عريضاً» (22. 182 – 184) حتى انقضّا عليه. وبعدما انتهي أوديسيوس من العُشّاق، انتقم من عبده الخائن شر نقمة.

بعد ذلك قادوا ميلانثيوس عَبْر الباب والفناء، وجدَعوا مِنخَرَيه وقطَعوا أُذنَيه بالبرونز العديم الرحمة، وأخرجوا أحشاءه للكلاب لكي تأكلها نيِّئة، ثم قطَعوا يدَيه ورجلَيه في غضبهم الثائر. (22. 474 – 477)

في العشاء الأخير تنبأ يسوع بأن يهوذا سيعاني. لم يرد ذكر أية عقوبة وُقِّعت عليه في إنجيل مرقس - ما اعتبره كتاب الأناجيل الأخرى ثغرة رُتِّقت بثلاث قصص متضاربة عن نهايته المشؤومة.[1] ولكننا نرى أنه نال عقابه بالفعل في مشهد القبض على يسوع، حيث يرد آخر ذكر له. كما كان الحال مع ميلانثيوس، يواجه يهوذا يسوع «وَمَعهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ» ويعطي إشارة عن مكانته لديه بتقبيله. «فَاستَلَّ وَاحِدٌ مِنَ الحَاضِرينَ السَّيفَ، وَضَرَبَ عَبدَ رَئِيسِ الكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذنَهُ» وهي العقوبة التي تلقاها ميلانثيوس.[2] وإن كان مرقس لا يعينّ بالاسم «عبد رئيس الكهنة» المعني، ولكن الإشارة له بالتعريف تنبئ بأنه قد ذُكر قبلاً. فبخيانة يسوع لرؤساء الكهنة يكون يهوذا قد صار عبداً لهم. إذن فقد كان يهوذا هو الشخص الذي فقد أذنه بحد السيف.

بإمكاننا الآن أن نرى إلى أي حد تتبع مرقس النموذج الهوميري في تصويره لشخصية الخائن.

(1) انظر مت27: 3 – 10، «حطام إنجيلين» 2: 1 (ماكدونالد)، أع1: 16 – 25.

(2) انظر الأناجيل وهوميروس، 315 – 18، تعليقاً على أو22. 135 – 477.

الأوديسة 17 - 22	مرقس 3 - 14
يظهر ميلانثيوس بن دوليوس (أسود ابن مخادع) للمرة الأولى كراع يقود الماشية لداخل المدينة ليولم بها العُشّاق.	تخلى يهوذا الإسخريوطي (داخل المدينة) عن ولائه ليسوع.
كافأ العُشّاق ميلانثيوس بإعطائه مكاناً على موائدهم.	كافأ رؤساء الكهنة يهوذا مادياً (14: 11).
كاد ميلانثيوس أن يكشف هوية أوديسيوس للخطاب، ولاحقاً زودهم بالأسلحة.	كشف يهوذا يسوع لرجال رؤساء الكهنة بقبلة (14: 44 - 45) حيث أتوا مزودين بالأسلحة (14: 43).
عاقب أوديسيوس عبده ببتر أعضائه فقطع أذنيه.	قطع أحد الحاضرين أذن «عبد رئيس الكهنة» أي الخائن: يهوذا.

«كما ظهر ميلانثيوس جالباً الدروع، ظهر يهوذا على رأس جمع كثير ليقبض على المسيح. وتدور معركة فعلية بالسيوف عقب خيانة يهوذا... يقطع على إثرها أحد التلاميذ أذن عبد رئيس الكهنة.»[1]

بالرغم من قصر الدور الممنوح له في الرواية الإنجيلية إلا أن شهرة يهوذا طغت بطول التاريخ المسيحي - بل وحتى بداية القرن الحادي والعشرين بفضل اكتشاف ونشر إنجيل يهوذا. لا يرد ليهوذا الاسخريوطي أي ذكر في كتابات بولس ولا في الإنجيل المفقود، بالرغم من أن إعادة تكويني له تتضمن الإتيان على ذكر يهوذا بن يعقوب كأحد الاثني عشر.[2] وعلى ما يبدو فقد حوّل مرقس بروايته

(1) لودن، أوديسة هوميروس، 278.

(2) انظر «حطام إنجيلين»، 140 - 42، 203.

هذا التلميذ إلى الخائن الذي سلم يسوع وأضاف لاسمه لقب «داخل المدينة» متأثراً بالظهور الأول لميلانثيوس الهوميري.

أما عن النموذج المرقسي لإنكار بطرس ليسوع فيأتي من حلقة أخرى أوردها هوميروس لوصف أحد رفقاء أوديسيوس الذين أبحروا معه من طروادة.

الفصل التاسع عشر

الحانث بالعهد الجبان

بعد أحداث العشاء الأخير في الإنجيل بحسب مرقس أنبأ يسوع بهجر التلاميذ له «وقَال لهُم يَسوعُ: «إنَّ كُلَّكُم تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هَذِهِ اللَيلَةِ، لأَنَّهُ مَكتُوبٌ: أنّي أَضرِبُ الرَاعِي فَتتبدَّدُ الخِرَافُ.»» (مر14: 27). أما هم فأصروا على أن ذلك لا يمكن أن يصدر عنهم:

«فقَال لَهُ بُطرُسُ: «وإنْ شَكَّ الجَميعُ فَأنَا لا أشُكُّ!» فقَال لَهُ يَسوعُ: «الحَقَّ أقولُ لَكَ: إنَّكَ اليَومَ في هَذهِ اللَيلَةِ، قَبلَ أنْ يَصيحَ الدِّيكُ مَرَّتَين، تُنكِرُني ثَلاثَ مَرَّاتٍ.» فقَال بِأكثرِ تَشدِيدٍ: «ولَوِ اضطُرِرتُ أنْ أمُوتَ مَعكَ لا أُنكِرُكَ!» وهَكذا قَال الجَميعُ أيضاً.» (مر14: 29 – 31)

ولاحقاً في نفس الإصحاح نرى المقابلة ما بين شجاعة يسوع وجُبن بطرس. وهكذا يرسم مرقس المشهد: «فمَضَوْا بيَسوعَ إلى رَئيسِ الكهنةِ، فاجتَمَعَ معهُ جميعُ رؤَساءِ الكهنةِ والشُّيوخُ والكتبةُ. وكانَ بُطرُسُ قد تبِعَهُ مِنْ بَعيدٍ إلى داخِلِ دارِ رَئيسِ الكهنةِ، وكانَ جالِساً بَينَ الخُدّامِ يَستَدفِئُ عِندَ النّار» (مر14: 53 – 54).

وفي الداخل سأل رئيس الكهنة يسوع «أَأَنتَ المَسيحُ ابنُ المُبارَكِ؟» فقالَ يَسوعُ: «أنا هو. وسوفَ تُبصِرونَ ابنَ الإنسانِ جالِساً عن يَمينِ القُوةِ، وآتياً في سحابِ السَّماءِ»... فالجميعُ حَكَموا علَيهِ أنَّهُ مُستَوجِبُ الموتِ» (مر14: 61 - 64). وهنا يكشف يسوع عن هويته لأعدائه للمرة الأولى، وهم بدورهم لا يوفرون جهداً في محاولة القضاء عليه.

وبالخارج كانت تجرى محاكمة أخرى، كان بطرس فيها هو المتهم وكانت إحدى الخادمات هي المستجوِب الرئيسي وكان قاضي الجلسة هو الديك. كما يخبرنا مرقس: «وبَينَما كانَ بُطرُسُ في الدَّارِ أسفَلَ جاءتْ إحدَى جَواري رَئيسِ الكهنَةِ. فلَمَّا رأتْ بُطرُسَ يَستَدفئُ، نَظَرَتْ إليهِ وقالَتْ: «وأنتَ كُنتَ مع يَسوعَ النَّاصِريِّ!»» (مر14: 66 - 67) فأنكر. فأكدت المرأة للمحيطين بها ثانيةً أنها رأته في زمرة المحيطين بيسوع، فأنكر ثانية. فجابهه آخر من الحاضرين بأنه كان من المحيطين بيسوع إذ تكشف لكنته الجليلية عن موطنه، وثالثةً: «ابتَدأ يَلعَنُ ويَحلِفُ: «إنِّي لا أعرِفُ هَذا الرَّجُلَ الَّذي تقولونَ عنهُ!» وصَاحَ الدِّيكُ ثانيةً، فتَذكَّرَ بُطرُسُ القَولَ الَّذي قالهُ لهُ يَسوعُ: «إنَّكَ قَبلَ أنْ يَصيحَ الدِّيكُ مَرَّتَينِ، تُنكِرُني ثلاثَ مَرَّاتٍ». فلَمَّا تفكَّرَ بهِ بَكَى» (مر14: 71 - 72).

ولربما استوحى مرقس أنموذجاً لقصة إنكار بطرس الفصل الأخير من رواية أوديسيوس الطويلة لألكينوس الملك عما جرى معه.[1] فكان أنه في طريقه من طروادة أراد أن يتجنب الرسو في جزيرة ثريناكيا موطن أبقار إله الشمس هيليوس ماشيته العظيمة؛ إذ حذره تايريسياس وكيركي كلاهما من كارثة تحيق به إن ذبح رجاله أي من الماشية المقدسة للإله. ولكن يورولوخوس طلب إليه أن يحطُّوا

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 251 - 54، تعليقاً على أو12. 16 - 305.

طلباً للراحة «هكذا قال يوررولوخوس، وأيّده بقية الرفاق؛ عندئذٍ أيقنتُ أن أحد الآلهة لا بُد يحيك ضدنا شرّاً» (أو12. 294 - 295). وهكذا وافق أوديسيوس على مضض ولكن بعد أن أوصاهم أن يرضخوا للتحذير الذي تلقوه.

«هلُموا الآن جميعاً، وأقسِموا لي قسماً لا حِنث فيه، أنه إذا تصادف ووجدنا قطيعاً من الأبقار أو قطيعاً كبيراً من الأغنام، ألا يَذبحَ أحدٌ بقرةً أو خروفاً في حماقة عقله الأعمى، بل يكتفي بتناول الطعام الذي أعطتنا إياه كيركي الخالدة.»

ما إن قلتُ هذا، حتى أقسموا بأنهم لن يمَسُّوا شيئاً تماماً كما أمرتُهم. وبعد أن أقسموا، وانتهَوا من اليمين، أرسَينا سفينتنا المتينة البناء في الميناء الفسيح. (12. 298 - 305)

وأبقى الرفاق على وعدهم لأيام ألّب خلالها زوس البحر والرياح فمنع رحيلهم. ويحكي أوديسيوس للفياكيين ما حدث بعد ذلك:

عندئذٍ سِرتُ وحدي خلال الجزيرة كي أتوسَّل إلى الآلهة عسى أن يُرشِدني أحدُهم إلى سبيلٍ أسلُكه. وبينما أنا سائر خلال الجزيرة، مبتعداً عن رفاقي غسلتُ يدي في مكانٍ بمأوى من الرياح، وشَرعتُ أُصلي إلى جميع الآلهة الذين يحتلُّون أوليمبوس، بيد أنهم سكَبوا النوم اللذيذ على جَفْني. (12. 333 - 338)

وبينما غفل أوديسيوس نائماً أقنع يوررولوخوس بقية الرفاق بذبح بعض الماشية للأكل.

فانطلقتُ في طريقي إلى السفينة السريعة وإلى شاطئ البحر. غير أنني ما إن اقتربتُ وأنا ذاهب، من السفينة المقبية، حتى كانت رائحة الدهن الساخن تحوم حولي.

وعندما نزلتُ إلى السفينة وإلى البحر، أنحيتُ على رجالي بالتوبيخ، متجهاً إلى كل رجل بدوره، بيد أننا لم نستطع أن نجد لذلك الأمر علاجاً - فإن الأبقار كانت قد ذُبحَت. وفي الحال أظهَرَت الآلهة علامات النحس لرجالي؛ فقد زحفَت الجلود، وأما اللحم، المشوي منه والنيئ، فطَفِق يئنُّ فوق السفافيد، وصار هناك خُوارٌ أشبه بخوار الأبقار. (12. 367 - 369، 391 - 396)

ولأنهم حنثوا بالقَسم فقد أغرقهم زوس جميعهم في طريق عودتهم لجزيرة إيثاكا.

يؤكد هوميروس ومرقس باستمرار على فضائل بطليهما بإظهار القصور في أقرب رفقائهما. في كلا الحالتين هنا انفصل البطل عن رجاله - أوديسيوس ليذهب للصلاة ويسوع لإجراءات المحاكمة - وإذ غاب حنث أقرب أصدقائه إليه بعهدٍ قطعه له. في كلا المشهدين نجد ناراً أُشعِلت بالخارج، في الملحمة للشواء وفي الإنجيل للتدفئة. ولكن أغرب مقابلة نجدها بين المشهدين تختص بالماشية؛ ففي الملحمة عاد اللحم الميت جزئياً للحياة وسُمِع منه صوت الخوار، وفي الإنجيل سُمِع صوت صياح الديك. وتماماً كما أُجبِر أوديسيوس على مواصلة الطريق وحده منذ هذه النقطة فصاعداً، سيتحتم على يسوع مواصلة طريقه للصليب والموت وحده.

وإليك مقارنة تفصيلية بين القصتين:

أو12	مر14
أوديسيوس: «عندئذٍ أيقنتُ أن أحد الآلهة لا بُد يَحِيك ضدنا شرًا» (295).	يسوع: «إِنَّ كُلَّكُم تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هَذِهِ اللَّيلَةِ، لأَنَّهُ مَكتُوبٌ: أَنِّي أَضرِبُ الرَّاعِي فَتَتبدَّدُ الخِرَافُ» (27).
استحلف أوديسيوس رفاقه على ألا يهلكوا أي من الماشية، فأقسموا (30)	«ولَوِ اضطُرِرتُ أَنْ أَمُوتَ مَعكَ لا أُنكِرُكَ!» وهَكذا قَالَ الجَمِيعُ أَيضاً» (31).
بعد قضاء أيام جوعى أقنع يورولوخوس البقية بأن يحنثوا بالقسم ويستحلوا الماشية.	تحت وطأة الخوف من التعرض للعقوبة مع يسوع أنكر بطرس أنه يعرفه لمرتين، وثالث مرة حلف أنه لا يعرفه.
خار اللحم المشوي في السفافيد (395 - 396).	صاح الديك فيما كان الحاضرون يستدفئون في الخارج (72 راجع 55، 67).
غرق كل رجال أوديسيوس للشر الذي فعلوه، وصار حتماً عليه أن يكمل طريقه وحيداً.	لا يجري ذكر التلاميذ بعد هذه النقطة ويصير على يسوع الموت وحيداً.

يشيع في الأدب القديم كما في الحياة العملية أن يحنث الناس بوعودهم، ولكن المحاكاة تتجلى لنا هنا من خلال مظهرين: أولهما هو النذير السماعي المتعلق بصوت حيوان، وثانيهما هو فقدان البطل الصحبة.

يقارن هذا الفصل وسابقَيه تلاميذ يسوع بشخصيات خذلت البطل الملحمي. فكما رأينا فقد نام التلاميذ بينما تألم يسوع في بستان جشيماني، تماماً كما نام رفاق أوديسيوس بينما علم من كيركي أنه سيكون عليه الذهاب إلى هاديس (الفصل السابع عشر). وانضم يهوذا لأعداء يسوع تماماً كما خان ميلانثيوس أوديسيوس

(الفصل الثامن عشر). ولعلك تذكر تعرضنا في المقدمة للشاب العاري الذي ظهر في قبر يسوع الفارغ والذي يذكّرنا برفيق أوديسيوس الأصغر سناً إلبينور. ويقترح هذا الفصل وجود مقابلة أدبية ما بين إنكار بطرس وحنث يورولوخوس بقسمه لأوديسيوس. في كل مثال من الأمثلة السابقة يلمّع هوميروس ومرقس بطله من خلال إظهار الضعف والسوء فيمن حوله.

في الفصل القادم سنعرض كيف يؤكد الكاتب الإنجيلي على شر أعداء بطله من خلال تشبيههم بمغازلي بينيلوبي الذين فضّلوا متطفل غريب على سيد البيت.

الفصل العشرون

تفضيل وغد على البطل

يخبرنا مرقس أنه بعد إنكار بطرس ليسوع سلمه رؤساء اليهود إلى بيلاطس البنطي، الحاكم الروماني، ليُجري محاكمة أخرى رفض فيها يسوع الدفاع عن نفسه. ويذكر أنه لاسترضاء اليهود «كانَ يُطلِقُ لَهُم في كُلِّ عيدٍ أسيراً واحِداً، مَنْ طَلَبوهُ. وكانَ المُسَمَّى باراباسَ موثَقاً مع رُفقائِهِ في الفِتنَةِ، الَّذينَ في الفِتنَةِ فعَلوا قَتلاً» (مر15: 6 – 7). فعرض عليهم أن يُطلِق يسوع «فهَيَّجَ رؤَساءُ الكهنَةِ الجَمعَ لكَي يُطلِقَ لهُم بالحَريِّ باراباس» (مر15: 11).

«فبيلاطُسُ إذ كانَ يُريدُ أنْ يَعمَلَ للجَمعِ ما يُرضيهِم، أطلَقَ لهُم باراباسَ، وأسلَمَ يَسوعَ، بَعدَما جَلَدَهُ، ليُصلَبَ. فمَضَى بهِ العَسكَرُ إلى داخِلِ الدّارِ، الَّتي هي دارُ الوِلايَةِ، وجَمَعوا كُلَّ الكَتيبةِ. وألبَسوهُ أُرجواناً، وضَفَروا إكليلاً مِنْ شَوكٍ ووَضَعوهُ علَيه، وابتَدأوا يُسلِّمونَ علَيهِ قائلينَ: «السَّلامُ يا مَلِكَ اليَهودِ!» وكانوا يَضربونَهُ على رأسِهِ بقَصَبةٍ، ويَبصِقونَ علَيهِ، ثُمَّ يَسجُدونَ لهُ جاثينَ على رُكَبِهِم» (مر15: 15 – 19).

وباراباس ليس اسم علم، بل لقب بالعبرية (بار آبا) أي ابن الآب. أي أن مرقس يقدم لنا مأزق السلطات اليهودية إذ هم بصدد الاختيار بين ابنين لله، يسوع و مجرم إرهابي.

تطرقنا في الفصل العاشر لشحاذ متسول يدعى إيروس ورأينا كيف يستخدمه لوقا كأنموذج لشخص مصاب بالوذمة يشفيه يسوع بلمسة أمام أعدائه. وهنا نعرض للشخصية ذاتها كأنموذج احتذاه مرقس ليقدم شخصية المنافِس ليسوع أمام أعدائه أي باراباس.[1]

> والآن جاء شحَّاذ معروف اعتاد الاستجداء في نواحي مدينة إيثاكا، وكان مشهوراً بالبطن الجشِع، يلتهم الطعام والشراب بغير حد. ولم يكن على شيءٍ من القوة أو العافية، أما في ضخامة الجسم فكان طريراً للناظرين. ذلك هو أرنايوس، فهذا هو الاسم الذي منحته إياه أمه المبجلة عند مولده؛ بيد أن جميع الشبان كانوا يُطلِقون عليه اسم إيروس، إذ كان من عادته أن يقوم ببعض المهام، التي يُكلِّفه بها غيره. (18. 1 - 7)

وإيروس لقب كذلك، يشتق عن إيريس رسولة الآلهة.

أمر إيروس أوديسيوس بالرحيل عن المنزل فوراً. «قطَّب أوديسيوس الكثيرُ الحيل ما بين حاجبَيه غضباً، وقال له: «أيها الرفيق الطيب، إنني لم أتعرَّض لك بالأذى» (أو18. 14 - 15). كان هنالك من الطعام ما يكفيهما معاً، ولكن المغازلين أصروا على أن يقوم بينهما شجار يشجعا فيه إيروس. فما كان من أوديسيوس المغوار إلا أن شل حركته بضربة واحدة أثارت إعجاب السادة

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 293 - 98، تعليقاً على أو18. 1 - 123.

المغازلين حتى احتفوا به.

«نتمنى، أيها الغريب، أن يمنحك زوس، وكذا سائر الآلهة الخالدة ما تصبو إليه وتُفضِّله على كل شيء، وأغلى أمنيةٍ يتطلع إليها قلبك؛ حيث إنكَ كفيتَ البلاد استجداءَ ذلك الرجل الذي لا يشبع.»

هكذا كانوا يقولون، وسُر أوديسيوس العظيم من ذلك الفأل ووضع أنتينوس أمامه الكَرش الضخم، مملوءاً بالدهن والدم، وتناول أمفينوموس رغيفيَن من السفط ووضعَهما أمامه، ووعدَه بكأسٍ من الذهب، وقال:

«مرحباً، يا سيدي الغريب، أتمنى أن يكون الحظ السعيد حليفَكَ في الأيام المقبلة، رغم أنك الآن نهبٌ لأحزانٍ عديدة.» (18. 112 - 114، 121 - 123)

وما كان أوديسيوس يتمناه بالطبع هو هلاك أولئك الرجال أنفسهم. وكما كان من هوميروس فكذلك مرقس استخدم وغداً ليظهر مدى حُمق مقاومي يسوع. فبدلاً من أن لابن الله الحقيقي ناصروا متمرداً لُقب بابن الآب. ومن المفارقات أن مغازلي بينيلوبي شربوا نخب أوديسيوس متمنين له الحظ السعيد غير عالمين أنه قريباً ما سيتحسن حظه وسيدفعون حياتهم ثمناً لذلك. كذلك الجنود حيوا يسوع بالتحية العسكرية ساجدين له ومخاطبين إياه بملك اليهود غير عالمين أنه ملك قريباً ما سيأتي ملكه وسيعود ليعاقب أولئك الذين تسببوا في موته.

يوضح الجدول التالي المقابلات بين إيروس وباراباس:

أو18. 1 - 123	مر15: 7 - 19
«والآن جاء شحّاذ معروف اعتاد الاستجداء في نواحي مدينة إيثاكا، وكان مشهوراً بالبطن الجشع، يلتهم الطعام والشراب بغير حد- بيد أن جميع الشبان كانوا يُطلِقون عليه اسم إيروس» (1 - 3، 6)	«وكانَ المُسَمَّى باراباسَ موثَقاً مع رُفقَائِهِ في الفِتنَةِ، الَّذينَ في الفِتنَةِ فعَلوا قَتلاً» (7)
اللقب إيروس مذكر إيريس رسولة الآلهة.	اللقب باراباس أي بار آبا ابن الآب؛ فيما عرف يسوع نفسه بابن الآب.
فضّل المغازلون إيروس على أوديسيوس.	فضَّل جمع اليهود باراباس على يسوع.
«تتمنى، أيها الغريب، أن يمنحك زوس، وكذا سائر الآلهة الخالدة ما تصبو إليه- أتمنى أن يكون الحظ السعيد حليفَكَ في الأيام المقبلة، رغم أنك الآن نهبٌ لأحزانٍ عديدة» (112 - 123)	«وابتَدأوا يُسلِّمونَ علَيهِ قائلينَ: «السَّلامُ يا مَلكَ اليَهودِ!» وكانوا يَضرِبونَهُ على رأسِهِ بقَصَبةٍ، ويَبصِقونَ علَيهِ، ثُمَّ يَسجُدونَ لهُ جاثينَ على رُكَبِهِم» (18 - 19)

حتى هذه النقطة في القَص رأينا أن الأنموذج الأدبي الرئيسي لعمل مرقس كان الأوديسة حيث لعب يسوع أدوار تيليماخوس ونسطور وأيولوس وبصفة خاصة أوديسيوس. لم يقتبس عن الإلياذة فيما ناقشنا سوى ما يتعلق بشفاء المرأة نازفة الدم والمشي على الماء (في الفصلين السادس والسابع). وكما سنرى عما قريب فقد نقل مرقس انتباهه بالكامل إلى الإلياذة لاستلهام مشاهد موت يسوع. وهو ما يشابه ما نراه في إنيادة فرجيل المسماة أحياناً بأوديسة وإلياذة الرومان.

الفصل الواحد والعشرون

الموت البطولي ورثاء النساء

«ثُمَّ خَرجوا بهِ ليَصلِبوهُ... وجَاءوا بهِ إلى مَوضِعِ «جُلجُثَةَ» الَّذي تفسيرُهُ مَوضِعُ «جُمجُمَةٍ». وأعطُوهُ خمراً مَمزوجَةً بمُرٍّ ليَشرَبَ، فَلم يَقبَل» (مر15: 20 – 23). والنموذج الأدبي الذي استوحاه مرقس هنا كان بلا شك موت هيكتور في الإلياذة. في الفصل السادس يرجع البطل لداخل أسوار المدينة للمرة الأخيرة فيودع زوجته وابنهما قبل العودة لأرض المعركة، فتعرض عليه أمه بعض الخمر ليزيل آلامه.

«انتظر فسأحضر لك نبيذاً معسولاً،

إذ يستعيد للرجل قواه إذا ما أنهكه التعب.

فأنت مرهق، إذ تخوض غمار الحرب دفاعاً عن ذويك.»

فرد عليها هيكتور البطل العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً:

«لا، لا تحضري النبيذ يا أمي المبجلة، فقد

تجعليني أقعد، فأتقاعد وأنسى قوتي وبأسي.» (إل6. 258، 260 – 265)

ويسوع المرقسي كذلك أبدى استعداده لمواجهة الموت في كامل وعيه (مر15: 23).

كانت المواجهة الحربية بين بطلين تتضمن كنوع من الاستعراض تقاذف الكلمات. فيبدأ النزال بالاعتراف بقوة الخصم ومن ثم يشرعان في تبادل السباب والإهانات والتحدي لخوض النزال حتى النهاية حيث يتنبأ كل من البطلين بفوزه وسحق الخصم. تظهر هذه العناصر جلية في المعركة الكلامية بين هيكتور وأخيل السابقة لخوض النزال في الفصل الثاني والعشرين.

«لقد أخطأتَ الهدف، يا شبيه الآلهة، أخيل!

فاعلم أنني لن أفر من أمامك كي تغرس في ظهري حربتك،

بل سأتلقاها في صدري، بينما أندفع في مواجهتك؛

هذا إذا أذِن لك إله ما بذلك. أما الآن بدورك فلتدرأ عن نفسك

حربتي البرونزية، لعلها تخترق بأكملها لحمك!» (22. 279، 283 - 286)

وكذلك الحال في إنجيل مرقس وبنفس الروح الهوميرية يعيِّر من حضروا الصلب يسوع البطل، ساخرين من أصله النبيل ومصدرين أوامر ما كان له في حالته تلك أن ينفذها:

«وكانَ المُجتازُونَ يُجدِّفون علَيهِ، وهُم يَهُزُّونَ رؤوسهُم قائلينَ: «آه! يا ناقِضَ الهَيكَلِ وبانيَهُ في ثلاثَةِ أيّامٍ! خَلِّصْ نَفسَكَ وانزِل عن الصَّليبِ!» وكذلكَ رؤَساءُ الكَهنَةِ وهُم مُستَهزِئونَ فيما بَينَهُم مع الكَتَبَةِ، قالوا: «خَلَّصَ آخَرينَ وأمَّا نَفسُهُ فما يَقدِرُ أنْ يُخَلِّصَها! لِيَنزِلِ الآنَ المَسيحُ مَلِكُ إسرائيلَ عن الصَّليبِ، لنَرَى ونؤمِنَ!» واللذانِ صُلِبا مَعهُ كانَا يُعيِّرانِهِ.»
(مر15: 29 - 32)

من ثم يرد النص الأشهر الراوي لموت يسوع:

ولَمَّا كانَتِ السَّاعَةُ السَّادسَةُ، كانَتْ ظُلمَةٌ على الأرضِ كُلِّها إلى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وفي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسوعُ بصوتٍ عظيمٍ قائلاً: «إلوي، إلوي، لَما شَبَقتَني؟» الَّذي تَفسيرُهُ: إلَهي، إلَهي، لِماذا تَرَكتَني؟ فقالَ قَومٌ مِنَ الحاضِرينَ لَمَّا سَمِعوا: «هوذا يُنادي إيليَّا». فرَكَضَ واحِدٌ ومَلأَ إسفِنجَةً خَلاً وجَعَلَها على قَصَبَةٍ وسَقاهُ قائلاً: «اترُكوا. لنَرَ هَل يأتي إيليَّا ليُنزِلهُ!» فصَرَخَ يَسوعُ بصَوتٍ عَظيمٍ وأسلَمَ الرُّوحَ.» (مر15: 33 - 37)

اتخذ يسوع من حلول الظلام في الظهر علامة على ترك الله له فعبَّر عن يأسه بالآرامية مقتبساً الشطر الأول من المزمور الثاني والعشرين. وللمفارقة أن فهم الحاضرين هذا الاقتباس كنداء استغاثة لإيليا الذي وبطبيعة الحال لم يظهر.

حذف كاتبَي لوقا ويوحنا تلك الجملة التي تُظهر الهَجر الإلهي ليسوع في إنجيليهما ومن حينها لا زال قراء النص في حيرة من أمرهم لورود الاقتباس في المقام الأول، وإن كان بعضهم قد نجح بالفعل في الربط بينه وبين هجر أبولو لهيكتور.[1] في مطلع الفصل الثاني والعشرين من الإلياذة نرى أن أخيل استطاع منفرداً بث الرعب في قلوب الطرواديين حتى فروا جميعهم من أمامه للتحصن بأسوار المدينة، باستثناء هيكتور الذي قرر أن ينازله في قتال منفرد. ولكن قبلها كان زوس قد قرر أن يهجره فكان.

رفع أبو الآلهة [زوس] شديد البأس ميزانه الذهبي إلى أعلى،

ووضع فوقه اثنين من مصائر الموت المفجع، الأولى لأخيل،

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 89 - 90، تعليقاً على إل22. 90 - 288.

والأخرى لهيكتور، مروض الخيول. أمسك الميزان من الوسط
ورفعه، فهبط مصير هيكتور إلى أسفل، ورحل إلى هاديس؛
عندئذٍ تخلى عنه الإله أبولو فويبوس (الوضاء). (22. 209 - 213)

وبدون مساعدة أبولو كان قد حُتِّم على هيكتور الموت ولكنه لم يعلم بذلك بعد.

ومن ثم ظهرت له أثينا متنكرة في هيئة أخيه ديفوبوس الذي عرض عليه منافسة أخيل في نزال فردي على أن يرافقه، فلما وافق وحاد سهمه الأول عن هدفه والتفت لأخيه ليطلب آخر:

فلم يجده إلى جواره؛
وعندئذ فطن هيكتور للأمر، وصاح قائلاً:
«ويحي، لقد دعتني الآلهة ها هنا لموتي حقاً،
وكنت أعتقد أن البطل ديفوبوس يقف إلى جواري،
بينما هو قابع داخل الأسوار. لقد خدعتني أثينا،
وأصبح الموت البغيض قريباً مني الآن، وليس ببعيد؛
لا مفر منه إذن، وهو الأمر الذي كان يحظى منذ وقت طويل
بقبول زوس، وكذا ابن زوس [أبولو]، رامي السهام من بعيد، اللذان كانا يحمياني من قبل برغبة صادقة. أما الآن فقد أدركني قدري.» (22. 295 - 303)

***

وقاتَل هيكتور ببسالة ولكنه سقط ميتاً بحربة أخيل «طواه الموت/ وأفلتت روحه من أعضاء جسده هابطة إلى هاديس/ باكية مصيرها» (22. 361 - 363). وكما أدرك هيكتور باختفاء ديفوبوس أن الإله قد هجره كذا فعل يسوع بحلول الظلام في غير موعده.

نقرأ بعد موت يسوع «وانشَقَّ حِجَابُ الهَيكَلِ إلى اثنَينِ، من فَوقُ إلى أسفَلُ»(مر15: 38). والتفسير الأرجح لذلك هو أن الله قد شقّ بنفسه الحجاب من فوق كعلامة على هجره المعبد. وهكذا يصير من قبيل المفارقة أن أولئك الذين اتهموا يسوع بأنه أراد هدم هيكل سليمان كانوا هم من هدموه فعلاً بصلبهم يسوع. وفي الإلياذة بكى برياموس ومعه كل طروادة إذ شاهدوا مقتل هيكتور فبدا لهم «كما لو كانت النيران قد شبت في كل أرجاء/ مدينة إليوس، من أعلى التل إلى أسفله» (24. 410 - 411)، وحيثما ظهر هذا التعبير «من أعلى إلى أسفل» خلال الملحمة كان إشارة لخراب طروادة. فعلى سبيل المثال تتنبأ أندروماخي أنه بموت زوجها

ولعل جملة قائد المئة تعليقاً على موت يسوع واحدة من أهم العبارات التي أُسيء ترجمتها في العهد الجديد. في الغالب ما ترد الترجمة على ذلك الوجه: «ولَمّا رَأى قَائِدُ المِئَةِ الوَاقِفُ مُقَابِلهُ أَنَّهُ صَرَخَ هَكذا وأسلَمَ الرُّوحَ، قَالَ: «حَقّاً كانَ هَذا الإنسَانُ ابنَ اللهِ!»» (مر15: 39). أما عن غرض الجملة الحقيقي فقد كان على الأرجح الشماتة لا التعظيم؛ فلم يرَ الرجل معجزة تشهد ببنوة يسوع لإله، ولم يظهر إيليا النبي وإنما مات يسوع صارخاً متأوهاً في الظلام. عُرف العديد من أبطال العالم القديم أبناء الآلهة بالخلود، أما يسوع فلم يكن خالداً. فالفعل الماضي في عبارة قائد المئة يشير لحياة يسوع وأعاجيبها، لا لموته البشري. كما أن مرقس في

إشارته ليسوع بابن الله في اليونانية كان دوماً ما يعّرف الاسمين، ما لم يفعله قائد المئة. فتكون الجملة معبرة عن ترجمة أصدق إذا كتبت: «وكأن هذا البشري كان ابن إله!»

وعلى عكس قائد المئة فإن قارئ الإنجيل يعلم يقيناً أن يسوع هو بالفعل ابن الله، ما ستثبته عن قريب قيامته من بين الأموات في اليوم الثالث كما تنبأ. وهكذا تصبح جملة قائد المئة المهينة مثاراً لسخرية لا يدركها هو نفسه.

وما يثبت لنا صحة هذه القراءة هو مقابلة تلك الجملة بما صدر عن أخيل ورجاله لدى مقتل هيكتور:

ولم يقترب منه أحد إلا وطعنه بحربته.

وقد يتحدث أحدهم لجاره، بينما ينظر للجثمان، قائلاً:

«يا إلهي، حقاً لقد أصبح ملمس هيكتور الآن أكثر ليناً

عما كان عليه عندما أحرق لنا سفننا بالنيران المتوهجة.»

هكذا يقول قائل، ثم يقترب منه ويطعنه أيضاً بحربته. (22. 371 - 375)

وأخيل نفسه يشمت بمقتل عدوه قائلاً: ««فقد أحرزنا/ مجداً عظيماً، وقتلنا هيكتور الإلهي، الذي كان الطرواديون/ يتضرعون إليه في كل أنحاء المدينة كما لو كان إلهاً»» (22. 393 - 394).

من ثم تنتقل الرواية المرقسية للبقية الباقية من أتباع يسوع: «وكَانَت أيضاً نِسَاءٌ يَنظُرنَ مِن بَعِيدٍ، بَينَهُنَّ مَريَمُ المَجدَلِيَّةُ، ومَريَمُ أُمُّ يَعقوبَ الصَّغيرِ ويوسي، وسَالومَةُ، اللوَاتي أيَضاً تبِعنَهُ وخَدَمنَهُ حينَ كانَ في الجَليلِ. وأُخَرُ كَثيرَاتٌ اللواتي صَعِدنَ مَعَهُ إلى أورُشَليمَ» (15: 40 - 41). وتظهر مريم المجدلية ثانية بعد الدفن

«وكَانَت مَريَمُ المَجدَليَّةُ ومَريَمُ أُمُّ يوسي تنظُرَانِ أينَ وُضِعَ. وبَعدَما مَضَى السَّبتُ، اشتَرَتْ مَريَمُ المَجدَليَّةُ ومَريَمُ أُمُّ يَعقوبَ وسَالومَةُ، حَنوطاً ليأتينَ ويَدهَنَّهُ» (15: 47 – 16:1).

وعلى مدى رواية إنجيل مرقس بأكمله نرى أهل يسوع وأصدقاءه يخذلونه في حين تخلص له شخصيات ثانوية عادة ما تحمل أسماء الأهل والأصدقاء أو إشارات تنبئ عنهم. فمثلاً لم يكن سمعان بطرس هو مَن حمل صليب يسوع عنه كما وعد أن يفعل (14: 31) بل سمعان القيرواني (15: 21)، ولا كان مَن صُلبا عن يمينه وعن يساره يعقوب ويوحنا كما وعدا (10: 37 – 39) بل لصان غير مسميين، ولا كان كذلك أبوه يوسف الناصري هو من دفنه بل يوسف الرامي. وتنطبق الثيمة عينها على النسوة المحيطات بيسوع. فكنا لنتوقع أن نرى مريم الناصرية أم يسوع هي مَن تطيّب جسده للدفن، ولكن على النقيض نرى امرأتين تدعيان مريم وسالومة تلعبان ذلك الدور.

وفقاً لمرقس 6: 3 فقد كان يسوع ابناً لامرأة تدعى مريم وأخاً ليعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان. وليس من قبيل المصادفة أن تحضر الصلب امرأة تدعى مريم لها ابنان يطابق اسماهما اسمي أخوي يسوع: يعقوب الصغير ويوسي. وتظهر هذه المرأة مجدداً كمريم أم يوسي، ومريم أم يعقوب (15: 47، 16: 1). ويؤكد مرقس بفصلها بعد جمعها على أن مريم أم يسوع لم تكن هي مَن اعتنت به، بل امرأة أخرى تدعى مريم لها ابنان يحملان اسمي ابني مريم أم يسوع.

والمرة الوحيدة التي تظهر فيها أم يسوع كشخصية في الرواية المرقسية تظهر طالبةً لتأخذه للبيت إذ تظنه مختلاً يحتاج للرعاية. فما إن يعلم يسوع بقدومها حتى يعلن: ««مَنْ أُمِّي وإخوَتي؟» ثُمَّ نَظَرَ حَولَهُ إلى الجَالِسينَ وقَالَ: «ها أُمِّي وإخوَتي،

لأنَّ مَنْ يَصنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ هو أخي وأُختي وأُمّي» (3: 21، 33 - 35). وكذا فلا تظهر أم يسوع عند قبره في الرواية المرقسية، بل امرأتين أخريين تدعيان مريم.

أما النموذج الملحمي المستوحى لتصوير المشهد التالي للموت فغالباً ما يعود لمن بكين هيكتور من نساء: أمه هيكابي وزوجته أندروماخي وزوجة أخيه هيلينا. في الفصل الثاني والعشرين من الإلياذة يشاهد الطرواديون مقتل هيكتور من خلف أسوار مدينتهم.

وعندئذ أخذت أمه

تمزّقُ شعرها، وألقت بالوشاح المزركش بعيداً،

وأطلقت صرخة عويل مدوية عندما رأت ابنها.

أما هيكابي، فقد قادت وسط الطرواديات عويلاً عنيفاً قائلة:

«ولدي، أنا البائسة، كيف أعيش مع كل تلك المعاناة،

وقد فارقت الحياة؟ يا من كنت فخراً لي في كل المدينة،

صباح مساء، وملاذاً آمناً لكل الطرواديين والطرواديات

في المدينة، أولئك الذين كانوا يبجلونك كإله» (22. 405 - 407، 430 - 435)

أما زوجته أندروماخي فقد كانت في بيتها تغزل غير عالمة بما جرى...

والآن فقط تنامى إلى أسماعها نحيب وصراخ قادم من البرج،

فارتعدت أوصالها، وسقط من يدها مكوك النسيج على الأرض،

ثم اندفعت مسرعة كالمجنونة خارج مسكنها،

يكاد قلبها يقفز من مكانه؛ وقد تبعتها وصيفاتها.

وعندما وصلت إلى البرج، حيث يتجمع الرجال، وقفت،

ثم أخذت تنظر من فوق الأسوار بنظرة فاحصة، فلمحته

مسحوباً أمام أسوار المدينة، تجره بلا رحمة الخيول المسرعة

صوب سفن الآخيين المجوفة، فغشي عينيها ليل حالك السواد،

وتراجعت للخلف قليلاً، ثم خارت قواها تماماً. (22. 447 - 448، 460 - 467)

وهكذا ففي الإلياذة تبكي هيكتور ثلاث نساء: هيكابي وأندروماخي وهيلينا.[1]

كما رأينا قبلاً أهمية الدلالة الملحمية للأسماء والألقاب لدى مرقس، فنعرض الآن للمجدلية. يشتق هذا اللقب من كلمة (مجدل) العبرية بمعنى بُرج، التي تشتق عنها الآرامية قرية المجدل أي قرية البرج وهي قرية لا تزال أطلال الأثر المعماري القديم واضحة فيها للعيان حتى يومنا. ويرتبط اسم أندروماخي بالبرج إذ كانت قد شاهدت التمثيل بجثمان زوجها من أعلى برج طروادة.

---

(1) نعرض لجدلية مفادها أن كشف هيكابي عن ثدييها توسلاً لولدها لكي ما يحارب أخيل من وراء أسوار المدينة قد يكون هو ما ألهم لوقا ليكتب عن خطاب يسوع «لبنات أورشليم» (لو23: 2 - 32) في الأناجيل وهوميروس، 83 - 87، تعليقاً على إل22. 79 - 89.

يوضح الجدول التالي أوجه الشبه بين مقتل بطل هوميروس وبطل مرقس:

إل22	مر15
تملص هيكتور، المفضل لدى أبولو، من الموت طويلاً.	تملص يسوع، ابن الله، من الموت طويلاً. (3: 6، 11: 18، 12: 12، 14: 1 - 2، 64، 15: 10)
فر رجال هيكتور لداخل أسوار المدينة وتركوه ليواجه مصيره المحتوم.	فر تلاميذ يسوع وتركوه ليواجه مصيره المحتوم. (14: 50)
أمر زوس: ليمت هيكتور.	أمر بيلاطس: ليمت يسوع. (15: 15)
رفض هيكتور أن يشرب الخمر الممزوج ليخفف عنه الألم.	رفض يسوع أن يشرب الخمر الممزوج ليخفف عنه الألم. (15: 23)
تبادل أخيل وهيكتور التعيير.	عيّر الكثيرون يسوع. (14: 65، 15: 18 - 20، 26 - 32)
طلب هيكتور من ديفوبوس المساعدة ولكنه اختفى.	ظن الحضور أن يسوع يطلب من إيليا المساعدة ولكنه لم يظهر. (15: 35)
عندها علم هيكتور أنه سيموت إذ هجرته الآلهة.	علم يسوع أنه سيموت وتأوه إذ هجره الله. (15: 34)
ذهبت روح هيكتور لهاديس بصرخة عظيمة.	أطلق يسوع صرخة عظيمة وأسلم الروح. (15: 37)
رثاه الطرواديون كما لو كانت مدينتهم قد دُمرِّت من أعلاها لأسفلها.	عند موت يسوع انشق حجاب الهيكل من أعلى إلى أسفل. (15: 38)
تفاخر أخيل بأنه قتل الرجل الذي اعتبره الطرواديون إلهاً.	تفاخر قائد المئة بأنه قتل الرجل الذي ادعى أنه ابن إله. (15: 39)
بكت هيكتور الطرواديات اللواتي شاهدن موته من أعلى البرج وبالأخص ثلاث نساء رثينه.	بكت يسوع ثلاث نساء شاهدن موته من بعيد، وعلى الأرجح رثينه. (15: 40)

وقد لاحظ أوجه التشابه تلك دون شك الشعراء البيزنطيين. فاستعاروا على سبيل المثال كلمات هيكتور (وتيليماخوس) إذ يتنبأ يسوع بموته:

القنطونات الهوميرية 1. 1449 - 1451

(= إل22. 300) «وأصبح الموت البغيض قريباً مني الآن، وليس ببعيد؛

(= إل22. 301) لا مفر منه إذن، وهو الأمر الذي كان يحظى منذ وقت طويل

(= أو3. 209) بقبول أبي وقبولي، وعلى ذلك ينبغي لي أن أحتمل مهما كانت الظروف.»

لا يسجل مرقس رثاء النساء لا عند الصليب ولا القبر، ولكن الشعراء يعوضون عن ذلك باستعارة كلمات هيكابي وأندروماخي:

القنطونات الهوميرية 1. 2068 - 2071، 2075 - 2079

(≅ إل24. 742، أندروماخي:) «يا صغيري/عزيزي، ولم يبقَ لي سوى الآلام المبرحة،

(= إل24. 743) لأنك لم تمد لي يديك وأنت ممدد فوق النعش،

(= إل24. 744) كما لم تقل لي أية كلمة حكيمة، أمعن التفكير فيها

(= إل24. 745) ليل نهار، وأنا أذرف الدمع عليك.

(= إل22. 482) أما الآن فسوف تذهب وحدك إلى مقر هاديس في أعماق

(= إل22. 483) الأرض، وسوف تتركني هنا في حزن مميت.»

(= إل24. 776) قالت ذلك وهي تبكي، بينما كانت جموع الناس بلا عدد تتأوه.

(≅ إل24. 707) فلم يبقَ رجل واحد أو امرأة داخل

(= إل24. 708) المدينة؛ فقد غشيهم حزن لا يحتمل.

كذلك كان حال كاتب «آلام وقيامة يسوع» البيزنطي الذي أعاد رواية موت يسوع في محاكاة صريحة للفصل الثاني والعشرين من الإلياذة، لا سيما فيما يتعلق برثاء أندروماخي وهيكابي.[1]

ومحاكاة مرقس لموت هيكتور أشبه بصنيع فرجيل إذ يروي مقتل عدو آينياس اللدود تورنوس (إن12: 725 - 952).[2] وهنا أيضاً نرى المصارعة الكلامية وطلب العون الإلهي وإدراك البطل لهجر حلفائه الخارقين في ميدان القتال. وعلى هذا فالفارق الأكبر بين المحاكاتين يجد أصله في كون البطل هو مَن يصرع المرثي له في الإنيادة، أما في رواية مرقس فالبطل هو الضحية.

---

(1) للترجمة الإنجليزية الكاملة لهذه النصوص الرائعة انظر الأناجيل وهوميروس، 123 - 30، «الملحق الثاني: موت ودفن يسوع والمحاكاة البيزنطية للإلياذة.»

(2) انظر لوقا وفرجيل، 193 - 96. انظر الأناجيل وهوميروس، 334 - 36، للاطلاع على محاكيات يهودية ومسيحية أخرى لموت هيكتور.

الفصل الثاني والعشرون

إنقاذ الجثمان

«ولَمّا كَانَ المَساءُ، إذ كَانَ الاستِعدادُ، أيْ مَا قَبلَ السَّبتِ، جَاءَ يوسُفُ الَّذي مِنَ الرَّامَةِ، مُشيرٌ شَريفٌ، وكَانَ هو أيضاً مُنتَظِراً ملكوتَ اللهِ، فتَجاسَرَ ودَخَلَ إلى بيلاطُسَ وطَلَبَ جَسَدَ يَسوعَ» (مر15: 42 – 43). يصف لنا مرقس يوسف الرامي كنبيل يملك من الثروة ما يمكّنه من استحواذ قبر كهفي منحوت داخل الصخر.

وهنا يستخدم مرقس مرة أخرى دلالة الأسماء في شكل ساخر. فكما أنه سمعان القيرواني لا سمعان بطرس هو من حمل صليب يسوع، وكما أن مَن بكته كانت امرأتين غريبتين لا أمه، فهنا أيضاً مَن يطلب جسده للتطييب والدفن أحد رؤساء الكهنة وعضو السنهدريم الذي أصدر القرار بقتل يسوع.

ويبدو أن أول ورود لكلمة (أريميثيا المعربة الرامة) في اليونانية كان على يد مرقس. وتبدو للأذن اليونانية مكونة من جزئين: لفظة (أري) الاستهلالية بمعنى الأفضل الأمثل، مضافة إليها كلمة (ماثي) أي تعليم أو تلمذة ومنها استخدام مرقس المتكرر لكلمة (ماثيتيس) أي تلميذ. فتعني (أريميثيا) إجمالاً التلمذة المُثلى وهو تعبير يصف دور يوسف الرامي بحق.

من ثم يضيف مرقس: «فتَعَجَّب بيلاطُسُ أنَّهُ ماتَ كذا سَريعاً. فدَعا قَائدُ المِئَةِ وسَألهُ: «هَل لَهُ زَمَانٌ قد مَاتَ؟» ولمّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ المِئَةِ، وَهَبَ الجَسَدَ ليوسُفَ» (15: 44 – 45). ووفقاً للرواية مرقس فقد بدأ الصلب في الساعة التاسعة صباحاً، وسرعان ما أظلمت الدنيا منذ الظهيرة وحتى الثالثة عصراً عندما أسلم يسوع الروح. وست ساعات لهي زمن قصير جداً للموت صلباً، ولعل هذا هو سبب غياب الإشارة للوقت في إنجيلي متى ولوقا اللاحقين. وتماشياً مع ما سبق ذكره من مقابلات بين موت يسوع وموت هيكتور، فإن موت يسوع ودفن جسده بسرعة قبل حلول الليل حمى الجثمان من أن تمسه الكلاب والجوارح، وهو المصير الذي كان ينتظر أجساد المصلوبين في العادة. في الإلياذة تظهر أفروديتي مبعدة الكلاب عن جثمان هيكتور فيما يؤكد هيرميس لأبيه «لم تلتهمه الكلاب ولا الطيور الجارحة بعد، أيها الشيخ المسن» (23. 184 – 191، 24. 411 – 414).

«ولمّا عَرَفَ [بيلاطس] مِنْ قَائِدِ المِئَةِ، وَهَبَ الجَسَدَ ليوسُفَ. فاشتَرَى كِتَّاناً، فأنزَلَهُ وكَفَّنَهُ بالكَتَّانِ، ووضَعَهُ في قَبرٍ كَانَ مَنوتاً في صَخرَةٍ، ودَحرَجَ حَجَراً على بَابِ القَبْرِ. وكَانَتْ مَريَمُ المَجدَليَّةُ ومَريَمُ أُمُّ يوسي تنظُرَانِ أينَ وُضِعَ. وبَعدَما مَضَى السَّبتُ، اشتَرَتْ مَريَمُ المَجدَليَّةُ ومَريَمُ أُمُّ يَعقوبَ وسَالومَةُ، حَنوطاً ليأتينَ ويَدهَنَّهُ» (15: 45 – 47، 16: 1)

ما من شك بأن القالب الأدبي الذي استخدمه مرقس هنا مستعار بالكامل من استعادة برياموس لجثمان ابنه في الفصل الأخير من الإلياذة.[1] بعدما قتل أخيل البطل الطروادي هيكتور احتفظ بجثته بل وربطها في عربته التي تجرها الخيول مُثلة. حمت الآلهة الجثمان من التحلل والتشويه بل وأرسلوا اثنين منهم عوناً

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 104 – 130، تعليقاً على إل24. 443 – 801.

لبرياموس: إيريس لتخبره بأن يجمع فدية ضخمة يغري بها أخيل، وهيرميس ليصحبه إلى داخل مخيم الأعداء. أخبرته الإلهة بأن يصطحب رجلاً واحداً لقيادة العربة المحملة بالهدايا وأن زوس كفيل بحمايتهما. ولمحبته العظيمة لابنه وافق الملك المسن على هذه المهمة الخطيرة ولو مات في سبيل محاولة استعادة جثمان ابنه.

ظهر لهما هيرميس متنكراً في هيئة جندي من جنود العدو إذ كانا بصدد قطع السهل، وقادهما بسلاسة إلى المخيم. في الفصل السابع عرضنا لهذه الحادثة لماماً إذ لاحظنا كيف استعمل مرقس مشي هيرميس على الماء كنموذج لنفس المعجزة التي أتى بها يسوع في مر6: 45 – 51. «ثم احتضن [برياموس] ركبتيه الاثنتين، ثم قَبَّل تلك اليدين/ المرعبتين قاتلة الرجال، التي أودت بحياة العديد من أبنائه» (24. 478 – 479) وطلب استعادة جثمان ابنه. «وأجهشَ بالبكاء وهو ينحني على قدمي أخيل» (24. 510).

نهض [أخيل] في التو من مقعده ورفع الشيخ المسن من يده.

فقد أشفق على شيبة رأسه وعلى لحيته البيضاء،

ثم خاطبه بكلمات مجنحة، قائلاً:

«آه، أيها التعس، لقد كابدتَ الكثير من الآلام!

كيف تحملتَ الحضور إلى سفن الآخيين بمفردك؟

فلتتحمل إذن، ولا تثقل قلبك بأحزان لا نهاية لها.

فلن تجني شيئاً من حزنك الشديد على ولدك،

ولن تعيده مرة أخرى إلى الحياة.

وأنا نفسي

أنوي أن أعتق هيكتور؛ إذ وصلني رسول من زوس،

أمي نفسها، التي أنجبتني، ابنة شيخ البحر المسن.

لقد تعرفتُ عليك، أي بريامو س، ولم يغب عن ذهني

أن أحد الآلهة قد أتى بك إلى سفن الآخيين السريعة،

فلم يستطع بشري من قبل أن يصل إلى حشد جيشنا، حتى وإن

كان أكثر شباباً وقوة منك. ولم يكن ليفلت من الحراس،

وما كان له أن يسحب بسهولة مزلاج بوابتنا.»

وبعدما انتهت الإماء من غسله ودهنه بالزيت،

غطين جسده كاملاً بالعباءة الجميلة وبالثوب،

ورفعه أخيل نفسه، ووضعه فوق النعش الخشبي. (24. 515 – 519، 549 – 551، 560 – 567، 587 – 589)

وأوجه الشبه بين إنقاذ برياموس ويوسف لجثماني هيكتور ويسوع كثيفة ومتسلسلة وقطعاً مميزة.

إل24	مر15: 42 - 16: 1
ذهب ملك طروادة برياموس المعروف بتقواه وشجاعته متجاسراً ليلاً ليطلب من أخيل جثمان ابنه.	ذهب يوسف الذي من الرامة المسمى تيمناً بأبي يسوع «مُشيرٌ شَرِيفٌ، وكَانَ هو أيضاً مُنتَظِراً مَلكوتَ اللهِ» متجاسراً (43) ليلاً (42) ليطلب من بيلاطس جثمان يسوع.
تعجب أخيل من جرأة بريـاموس.	تعجب بيلاطس من موت يسوع في زمن قصير.
حمت الآلهة جثمان هيكتور من التقيح والتشوه.	حمى موت يسوع السريع جثمان يسوع من التقيح والتشوه.
وافق أخيل على طلب بريـاموس.	وافق بيلاطس على طلب يوسف.
دهنت الإماء الجسد وكفنّ الجثة للدفن، ووضعه أخيل بنفسه على النعش.	كفّن يوسف الجسد للدفن ووضعه في قبر، وبعد ثلاث أيام حضرت النساء لتدهنّه.
غطى الطرواديون قبر هيكتور بأحجار ضخمة .	«دَحرَج [يوسف] حَجَراً على بَابِ القَبْرِ» (46).

في تصويره لدور يوسف الرامي يوسِّع كاتب «آلام وقيامة يسوع» من القصة الإنجيلية في محاكاته الخاصة للفصل الرابع والعشرين من الإلياذة.[1] إليك هاته المقتطفات:

بلا بلا بلا

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 123 - 30، «الملحق الثاني: موت ودفن يسوع والمحاكاة البيزنطية للإلياذة.»

وفيها بقيت جثة هيكتور حبيسة قبرها نعلم أن جثمان يسوع لن يبقى في القبر سوى لثلاث أيام. وفيها تنتهي الملحمة بمأساة مقتل هيكتور ينتهي الإنجيل ببشرى قيامة يسوع السارة. وفي إنجيل يظهر يسوع بعد قيامته لتلاميذه لأكثر من مرة وهو ما سنراه في الفصل القادم.

الفصل الثالث والعشرون

الميت الحي

وفقاً لخاتمة إنجيل لوقا فهناك تلميذان كانا في طريقهما إلى بلدة تدعى عمواس لم يتعرفا على حبيب لهما، على الأقل في البداية.

وفيمَا هُمَا يَتكلَّمَانِ ويَتحَاوَرانِ، اقتَرَبَ إليهِما يَسوعُ نَفسُهُ وكَانَ يَمشي مَعهُما. ولكنْ أُمسِكَتْ أعيُنُهمَا عن مَعرِفتِهِ. فقَالَ لهُمَا: «مَا هَذا الكَلامُ الَّذي تَتطَارَحانِ بِهِ وأنتُمَا مَاشيَان عابِسَينِ؟» فأجَابَ أحَدهُمَا، الَّذي اسمُهُ كِليوبَاسُ وقَالَ لَهُ: «هَل أنتَ مُتَغرِّبٌ وَحدَكَ في أورُشَليمَ ولَمْ تَعلَمِ الأُمورَ الَّتي حَدَثَتْ فيها في هَذِهِ الأيَّامِ؟» فقَالَ لهُمَا: «ومَا هي؟» فقالا: «المُختَصَّةُ بيَسوعَ النَّاصِري، الَّذي كَانَ إنسَاناً نَبيّاً مُقتَدِراً في الفِعلِ والقَولِ أمَامَ اللهِ وجَميعِ الشَّعبِ. كيفَ أسلَمَهُ رؤَساءُ الكَهنَةِ وحُكَّامُنَا لقَضاءِ المَوتِ وصَلَبوهُ...

ثُمَّ اقترَبوا إلى القَريَةِ الَّتي كَنَا مُنطَلِقَينِ إليها، وهو تظاهَرَ كَأنَّهُ مُنطَلِقٌ إلى مَكانٍ أبعَدَ. فألزَماهُ قائلَينِ: «امكُثْ معنا، لأنَّهُ نَحوُ المَساءِ وقد مالَ

النَّهارُ». فدَخَلَ ليَمكُثَ معهُما. فلَمَّا اتَّكأ معهُما، أخَذَ خُبزاً وبارَكَ وكَسَرَ وناوَلهُما، فانفَتَحَتْ أعيُنُهُما وعَرَفاهُ وثُمَّ اختَفَى عنهُما، فقَالَ بَعضُهُما لبَعضٍ: «ألَمْ يَكُنْ قَلبُنا مُلتَهِباً فينا إذ كَانَ يُكَلِّمُنا في الطَّريقِ ويوضِحُ لنا الكُتُبَ؟» (لو24: 15 - 32)

وقد استعار لوقا الخطوط العريضة لهذه القصة الشهيرة من الأوديسة.[1] بعدما قتل مغازلي بينيلوبي وأعلن لها عن هويته الحقيقية ذهب بطل هوميروس إلى مزرعة لايرتيس «البعيدة عن المدينة» بعدما أوصى تيليماخوس أن يذهب لبيت العجوز ويعد لهم طعاماً.

«أما أنا فسأختبرُ أبي، وأرى ما إذا كان سيتبيَّنني ويعرفني بالنظر، أم أنه لن يستطيع التعرُّف عليَّ؛ لأنني قد رحلت منذ مدةٍ طويلة جداً.»

إنما وجد أباه بمفرده في حقل الكرم البديع التنسيق.

فلما أبصره أوديسيوس العظيم الكثير التحمل، منهكاً بالشيخوخة ومثقلاً بالحزن العميق في قلبه، وقف صامتاً تحت شجرة كُمَّثرى عالية، وأخذ يذرف العبرات. (أو24. 216 - 218، 226، 232 - 234)

أوشك البطل على التصريح لأبيه بعودته مباشرة ولكنه منع نفسه أخيراً وباشَر بالاختبار الذي أعده له، فقال:

«أيها العجوز، إنك أنت نفسَك لا تتمتع بالعناية الحسنة، ولكنك تحمل الشيخوخة المؤلمة، ومهما كان مظهرك قذراً وثيابك غير مرتبة، وترتدي

(1) انظر الأناجيل وهوميروس، 318 - 26، تعليقاً على أو24. 205 - 411.

ملابسَ حقيرة، فحقاً إن ذلك ليس مرده إلى أي كسلٍ من جانبك لأن سيدك لا يهتم بك.

في خدمة من أنت، ومزرعة كرم مَن هذه التي تقوم برعايتها؟» (24. 244، 249 - 250، 257)

وبالمثل في لوقا فإن يسوع لا يكشف عن لنفسه لتلميذيه الذين «أُمسِكَتْ أعيُنُهمَا عن مَعرِفَتِهِ» (24: 16). قارن هذه المقولة بقول أوديسيوس الذي أراد أن يعرف «ما إذا كان سيتبيَّنني ويعرفني بالنظر [حرفياً: بعينيه]/ أم أنه لن يستطيع التعرُّف عليَّ؛ لأنني قد رحلت منذ مدةٍ طويلة جداً» (24. 217 - 218). اعرب أوديسيوس عن أمله في أن يكون قد وصل لأرض إيثاكا لينزل ضيفاً لدى صديق قديم. «عندئذٍ أجابه أبوه، وهو يبكي، فقال: «أيها الغريب، حقاً إنك قد جئتَ إلى البلد، الذي تقصده، لكنه الآن في حوزة أناسٍ لا هَمَّ لهم إلا ملذَّاتهم وطَيشهم.»» (24. 280 - 282). بينما نقرأ في لوقا: «فأجَابَ أحَدهُمَا، الَّذي اسمُهُ كِليوبَاسُ وقَالَ لَهُ: «هَل أنتَ مُتَغَرِّبٌ وَحدَكَ في أورُشَليمَ ولَم تَعلَمِ الأُمورَ الَّتي حَدَثَتْ فيها في هَذِهِ الأيَّام؟... كيفَ أسلَمَهُ رؤَسَاءُ الكَهنَةِ وحُكَّامُنَا لقَضاءِ المَوتِ وصَلَبوهُ» (24: 18 - 19).

تلى أوديسيوس على أبية كذبة أخبره بمقتضاها أنه رأى أوديسيوس ابنه قبل خمس سنوات. فعندما ذُكر اسم ابنه لم يحتمل العجوز وانهار باكياً، وعندها لم يستطع أوديسيوس أن يطيل عذابه. فقبَّل أباه وقال: ««لبَّيكَ، يا أبتاه، ها أنا ذا أمامك، أنا بنفسي، أنا ذلكَ الرجل الذي تسأل عنه. لقد جئتُ في السنة العشرين إلى وطني»» (24. 321 - 322). ولكن لايرتيس ارتاب في الأمر:

««لو كنت حقاً أنت أوديسيوس، ولدي، يا هذا الذي جئتَ إلى هنا، فأخبرني الآن بعلامةٍ واضحة حتى أكون على يقين.»

فأجابه أوديسيوس الكثير الحيل بقوله: «هاكَ أثَر الجرح تراه بعينَيك أولاً، أثَر الجرح الذي أصابني به خنزيرٌ بري بنابه الأبيض فوق بارناسوس»» (24. 328 - 333)

كما وصف له البطل أيضاً ما علمه إياه عن مزرعة أبيه وكرومه منذ كان طفلاً صغيراً. «هكذا تكلَّم وارتخت رُكبتا أبيه في مكانه حيث كان يقف، وذاب قلبه، عندما عرف الأمارات الأكيدة التي أخبَره بها أوديسيوس، فألقى ساعدَيه حول ابنه العزيز» (24. 345 - 347). فتقدم البطل قائلاً:

««هلُم بنا إلى المنزل القريب من زرعة الكرم، لأنني أرسلتُ تيليماخوس وراعي الأبقار وراعي الخنازير إلى هناك، كي يُعدُّوا لنا الوليمة بمنتهى السرعة.»

هكذا كانا يتكلَّمان، وذهبا في طريقهما إلى المنزل العظيم، فلما بلغا المنزل الفخم، وجدا تيليماخوس وراعي الأبقار وراعي الخنازير يُقطِّعون لحماً في كمياتٍ وفيرة.» (24. 358 - 364)

ومن ثم رجع العبيد من الحقول ليتزودوا بالطعام.

«فما إن أبصروا أوديسيوس، وتبيَّنوه في أذهانهم، حتى وقفوا في الساحات مشدوهين عجباً، بيد أن أوديسيوس خاطبهم بكلمات رقيقة، فقال:

«تفضل بالجلوس إلى العشاء، أيها الرجل العجوز، وهل لك أن تنسى عجبك تماماً؟»

هكذا قال، فانطلق دوليوس من فوره يعدو نحوه باسطاً يدَيه، وأمسك بيد أوديسيوس وقبَّلها من فوق رسغها.» (24. 391 – 394، 397 – 398)

بنهاية الملحمة يسود أوديسيوس أرض إيثاكا كملك كما كان قبل رحيله (24. 483).

في الفصل الختامي للملحمة وإنجيل لوقا يتضمن التعرف على البطل وجبة طعام. دعا أوديسيوس أباه ليرجعا معاً إلى المنزل حيث تنتظرهما وليمة سخية (24. 358 – 361). أما كليوباس ورفيقه فقد «ألزَماهُ قائلَين: «امكُثْ معنا، لأنَّهُ نَحوُ المَساءِ وقد مالَ النَّهارُ». فدَخَلَ لِيَمكُثَ معهُما» (24: 29). وعلى النقيض مما ورد في الملحمة فلم يلعب يسوع دور المضيف هنا، كما كان أوديسيوس لأبيه، بل إن الرجلين اللذين يلعبان دور لايرتيس في كل شيء ما خلا هذه النقطة يقومان بدور المضيف.

أما علامة تمييز أوديسيوس فقد كانت ندباً قديماً في جسده وما كان يعرفه عن مزارع أبيه، في حين كانت علامة يسوع المميزة هي كسره للخبز. «فلَمَّا اتَّكأ معهُما، أخَذَ خُبزاً وبارَكَ وكَسَرَ وناوَلهُما، فانفَتَحَتْ أعيُنُهُما وعَرَفاهُ وثُمَّ اختَفَى عنهُما» (24: 30 – 31). ذاب قلب لايرتيس في جسده ما إن تعرف على ابنه، وبالمثل التلميذان: «فقَالَ بَعضُهُما لبَعضٍ: «ألَمْ يَكُنْ قَلبُنا مُلتَهِباً فينا إذ كَانَ يُكَلِّمُنا في الطَّريقِ ويوضِحُ لنا الكُتُبَ؟» فَقَامَا في تِلكَ السَّاعَةِ ورَجِعَا إلى أورُشَليمَ، ووَجَدا الأحَدَ عَشَرَ مُجتَمِعينَ، هُم والَّذينَ معهُم» (24: 32 – 33).

في الملحمة يمضي الأب وابنه إلى بيت لايرتيس حيث «وجدا تيليماخوس وراعي الأبقار وراعي الخنازير يُقطِّعون لحماً في كمياتٍ وفيرة» (24. 363 – 364)، وفي الإنجيل يمضي التلمذان «ورَجِعَا إلى أورُشَليمَ، ووَجَدا الأحَدَ عَشَرَ مُجتَمِعينَ» (24: 33).

«وفيمَا هُم يتكلَّمونَ بهذَا وقَفَ يَسوعُ نَفسُهُ في وَسَطِهِم، وقَالَ لهُم: «سلامٌ لكُم!» فجَزِعوا وخَافوا، وظَنُّوا أنهُم نَظَروا روحاً. فقَالَ لهُم: «مَا بَالكُم مُضطَربينَ، ولماذا تخطُرُ أفكارٌ في قُلوبِكُم؟ أُنظُروا يَدَيَّ ورِجلَيَّ: إنِّي أنا هو! جُسّوني وانظُروا، فإنَّ الرُّوحَ ليسَ لَهُ لَحمٌ وعِظَامٌ كما تَرونَ لي». وحينَ قَالَ هذا أراهُمْ يَديهِ ورِجلَيه. وبَينَمَا هُم غَيرُ مُصَدِّقينَ مِنَ الفَرَحِ، ومُتَعَجِّبونَ، قَالَ لهُم: «أعِندَكُم ههنَا طَعَامٌ؟» فنَاولوهُ جُزءاً مِنْ سَمَكٍ مَشويٍّ، وشَيئاً مِنْ شَهدِ عَسَلٍ. فأخَذَ وأكَلَ قُدَّامَهُمْ» (24: 36 - 43)

وتلعب جراحات يسوع ذات الدور الذي لعبه ندبة أوديسيوس قبلاً. ««هاكَ أثَر الجرح تراه بعينَيك أولاً، أثَر الجرح الذي أصابني به خنزيرٌ بري بنابه الأبيض فوق بارناسوس»» (24. 331 - 333). وحينئذ أعطى أوديسيوس علامة ثانية تثبت هويته: معرفته الأثيرة بزروع أبيه. ويسوع كذلك قدم لتلاميذه علامة ثانية: الأكل مما قدموه ليثبت لهم أنه ليس روحاً أثيرية. فما نتج عن التعرف على البطلين كان الفرح العظيم (24: 41، 52).

بل إن لوقا نفسه يترك لنا من القرائن اللغوية ما يقودنا لخاتمة ملحمة الأوديسة. توجد بفلسطين عدة قرى مسماة بعمواس ولكن لا ينطبق على أيها الأوصاف الجغرافية التي ألصقها بها لوقا «قَريَةٍ بَعيدَةٍ عن أورُشَليمَ سِتِّينَ غَلوَةً» (24: 13)، فيما نجد أن (يومايوس) هو بالطبع اسم خادم أوديسيوس راعي الخنازير الذي تعرَّف عليه قبلاً. أما اسم (كليوباس) فاسم نادر جداً ولا يظهر في العهد الجديد مطلقاً بخلاف هذا الذكر العابر. واسم (يوروكليا) كما أسبقنا يتكون من مقطعين: (يوري) أي ذائع و(كليوس) أي الصيت والشهرة، والاسم (كليوباس) يشتق عن نفس الكلمة فيصير معناه «كُلِّيّ الشهرة». ولا محل للمصادفة المحضة

في جعل ذائعة الصيت والشهرة (يوروكليا) وكُلي الشهرة (كليوباس) الشخصيتين الوحيدتين اللتين تتعرفان على سيديهما.

وإليك مقارنة تظهر أوجه الشبه:

أو24. 216 - 394	لو24: 13 - 43
أوديسيوس الذي ظنوه ميتاً عاد حياً.	مات يسوع بالفعل ولكنه عاد حياً.
ذهب أوديسيوس لمزرعة أبيه،	قابل يسوع تلميذيه في طريقهما إلى عمواس،
خارج المدينة ليرى ما إذا كان «سيتبيِّنني (إيبيغنو) ويعرفني بالنظر (أوبثالمونيزين).»	خارج أورشليم «ولكنْ أُمسِكَتْ أعيُنُهما (أوبثالموي) عن مَعرِفَتِهِ (إيبيغنوناي)» (16)
كان لايرتيس حزيناً في مزرعته.	«مَاشيَان عابِسَينِ» (17)
من ثم ابتدأ «الغريب» يطرح على لايرتيس الأسئلة.	من ثم ابتدأ «المتغرب» (18) يطرح عليهما الأسئلة.
عبَّر لايرتيس عن أساه على موت ابنه وسوء معاملة مغازلي بينيلوبي.	عبَّر كليوباس عن أساه على موت يسوع وسوء معاملة الحكام اليهود (20)
تكلم أوديسيوس عن نفسه بصيغة الغائب ولم يميزه أبيه.	تكلم يسوع عن نفسه بصيغة الغائب (26) ولم يميزه تلميذاه.
عرَّفَ أوديسيوس عن نفسه بإظهار ندب ومعرفة الزروع وكانت تنتظره وأباه وجبة معدة في مكان يختلف عن مكان اللقاء.	عرَّف يسوع عن نفسه بكسر الخبز أثناء تناول وجبة معدة في مكان يختلف عن مكان اللقاء.
أخبر أوديسيوس لايرتيس بأن ينظر لجرح قدمه كدليل «أنا ذلكَ الرجل (أوتوس إيغو) الذي تسأل عنه»	أخبر يسوع تلاميذه «اُنظُروا يَدَيَّ ورِجلَيَّ: إنِّي أنا هو (إيغو آيمي أوتوس)!» (39)
ذُهل أولئك الذين عرفوا بعودة أوديسيوس فطمأنهم.	ذُهل التلاميذ إذ عرفوا بعودة يسوع (37، 41) فطمأنهم (38)

إذا ما فطِن القارئ لتلك القرائن وقارن الإصحاح الأخير من الإنجيل بالفصل الأخير من الملحمة لوجد أبعاداً من القصة غير ملحوظة لغيره. فبادئ ذي بدء: زار أوديسيوس هاديس ولكنه لم يمت، أما يسوع فقد مات بالفعل وذهب إلى هاديس ومع ذلك عاد حياً. كما أن جرح أوديسيوس نتج عن رحلة صيد، وأما جرح يسوع فكان نتيجة لإعدامه. وبالإضافة إلى ما سبق فإن تمييز لايرتيس لأوديسيوس أذِن بإعلان عودة البطل لموطنه، أما تمييز التلاميذ ليسوع فقد أذِن بإعلانه المسيا المنتظر الذي غلب الموت. وهنا كما في السابق، لا يقلد لوقا هوميروس تقليداً محضاً، بل ينافسه معلياً من شأن بطله يسوع فوق ما كان لأوديسيوس أن يحلم بأن يصيره.

الفصل الرابع والعشرون

الصعود

بعدما عاد يسوع للحياة في إنجيل لوقا، عاش وأكل مع تلاميذه في أورشليم. وبعد انقضاء أربعون يوماً تركهم. وإليك هذه القصة الشهيرة من بداية سفر أعمال الرسل:

أمَّا هُمُ المُجتَمِعونَ فَسَألوهُ قائلينَ: «يا رَبُّ، هَل في هَذا الوَقتِ تَرُدُّ المُلكَ إلى إسرَائيلَ؟» فَقَالَ لَهُم: «لَيسَ لَكُم أن تَعرِفُوا الأزمِنَةَ والأوقَاتَ الَّتي جَعَلَها الآبُ في سُلطَنِهِ، لكنَّكُم ستَنالونَ قُوةً مَتى حَلَّ الرُّوحُ القُدُسُ عَلَيكُن، وتَكونونَ لي شُهوداً في أورُشَليمَ وفي كُلِّ اليَهُوديَّةِ والسَّامِرَةِ وإلى أقصَى الأرضِ».

ولَمَّا قَالَ هَذَا ارتَفَعَ وهُم يَنظُرونَ. وأخَذَتهُ سحابَةٌ عَن أعيُنِهِمْ. وفيما كَانوا يَشخَصونَ إلى السَّماءِ وهو مُنطَلِقٌ، إذَا رَجُلانِ قَد وَقَفَا بِهِمْ بلِباسٍ أبيَض، وقَالا: «أيُّها الرِّجالُ الجَليليُّونَ، مَا بَالُكُم واقِفينَ تَنظُرونَ إلى السَّماءِ؟ إنَّ يَسوعَ هذا الَّذي ارتَفَعَ عَنكُمْ إلى السَّماءِ سيأتي هَكَذا كَما رأيتُموهُ مُنطَلِقاً إلى السَّماءِ.» (أع1: 6 - 11)

هذه الفقرة الشهيرة لا تروي قيامة يسوع ولا تجليه بل على العكس من ذلك تروي اختطاف جسده للسماوات وهي بذلك فقرة فريدة بنوعها في العهد الجديد. أما في الأدب الروماني على العكس حيث يشيع الصعود فهي ليست كذلك.(1)

يحكي التقليد عن موت آينياس بطلاً محارباً في المعركة حيث لم يُثر له على جسد، وعلى ذلك فسر الناس اختفاء جسده بصعوده للآلهة. وفي الإنيادة يخبر جوبيتر فينوس متنبئاً عند موته «ولسوف تحملين آينياس - السامي الروح - بين نجوم السماء» (1. 257 - 259؛ راجع 12. 794 - 795). ويمثل بطل فرجيل التبجيل الأسطوري لأبطال الرومان كرومولوس ويوليوس قيصر وغيره من أباطرة.

يُحكى أن رومولوس مؤسس روما اختفى إلى السماء في ظروف غامضة بينما كان يشرف على قواته. والقصة التالية يرويها ليفي وتمثل أقدم شهادة وصلتنا عن صعوده:

ليفي

لم يصدق هذه الرواية كل سكان روما، بل على العكس فإن أحدهم والمدعو بروكولوس يوليوس أعلن للمجلس أنه رأى رومولوس يهبط من السماء.

ليفي

ضمنت تلك القصة الخلود لرومولوس.

وأوجه الشبه بين الإصحاح الأول من أعمال الرسل وما يرويه ليفي عن صعود رومولوس جديرة بالملاحظة، وهي تمثل عموماً مقابلة بين رومولوس ويسوع بحسب لوقا:

(1) انظر لوقا وفرجيل، 196 - 200، «الملحق السادس: صعود آينياس ورومولوس ويسوع.»

ليفي1. 16	لو24: 51 وأع1: 6 - 11
عاشر الإله مارس ريا سيلفا عذراء المعبد، فولدت له ابنين رومولوس وريموس.	حل الروح القدس على مريم العذراء، فولدت يسوع.
أسس رومولوس المملكة الرومانية التي سُميت تيمناً به.	نادى يسوع بحلول ملكوت الله.
مات رومولوس واختفى جسده.	مات يسوع وبعد ثلاث أيام وُجد قبره فارغاً.
ادعى بعض الحاضرون أنه «اختُطف لأعلى.»	أعلن ملاكان أن الله رفعه.
فأعلنه آخرون عندها «إلهاً مولوداً من إله.»	قيامة وصعود يسوع اعتُبرا أساساً لإعلانه ابن الله.
هبط رومولوس من السماء وظهر لبروكولوس يوليوس وتكلم معه.	أخبر يسوع القائم من الأموات الكثير عن ملكوت الله.
اذهب وأعلن للرومان أنها مشيئة السماء أن تصير روما عاصمة العالم. لذا حثهم على يطورون فنون الحرب، وليعلموا ويخبروا الأجيال القادمة أنه ما من قوة بشرية قادرة على مقاومة الرومان.	«لكنَّكُم ستَنالونَ قُوةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ القُدُسُ عَلَيكُن، وتَكونونَ لي شُهوداً في أورُشَليمَ وفي كُلِّ اليَهُوديَّةِ والسَّامِرَةِ وإلى أقصَى الأرضِ»
فلما قال هذا ارتفع عنه لأعلى.	«ولَمَّا قَالَ هَذَا ارتَفَعَ وهُم يَنظُرونَ. وأخَذَتهُ سحابَةٌ عَن أعيُنِهِمْ»

فطن القراء القدامى لهذه المقابلات؛ ولهذا قال ترتليانوس لقرائه أن يسوع «صعد إلى السماوات- أصدق بكثير مما فعل رومولوس.»[1] كما تحاجج كاتب روماني آخر بأن قراءه الوثنيين المؤمنين بصعود رومولوس لا يملكون الحق في السخرية من ادعائه المماثل بصعود يسوع.[2]

(1) ترتليانوس، الدفاع 21. 23 (ل.ك.ل)

(2) أرنوبيوس الأكبر، ضد الأمميين 6. 1. 41.

أما لوقا فعلى العكس ضادد ما بين صعود يسوع وتأليه أباطرة الرومان بعد موتهم. فوفقاً لأعمال 1: 3 ولمدة أربعين يوماً بعد موت يسوع كان يكلمهم عن ملكوت الله، ولما سأله التلاميذ عن موعد عودته رفض إعطائهم إجابة صريحة بل وعد بأنهم سيتحلون بقوة علوية وسينشرون الكلمة إلى أقاصي الأرض. فيسوع هنا أقوى من رومولوس وغيره من أباطرة، ولا تحتاج رسالته لتعلم فنون الحرب. فكلاهما رومولوس ويسوع بطل خارق، ولكن لكل منهما قيمه الأخلاقية.

يسوع الأسطوري والثقافة المعاصرة

تقترح جدلية الكتاب إجمالاً أن في كتابات مرقس ولوقا ما يحاكي بل ويعدِّل في القصائد التي تتناول الأساطير الإغريقية. وفقاً ليوربيدس فقد حنقت الربة هيرا على هرقل حتى أرسلت روحاً شريرة أو شيطاناً يفقده صوابه ويجعله مجنوناً مزبداً يقبل على قتل زوجته وأولاده (هرقل مجنوناً). أما يسوع المرقسي فعلى نقيض ذلك يُعيد مجنوناً مزبداً إلى رشده (الفصل الثاني عشر). وبينما استعرض ديونيسوس قواه ماسخاً الرجال القراصنة إلى دلافين باستثناء واحد فقط (أنشودة هوميروس لديونيسوس)، أظهر يسوع قواه على الطبيعة أمام بحارة أربعة تحولوا فيما بعد لصيادي ناس (الفصل الثاني).

تقلَّد يسوع أدواراً أدتها شخصيات عدة في الإلياذة كذلك. فقد شفى جرحاً نازفاً استعصى على الشفاء كأبولو (الفصل السادس)، كما أنه ثابر في تأدية رسالته عالماً أنها لا تنتهي إلا بموته تماماً كأخيل (الفصل العاشر)، وقد مات مِقداماً على الرغم من تخلي إلهه عنه كما كان من هيكتور (الفصل الواحد والعشرون). ونهايةً طلب جثمانه للتكفين والدفن يوسف الذي من الرامة كما طلب برياموس جسد ولده هيكتور (الفصل الثاني والعشرون).

وعلى ذلك فالكم الأضخم من الاستعارة ورد في محاكاة الأوديسة؛ ففي بداية الإنجيل كما في بداية الملحمة يتعرف يسوع على هوية أبيه الحقيقية من مبشر طائر، ولكن بينما نجد أن تيليماخوس هو ابن أوديسيوس فيسوع ابن الله (الفصل الثاني). أشبع الملك نسطور في الأوديسة آلاف الرجال في وليمة شاطئية وكذلك فعل يسوع لا اعتماداً على غناه أو ثروته بل لقدرته على مضاعفة سمكات وأرغفة قليلات (الفصل الثالث).

كثيراً ما يشبه يسوع أوديسيوس: فكلاهما نجار عانى الأمرّين وأبحر في رحلات خطرة مع رفاق لا يعول عليهم (الفصول الرابع والسابع عشر والتاسع عشر)، وكلاهما يتحدث عن عودته كما لو كان يتحدث عن رجلٍ آخر ويَلي ذلك مباشرة دهنهما بالزيت من امرأتين متبصرتين حانيتين (الفصل الخامس عشر)، وكلاهما يروي قصصاً عن عذاب الأشرار في هاديس (الفصل الثامن)، وكلاهما يدخل مدينة عظيمة ويلاحظ روعة معمارها وأشجار تينها (الفصل الثالث عشر)، وكلاهما يأكل بجرأة وسط أعدائه موبخاً إياهم على إساءتهم للفقراء (الفصل العاشر).

ومن جهة أخرى فإن قوة يسوع وعطفه وحنانه أعظم بكثير مما قُدر لأي بطل هوميري أن يحمل. ففيما يبقى أوديسيوس عاجزاً أمام البحر الهائج فإن يسوع يسيطر عليه ويهدؤه كأيولوس سيد الرياح (الفصل الرابع)، وفيما يسرق أوديسيوس قطعان الماشية بعدما يُفقد العملاق بولوفيموس بصره فإن يسوع ينقذ المجنون الذي تسلط عليه لجئون من الأرواح النجسة (الفصل الخامس)، وفيما يترك أوديسيوس تايريسياس الأعمى في مملكة الموتى يعيد يسوع النظر لبارتيماوس الأعمى ويأخذه معه في الطريق لأورشليم (الفصل التاسع). وفيما يعلن أوديسيوس عن نفسه بنفسه لابنه تيليماخوس فإن صوتاً إلهياً يعلن عن بنوة

يسوع «هَذا هوَ ابنِي الحَبِيبُ» (الفصل الحادي عشر). وكما يعلن أوديسيوس عن عودته سالماً من الحرب الطروادية بإظهار أثر الجرح القديم فإن يسوع يعلن عن قيامته من بين الأموات بإظهار جراح الصلب (الفصل الثالث والعشرون). وكذلك في رواية لوقا فإن يسوع يفوق أعظم أبطال الرومان؛ فقد كان له والد إله أصعده للسماوات بعد موته إنساناً تماماً كآينياس ورومولوس وأغسطس وغيرهم من أباطرة الرومان (الفصل الأول والرابع والعشرون).

بالرغم من أن قلة من قراء الأناجيل فطنوا لمحاكاة الإنجيليين للأدب الكلاسيكي إلا أن مرقس ولوقا لم يعمدا إلى إخفاء تلك المحاكاة بأي حال من الأحوال. بل إنهما كثيراً ما أفصحا عنها بلفت الانتباه لسمات مميزة في شخصيات روايتيهما. قد يفشل القارئ المعاصر لتمييز المحاكاة لتعريب لا ترجمة الأسماء الآرامية واليونانية؛ فلو تُرجم اسم يايرس لـ«سيضيء» لربما فطن القارئ للصلة بينه وبين اسم غلاوكوس «اللامع»، لو قرأنا «للداخل المدينة» بدلاً من الاسخريوطي لربما فطنًا لعلاقة يهوذا وميلانثيوس الذي يظهر للمرة الأولى في الأوديسة وهو يسوق قطعان الماعز لداخل المدينة، كذلك الحال لو نُقل اسم مريم المجدلية كمريم التي من مدينة البرج لربط القارئ بينها وبين أندروماخي التي اشتهرت بأن نظرت ما فعل الآخيين بجثة زوجها من برج طروادة. بل إن مرقس تفادى فخ الترجمة فصرَّح لنا عن الصلة دون مواريتها باسم كأن ذكر أن المرأة التي دهنت يسوع بالطيب ستشتهر كلما كُرز بالإنجيل وهو المعنى الحرفي لاسم يوروكليا المرأة التي غسلت رجليّ أوديسيوس ومسحتهما بالطيب.

كان القارئ اليوناني كذلك ليفطن للمحاكاة الهوميرية ما إن يقرأ عن بحر الجليل العاصف كما لو كان محيطاً، بالإضافة إلى الوحوش التي تعيش في كهوف،

وتحويل يسوع لكتيبة رومانية لجئون إلى خنازير، وكذلك عن شجرة تين يتوقع منها أو تحمل الثمار طيلة العام. تلك الصلات لم تغفلها العقول البيزنطية الفذة التي ابتدعت القنطونات الهوميرية و«آلام وقيامة يسوع بقلم آينياس.» أولئك الكتاب الذين أعادوا رواية القصص الإنجيلية متوسعين في المحاكاة والاستعارة الهوميرية من المصدر الملحمي مباشرة.

تبدو المحاكاة الهوميرية في الأناجيل هادفة بحق في سياقها الزمني الذي كُتبت فيه أي في القرن الأول للحقبة العامة حيث نافست الإنيادة التي هي إعادة الصياغة الرومانية للإلياذة والأوديسة لتوفر سنداً ملحمياً شرعياً لأغسطس وإمبراطوريته الرومانية الناشئة. تالياً نستعرض الأحداث الملحمية التي ناقشناها في مقارنة مع محاكاة فرجيل لها:

هوميروس	إنيادة فرجيل	مرقس ولوقا
إل16. 433 - 683	12. 389 - 429	مر5: 21 - 43
(جُرح غلاوكوس النازف)	(جُرح آينياس النازف)	(المرأة نازفة الدم)
إل20. 203 - 241	3. 84 - 101	لو1: 26 - 38
(الوعد بسلالة أبدية)	(الوعد بسلالة أبدية)	(الوعد بسلالة أبدية)
إل22. 79 - 92	12. 54 - 63 (راجع 11. 34 - 38)	لو23: 26 - 31
(نواح الطرواديات)	(نواح الملكة أماتا على تورنوس)	(نواح بنات أورشليم على يسوع)

إل22. 289 - 363	12. 781 - 952 (راجع 10. 736 - 746)	مر15: 33 - 38
(موت هيكتور)	(موت تورنوس)	(موت يسوع)
إل22. 405 - 515	9. 475 - 502	مر15: 40 - 41، لو23: 49
(هيكابي وأندروماخي وهيلينا)	(رثاء أم يوروألوس)	(نساء ينظرن من بعيد)
أو1. 96 - 324	9. 656 - 661	مر1: 9 - 11
(أثينا تطير لتيليماخوس)	(أبولو يطير لأسكانيوس)	(الروح القدس يطير ليسوع)
أو3. 1 - 67، 4. 141 - 145	8. 97 - 305	مر6: 30 - 44، 8: 1 - 10
(نسطور يشبع 4500 رجلا)	(إيفاندر يشبع جيش آينياس)	(يسوع يشبع 5000 رجلا)
أو6. 251 - 7. 135	1. 305 - 642	مر11: 1 - 14
(دخول أوديسيوس أرض الفياكين)	(دخول آينياس قرطاجة)	(دخول يسوع أورشليم)
أو9. 105 - 542	3. 368 - 691	مر5: 1 - 20
(بولوفيموس)	(بولوفيموس)	(رجل به روح نجس في القبور)

أو10. 1 - 77	50.1 - 141	مر4: 45 - 51
(أيولوس رب الرياح)	(أيولوس رب الرياح)	(يسوع رب الرياح)
أو10. 203 - 347، 382 - 399	10.7 - 24	مر5: 1 - 20
(عقار كيركي السحري)	(عقار كيركي السحري)	(دخول الشياطين الخنازير)
أو1. 1 - 75	12.1 - 56	مر4: 35 - 41
(أوديسيوس يستيقظ وسط العاصفة)	(أيولوس يتسبب في العاصفة)	(يسوع يستيقظ وسط العاصفة)
أو10. 76 - 132	666.3 - 683	مر14: 12 - 17
(حامل الماء وأكلة لحوم البشر)	(هروب آينياس من أكلة لحوم البشر)	(حامل الماء والعشاء الأخير)
أو10. 467 - 574	835.5 - 871، 6. 156 - 235	مر14: 51 - 52 (راجع 16: 1 - 8)
(موت إلبينور)	(موت بالينوروس وميسينوس)	(الشاب عند القبض على يسوع وفي قبره)
أو11. 90 - 151	374.3 - 462، 6. 679 - 901	مر10: 46 - 52
(تايريسياس الرائي الأعمى)	(الرائيان هيلينوس وأنخيزس)	(بارتيماوس الرائي الأعمى)
أو11. 582 - 592	603.6 - 607	لو16: 19 - 31
(عذاب تانتالوس)	(عذاب تانتالوس)	(عذاب الغني)

أو16. 172 - 303	1. 588 - 613	مر9: 2 - 9، لو9: 18 - 36
(تجلي أوديسيوس)	(تجلي آينياس)	(تجلي يسوع)

وبالرغم مما سبق فإن مديونية مرقس ولوقا الأدبية للشعر اليوناني الكلاسيكي لا تعني بالضرورة أن يسوع نفسه لا يعلو كونه أسطورة. بل على النقيض فإن فهمنا لكيفية أسطرة المسيحيين الأوائل لسيدهم يساعدنا على تتبع تعاليمه بإزالة الرتوش الأسطورية والطبقات الثانوية التي أضفاها عليه المسيحيون عبر الزمن. وكذلك فإن تحقيقنا هذا لا يُقصد به التلميح لثمة سرقة أدبية قام بها أوائل المسيحيين من كتاب الأسفار الكتابية، فما كان منهم سوى تبنّي القصص الذائعة في العصور القديمة وتكييفها لصياغة إله أعظم حنواً وبأساً وفطنة من مشاهير آلهة وأبطال الإغريق. يُذكر ليوستينوس الشهيد أنه فطن لهذا الرابط بين القصص الإنجيلية والأساطير الإغريقية، وإن كان قد وجد في ذلك حساسة دفعته للانقلاب على اكتشافه كلية: «إنهم يقلدوننا.» فكان التفسير الذي قدمه للتقارب هو كون الشياطين المطلعة على المشيئة الإلهية قد أوحت لهوميروس بشعر محاكٍ للنبوءات اليهودية عن يسوع. أما المسيحيون الآخرون ممن توصلوا لذات الاستنتاج الأوّلي أمثال إكليمنضس السكندري والعلامة أوريجانوس فكان تفسيرهم للتقارب لا يعدو القول بإنه فيما تصدق القصص المسيحية كلية فإن الأساطير الإغريقية أكاذيب وخيال محض.

يفترض بمسيحيي القرن الواحد والعشرين تقبل التفسير الذي يقدمه هذا الكتاب وإن كان ذلك لمحض إزالة التعارض بين روايات الأناجيل وحياتنا اليومية المعاصرة. فالناس لا يسيرون على الماء ولا باستطاعتهم مضاعفة الطعام

لإشباع الآلاف ولا يختفون في سحب السماء بعد موتهم ولا يمكن لأيهم أن يُغرق ألفي خنزير ممسوس مساً شيطانياً في بحيرة ميشيغن. كان مرقس ولوقا على إدراك تام بأن ما يكتبانه خيال أدبي، وإن في اعتباره سنداً تاريخياً مخالفة لنواياهما الصريحة التي ما كانت تعدو تصوير يسوع كبطل أخلاقي قادر على منافسة أبطال العالم القديم الخارقين.

إن في قراءتنا للأناجيل كنصوص في الخيال الروائي ما يشجع على إقامة حوارٍ أكثر مصداقية بين الأديان؛ ذلك أن الأديان جميعها حاولت أن تبحث عن معنى لحياة الإنسان من خلال رواية القصص عن أبطال يمثلون أسمى قيمه وأعظم تطلعاته. سيستمر المتدينون لا ريب في الدفاع عن صدق تلك الروايات كأحداث شهدها التاريخ، بل ويذهب بعضهم لاعتبارها وحي إلهي يفوق قدرات البشر على الفهم. وتلك الدفاعيات الإنفرادية تحول دون رؤية ثقافاتنا البشرية ككل. أظهر الإنجيليان اللذان نعرفهما الآن باسمي مرقس ولوقا إيمانهما بيسوع من خلال كتابة روايات نافست الأدب المؤسس للثقافة اليونانولاتينية. وها دعوتهما لنا كقراء معاصرين لنغير من ثقافتنا الحالية بابتكار قصص أنبل وأرقى تخاطب تحديات عصرنا التي ما كان للإنجيليين أن يتخيلاها. وهو ما يتطلب من القارئ المسيحي المعاصر الأمانة النقدية والاتضاع أمام حقائق التاريخ ويعد في المقابل بإمكانيات أعظم للتحاور بين الأديان.

وعلى ذلك فلم أكتب كتابي هذا للمسيحيين بصفة أساسية، بل كتبته لأحفادي الصغار: أونري وأوليفر رينو ونيكا ماكدونالد الذين قريباً ما سيتعين عليهم اتخاذ قراراتهم الخاصة فيما يتعلق بالدين والسياسة والملكة الفكرية والأخلاق. لا آمل أن أجعل منهم مسيحيين. ولكنني لا أريد كذلك أن أحرمهم من يسوع الأخلاقي المأسطر.

لطالما كان أونري -وهو الآن في عمر الحادية عشرة- شغوفاً بسوبرمان وباتمان وسبايدرمان وبن تن وسلاحف النينجا ودكتور هو والمتحولين. كثيراً ما أمضينا الساعات معاً نقرأ مغامرات بيرسي جاكسون نصف الإله ابن بوسايدون الذي ينتصر على الكثير من المصاعب التي استُوحي الكثير منها من الأساطير الإغريقية. يبدو أن محاكاة الملاحم الهوميرية لا زالت تأسر القلوب!

هذا الكتاب هو ثمرة تلك القراءات بل وقد ساعد أونري في صياغته بتنبيهي للمصطلحات المربكة والمعقدة واختيار الأحداث التي تجري على ضوئها المقارنة. بالإضافة لتلك القائمة الطويلة من أبطاله الخارقين فهو الآن على دراية كافية ببطل آخر ابتُكر منذ زمن بعيد ليجسد العدالة والجرأة والتعاطف وليباري أبطالاً كهرقل وأثينا وأخيل وأوديسيوس.

عندما كان ابني جوليان في مثل عمر أونري سألني عما أعلم طلابي في الجامعة. ولذا اتفقنا على أنني سأحكي له حكايتين قبل النوم لمدة أسبوع: واحدة من الأناجيل والأخرى من ملاحم هوميروس. بنهاية الأسبوع سألته أي الجانبين يفضل فكانت إجابته قاطعة: هوميروس. وعلى الرغم من أنني أُدرِّس اللاهوت إلا أنني وافقته الرأي. ومع ذلك فقد كان كلانا يعلم أن يسوع يمثل قدوة أفضل مما قد يمثل أبطال الملاحم. واليوم يعمل جوليان في المجال الطبي وهو والد نيكا كما أنه بطلي الخاص في الشفقة وتقديم الرعاية. كتابي هذا تتابع لحكايات قبل النوم وقد كُتب ليبين لك أن يسوع الأسطورة لا زال ملهماً ومثالياً وجذاباً بحيث لم يعد بالإمكان تركه أسيراً للكنيسة المسيحية.

الملحق

إنجيلا متى ويوحنا

الأحداث التي مر بها يسوع والمناقشة في هذا الكتاب تظهر بصفة أساسية في إنجيلي مرقس ولوقا. ويبدو أن الإنجيل المفقود لم يعدد منها إلا حادثة المعمودية، أما بولس فلم يعرف منها إلا الصلب. وهكذا فجدلية الكتاب تدور حول ابتكار مرقس لتلك الأحداث في محاكاته للملاحم الكلاسيكية ما نقله عنه كُتاب الأناجيل التالين له وبالأخص متى ويوحنا.

الحدث	مرقس	متى	يوحنا
المعمودية	1:9 - 11	3:13 - 17	1:29 - 34
دعوة الصيادين	1:16 - 20	4:18 - 22	—
تهدئة البحر	4:35 - 41	8:23 - 27	—
ممسوس الجدَريين	5:1 - 20	8:28 - 34	—
ابنة يايرس/نازفة الدم	5:21 - 43	9:18 - 26	—

إشباع الخمس آلاف	6: 32 - 44	14: 13 - 21	6: 1 - 15
السير على الماء	6: 45 - 52	14: 22 - 33	6: 16 - 21
إشباع الأربع آلاف	8: 1 - 10	15: 32 - 39	—
التجلي	9: 2 - 10	17: 1 - 9	—
الممسوس المزبد	9: 14 - 29	17: 14 - 21	—
بارتيماوس الأعمى	10: 46 - 52	20: 29 - 34	—
دخول أورشليم	11: 1 - 11	21: 1 - 17	12: 12 - 19
تطهير الهيكل	11: 15 - 17	21: 12 - 13	2: 13 - 17
تنبؤ يسوع بعودته	13: 1 - 37	24: 1 - 36	—
المسح من امرأة	14: 3 - 9	26: 6 - 13	12: 1 - 8
اتباع حامل جرة الماء	14: 12 - 17	26: 17 - 20	—
جثسيماني	14: 32 - 42	26: 36 - 46	18: 1
القبض على يسوع	14: 43 - 52	26: 47 - 56	18: 2 - 12
إنكار بطرس	14: 66 - 72	26: 69 - 75	18: 25 - 27
يسوع أم باراباس؟	15: 6 - 14	27: 15 - 23	18: 39 - 40
الصلب	15: 22 - 41	27: 33 - 56	19: 17 - 30
رؤية النساء موت يسوع	15: 40 - 41	27: 55 - 56	—
استعادة يوسف الجسد	15: 42 - 47	27: 57 - 61	19: 38 - 42

وكما يتضح فقد شكّلت إعادة كتابة مرقس الإبداعية للشعر الإغريقي الكلاسيكي أساساً صلباً بُنيت عليه الأناجيل اللاحقة أي متى ولوقا ويوحنا كما أثرت على الفكر والمخيلة المسيحية من حينها.

وعلى ذلك فلا يُظهر متى ويوحنا اهتماماً يُذكر بتقفي آثاره في محاكاة الأدب القديم. فلماذا؟ واجه متى تحدٍ مختلف؛ إذ كان عليه أن يدغم الرواية الدرامية التي وجدها في مرقس مع التعاليم التي تجد أصلها في الإنجيل المفقود ('كيو' أو 'أقوال يسوع')، حتى ليسعنا القول بأن متى دمج بحرفية عالية بين التقليد المُسلم عن المعلم اليهودي والتصوير المرقسي ليسوع كبطل خارق.

أما التحدي الأدبي الذي واجهه يوحنا فقد كان مختلفاً تماماً. فعلى الرغم من علمه التام بالأناجيل المنسوبة لمرقس ولوقا إلا أن أسطرته ليسوع لم تتضمن الاستعارة من الكتب اليهودية المقدسة ولا من الملاحم الهوميرية بل من تصوير يوربيدس لديونيسوس إله الخمر في الباخوسيات. في معجزته الأولى يحول يسوع ما يفوق الثلاثمئة لتر من الماء إلى خمر (2: 1 - 11)، كما يقول عن نفسه لاحقاً إنه الكرمة الحقيقية (15: 1 - 8). وهكذا فإن كاتب هذا الإنجيل لم يهمل الممارسة المتبعة بأسطرة يسوع وإنما أثراها بالاستعاضة عن هوميروس بيوربيدس كأنموذج أدبي. يناقش كتابي 'يوحنا ويوربيدس' هذا الأمر بأدق تفصيل.

قائمة المراجع

أعمال جرى الاستشهاد بها

ديكسون، إدوارد ب. «حلول الروح والآلهة: تفسير لنزول الروح على شكل حمامة في مرقس 1: 10» مجلة الأدب الكتابي 128 (2009): 759 - 80.

غيلمور، مايكل ج. «ملامح هوميروس في لوقا 16: 19 - 31» مجلة ديدسكاليا 10 (1999): 23 - 33، ماثيو ريان، هاوجي، الجولة الكتابية في الجحيم. مكتبة دراسات العهد الجديد 485؛ لندن: ت&ت كلارك، 2013.

لودن، بروس «أوديسة هوميروس والشرق الأدنى» كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2011.

ماكدونالد، دينيس ر. «هوميروس مسيحياً: الأوديسة وأفلاطون وسفر أعمال أندراوس» نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد، 1994.

—— . «هل يحاكي العهد الجديد هوميروس؟ أربع حالات من أعمال الرسل» . نيوهيفن، كونيتيكت: مطبعة جامعة ييل، 2003.

— - . «الأناجيل وهوميروس: محاكاة الملاحم الإغريقية في مرقس ولوقا - أعمال» العهد الجديد والأدب اليوناني: المجلد الأول. لانهام، ميريلاند: رولاند & ليتلفيلد، 2014.

— - . «الملاحم الهوميرية وإنجيل مرقس» نيوهيفن، كونيتيكت: مطبعة جامعة ييل، 2000.

— - . «يوحنا ويوربيدس: الإنجيل الديونيسي» مطبعة فورترس، 2017.

— - . «لوقا وفرجيل: محاكاة الأدب الإغريقي الكلاسيكي» العهد الجديد والأدب اليوناني: المجلد الثاني. لانهام، ميريلاند: رولاند & ليتلفيلد، 2014.

— - . «حطام إنجيلين: أقوال يسوع وبابياس» مجتمع الأدب الكتابي: المسيحية الأولى وآدابها 8؛ أتلانتا: مجتمع الأدب الكتابي، 2012.

تايلور، جون. «الكلاسيكيات والكتاب المقدس: الضيافة والاعتراف» لندن: دكوورث، 2007.

للاستزادة حول الملاحم الهوميرية والأساطير الإغريقية

بييه، شارلز روان. «الإلياذة والأوديسة والتقليد الملحمي» جاردن سيتي، نيويورك: دابلداي، 1966.

بلووم، هارولد، محرر «الأوديسة» برومول، بنسلفانيا: تشيلسيا هاوس، 1996.

كلاي، جيني ستراوس. «غضبة أثينا: الآلهة والبشر في الأوديسة» برينستون، نيو جيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1983.

إدواردز، مارك و. «هوميروس: شاعر الإلياذة» بالتيمور: مطبعة جامعة جونز هوبكنز، 1987.

غانز، تيموثي. «الأساطير الإغريقية الأولى: فهرس المصادر الأدبية والفنية: مجلدان» بالتيمور: مطبعة جامعة جونز هوبكنز، 1993.

غريفين، جاسبر. «هوميروس حول الحياة والموت» مطبعة جامعة أوكسفورد، 1980.

هوك، رونالد ف. «هوميروس في العملية التعليمية اليونانية والرومانية» الصفحات 56 – 77 في المحاكاة والتناص في العصور القديمة والمسيحية. حرره: دينيس ر. ماكدونالد. دراسات العصور القديمة والمسيحية. هاريسبرغ، بنسلفانيا: مطبعة ترينيتي الدولية، 2001.

كيم، لورانس. «هوميروس ما بين التاريخ والخيال في الأدب الإغريقي للإمبراطورية» الثقافة الإغريقية في العالم الروماني. نيويورك: مطبعة جامعة كامبريدج، 2010.

كناوير، جورج نيكولاوس. «فرجيل وهوميروس» الصفحات 87 – 918. برلين: دي غرويتر، 1987.

لورد، ألبيرت بيتس. «مغني الحكايات» نيويورك: أثينيوم، 1978.

لو، ن. ج. «الحبكة الكلاسيكية وابتكار الرواية الغربية» كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2000.

موريسون، جيمس «دليلك لأوديسة هوميروس» ويستبورت، كونيتيكت: جرينوود، 2003.

مورناغان، شيلا «التنكر واستبيان المتنكر في الأوديسة» برينستون، نيو جيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1987.

ناغ، غريغوري «أفضل الآخيين: مفهوم البطل في الشِعر الإغريقي القديم» بالتيمور: مطبعة جامعة جونز هوبكنز، 1979.

ستشيمبرا، روكو. «القنطونات الهوميرية: كوربس كريستيانورم» سلسلة غرايكا، 62. تورنهاوت: بربولز، 2007.

شين، سيث ل. «البطل الفاني: مقدمة لإلياذة هوميروس» بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1984.

— - . محرر. «تفسير الأوديسة: مقالات مختارة» برينستون، نيو جيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1996.

ويتمارش، تيم. «الأدب الإغريقي والإمبراطورية الرومانية: سياسية المحاكاة» أوكسفورد: مطبعة جامعة أوكسفورد، 2001.

ويلكوكس، مالكولم، و. «دليلك للإلياذة: اعتماداً على ترجمة ريتشارد لاتيمور» شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 1976.

وودفورد، سوزان. «الحرب الطروادية في الأعمال الفنية القديمة» إيثاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل، 1993.

للاستزادة حول العهد الجديد والأدب الإغريقي الكلاسيكي

بونز، ماريان بالمر. «إرث الماضي: لوقا - أعمال والملاحم القديمة» مينيابوليس: فورترس، 2000.

ماكدونالد، دينيس ر. «محاكاة الأدب الإغريقي في الأناجيل» الصفحات 372 - 84 في «يسوع في السياق التاريخي» محرر: إيمي - جيل لافين - ديل س. أليسون - جون دومينيك كروسان. قراءات برينستون في الأديان. برينستون، نيو جيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 2006.

— - . «آن دوري: نقد نقاد نقد المحاكاة» معهد أبحاث العصور القديمة والمسيحية غير الدورية 53. كليرمونت، كاليفورنيا: معهد أبحاث العصور القديمة والمسيحية، 2009.

— - . «ذائعة الصيت والشهرة: المرأة التي مسحت أوديسيوس ويسوع» الصفحات 128 - 35 دليلك النَسَوي لمرقس. محرر: إيمي - جيل لافين. شيفيلد: مطبعة شيفيلد الأكاديمية، 2001.

— - . «السرية والاستبيان في الأوديسة ومرقس: حيث أخطأ وريد» الصفحات 139 - 53 في الأدب الخيالي القديم وروايات المسيحية المبكرة. محرر: رونالد ف. هوك - ج. برادلي تشانس - جوديث بيركنز. سلسلة ندوات مجتمع الأدب الكتابي 6. أتلانتا: باحثون، 1998.

— - . «الروح في شكل حمامة والتشبيهات الهوميرية الطَيريَة» الصفحات 333 - 39 في «الأصوات المسيحية المبكرة: النص والتقليد والرمز» محرر: ديفيد هـ. وارين - آن غراهام بروك - ديفيد و. باو. بوسطن: بريل، 2003.

— - . «المعضلة الإزائية والمحاكاة الأدبية: حالة الممسوس المُزبِد» الصفحات 509 - 21 في «دراسات في المعضلة الإزائية» محرر: بول فوستر وآخرون. لوفن: بيترز، 2010.

ساندنيس، كارل أولاف. «التحدي الهوميري: المدرسة والشعراء الوثنيون والمسيحية المبكرة» مكتبة دراسات العهد الجديد 400. لندن: ت&ت كلارك، 2009.

— - . «المحاكاة الهوميرية؟ تقييم نظرية ماكدونالد في نقد المحاكاة» مجلة الأدب الكتابي 124 (2005): 715 - 32.

فهرس المحتويات

هذا الكتاب

هل كانت صورة يسوع في الأناجيل نتاج سرد ديني خالص؟ أم أنها شُكّلت أيضًا تحت تأثير الملاحم والأساطير الإغريقية؟

يقدّم هذا الكتاب قراءة غير تقليدية وعميقة للخطاب الإنجيلي، مستكشفًا أثر الثقافة الهلنستية في رسم ملامح يسوع، لا بوصفه مصلحًا دينيًا فحسب، بل كبطل ذي طابع ملحمي، يتقاطع مع شخصيات هوميروسية مثل أخيل وأوديسيوس.

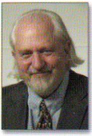
من خلال تحليل أدبي دقيق ومنهجي، يُظهر الكتاب كيف استُخدمت تقنيات «المحاكا»(Mimesis) — وهي الركيزة في التعليم الخطابي اليوناني — في نسج سرديات الأناجيل. كما يسلّط الضوء على الكيفية التي جرى بها إدماج يسوع في قالب رمزي مألوف لدى الجمهور المتأثر بالأدب الإغريقي.

لا ينفي الكتاب حقيقة يسوع التاريخية، بل يميّزها عن طبقات الأسطرة التي راكمها التأويل الديني والثقافي عبر القرون.

إنه عمل جريء، مثير للتفكير، يفتح أفقًا جديدًا لفهم الأناجيل، ويعيد طرح السؤال الجوهري: من هو يسوع؟

كتاب لا غنى عنه لكل باحث في التاريخ المسيحي أو في تداخل الأسطورة والدين والأدب.

دينيس ر. ماكدونالد



باحث وأستاذ للعهد الجديد وأصول المسيحية في كلية ثيولوجيا كليرمونت، ولد عام 1946 في الولايات المتحدة، نال الدكتوراه من جامعة هارفرد، وكرّس مسيرته لدراسة النصوص المسيحية المبكرة في سياقها الأدبي والثقافي، وعُرف بتطويره منهج «نقد المحاكاة» الذي يقارن بين الأناجيل والملحمة الهومرية، في محاولة لفهم بناء السرد الإنجيلي من خلال الأدب اليوناني القديم. من مؤلفاته: Christianizing Homer (1994)، The Homeric Epics and the Gospel of Mark (2000)، وDoes the New Testament Imitate Homer? (2003).

من إصدارات مجموعة روومان & ليتلفيلد

The Rowman & Littlefield Publishing Group

للحصول على كتب إصداراتنا

+964 780 226 2494

facebook.com/acadcntr

www.acadcr.com

info@acadcr.com

ISBN 978-1-998556-49-6

9 781998 556496

The Academic Center for Research

CANADA- TORONTO